

ديوان من دواوين

عباس محمود العقاد



ديوان من دواوين

ديوان من دواوين

تأليف

عباس محمود العقاد

المحتويات

٧	بين يدي القراء
٩	خواطر وتأملات
٤٥	صفات وأشباهُ
٦٣	مناجاة
١٠٧	مترجمات
١١٣	حديقة الحيوان
١٣٣	قصص وأماثل
١٦٧	ترجمة شيطان
١٨٣	قوميات
١٩٧	تقدير
٢١١	تأبين
٢٣٧	رثاءٌ وعزاء
٢٥١	متفرقات
٢٧١	مقدمات ما تقدم

بين يدي القراء

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم هذه المجموعة يدل على موضوعها؛ لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم، وهي: يقظة الصباح، ووهج الظهيرة، وأشباح الأصيل، وأشجان الليل، ووحى الأربعين، وهدية الكروان، وعابر سبيل، وأعاصير مغرب، وبعد الأعاصير، وما يلي من شعر نظم بعد صدور هذا الديوان الأخير.

وقد نفذت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفتت في حينها، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعاً إلا القليل، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعاً ويطلبون إرسالها إليهم، وبخاصة قراء البلاد العربية التي لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها في بعض العهود، فترددنا بين طبعها في مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة، وكلاهما لا يغني في تيسير المطلوب منها، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن، فأثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التي تنوب عن شعر الدواوين جميعاً إلى حين، وتتم أبواب الشعر في جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء.

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاذ هذه الدواوين؛ لأننا نستفيد منه ميزاناً من موازين الأدب في عمومه، وميزاناً من موازين الشعر على الخصوص، وميزاناً من موازين الشعر في عصرنا هذا على الأخص، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان وإلى بيان. فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال.

وأصدق ما يكون ذلك الميزان في دلالته على القول الأخير في نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوبه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوي الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التي تسوغ ما ليس بالسائغ في موازين النقد والتمييز.

وبين يدي هذا المرجع الأمين، بل هذا الموثل القرير الذي لا نرتضي لكلام نقوله موثلاً سواه، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعاً من قبل، شاكرين ذاكرين.

عباس محمود العقاد

خواطر وتأملات

النور

(... إلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدي علماء الطبيعة فضلاً عن الفلاسفة والمتصوفة؟
ينتهي بنا إلى أنه «معنى» يشبه المعاني المجردة، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط
لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب.)

النُّورُ سِرُّ النَّجَاهِ	النُّورُ سِرُّ الْحَيَاةِ
النُّورُ وَحْيُ الصَّلَاةِ	النُّورُ وَحْيُ النُّهْيِ
النُّورُ شَوْقُ الْفِتَاهِ	النُّورُ شَوْقُ الْفَتَى
لَمَحَ الْعَيْونُ الْخَوَاهِ	أَلْمَحَ بِالرُّوحِ لَا
مَعْنَاهُ إِلَّا أَدَاهُ	مَا تَبْصُرُ الْعَيْنُ مِنْ
لَا مَا افْتَرَاهُ الْهُدَاهُ!	هَذَا سَبِيلُ الْهُدَى

إلى غاندي

حين أعلن الصيام

وتقضي بها جوعاً وما عَزَّ مَأْكُلُ!	أتيت إلى الدنيا العريضة عارياً
على أيِّ شيء بعد موتك تُقْبَلُ	تركت لهم حتى الطعام فقل لنا

إذا البؤس والحرمان كان شفاعة
لعالملك الأعلى فما هو أفضل
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمة
لمن يطلب النعمى فبئس المعولُّ

الوجه الفيلسوف

أرى لك أنت فلسفة صُراحًا
أدُّم العيش في ألفي كتابٍ
إذا ما الفيلسوف أطال سخطي
بلمح العين أقرأها جميعا
غنيت عن الأدلة والأحاجي
وتعرض لي فأمدحه سريعا
على لؤم الحياة فكن شفيعا
ومن حاجاك لم يكُ مستطيعا

القدر يشكو

صغيرٌ يطب الكبرًا
وخالٍ يشتهي عملاً
ورب المال في تعب
ويشقى المرء منهزمًا
ولا يرضى بلا عَقْبٍ
ولا يبغى المجد في لهفٍ
ويخمد إن سلا فإذا
فهل حاروا مع الأقداء
وشكاة ما لها حَكْمٌ
وشيخٌ ودَّ لو صغرا
وذو عمل به ضجرا
وفي تعب من افتقرا
ولا يرتاح منتصرا
فإن يُعَقَّب فلا وزرا
فإن يظفر به فترا
تولَّه قلبه زفرا
ر أو هم حيروا القدرا؟
سوى الخصمين إن حضرا

الحمد المعكوس

يا رَبِّ حمدٍ لم ينله الذي
وربَّ هجوٍ طاف بي لم يكن
قد ناله إلا لهجوي أنا
يطوف بي لو لم أكن محسنا

عدل الموازين

إننا نريد إذا ما الظلم حاق بنا
عدل الموازين ظلمٌ حين تنصبها
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت
عدل الأناسي لا عدل الموازين
على المساواة بين الحر والدون
بين الحلي وأحجار الطواحين

الخبز والفقير

أحسب الخبز لو درى لتأبى
إنما تُسَلِّسُ الطَّلَابُ جميعًا
في يد الجائع الفقير إليه
لامرئٍ هانتِ الطَّلَابُ عليه

شطور

دليل على أن الكمال محرّمٌ
فما المرء في جسم وروح بكاملٍ
إناثٌ خلقن بيننا وذكر
ولكنَّ كل العالمين شطور

الآمال

كانت الآمال تحملني
إن أحلامًا تعللني
فأراني اليوم أحملها
غير أحلامٍ أعللها

يوم ميلادي

يوم ميلادي تَقَدَّمَ
لا تقل لي قبل عام
لا تقل لي بعد عمري
غاية الأمر أظانين
سوف نمسي مثلما كُنْ
إن يكن ذلك شيئاً
أو يكن ليس بشيءٍ
أية الحالين قل لي
تظلمُ الموتَ إذا قلـ
نحن لا بالموت أُعطيـ
من يَعُدُّ يوماً كما
صفقة الأعمار فيها
وتَأخَّرُ ... وتَكَلَّمْ
كيف كنا أنا أعلم
كيف نمسي لست تعلم
وبعض الظن يأثم
سنا ولم نولد ونفطم
لست بعد الموت أعدم
أترى «لا شيء» يندم؟
بعد طول العمر أسلم؟
ت ظلومٌ ليس يرحم
سنا ولا بالموت نُحرم
ن فقد تم وتَمَمَّ
قلَّةُ الخسران مَغْنَمٌ

رجاء كاليأس

أنا لم أياس من الخير ولا
أنا أغنيت يدي عن خيرهم
فليكن من شاء منهم ملكاً
كلهم بعدُ سواءً عند من
أحسب الشر على الناس لزاما
وأمنت الشر من حيث ترامى
أو يكن جنأً على الكيد أقاما
لا يدين الناس شكراً وانتقاما

الحب إعطاء

لا تطلبِ الحبَّ بين الناس تأخذه
أشقى البرية من لم يعنه أحدٌ
بل فاطلب الحب تعطي منهما تجد
وليس من كان لا يُعنى به أحدٌ

موضع العجب

لا تعجبنَّ لعيبٍ واعجب لفضلٍ ونبلٍ
نقص الطبائع أصلٌ والفضل ليس بأصلٍ

أغلب الظن

أنا شيءٌ فكيف أصبح لا شيءٍ ء إذا تمَّ للحياة مداها؟
أغلب الظن أنني سوف أرقى غايةً بعدها تفوق ذراها

موت الحي

أعجب من حياة الميت

فيمَ عشنا وغاية العيش موتٌ؟ فيمَ متنا وغاية الموت بُقيا؟
أعجب الحاليتين عندي حيٌّ سوف يفنى لا ميتٌ سوف يحيا

زمان الذرة

دعوا الذرة تطغى في زمانٍ يعبد الذرة
صغيرٌ كل ما في الأر ض من جاهٍ ومن شهره
ومن خيرٍ ومن شرٌّ ومن رأيٍ ومن فكره
فلو قيسوا بلا جسمٍ لما ضاقت بهم إبره

هذا وهذا وهذا

وخانني عمرو فماذا أقول؟
عن صاحبيه فاحتواني الدهول
ممن أناجيه ففيه فضول
إذن وقل أنتم ثقأت عدول
هذا وهذا عنصر لا يحول
أنت فروع جمعتها الأصول

قلت لعمرو: خانني خالد
أبلغتها زيدياً فما زادني
ناجيتهم سرّاً وبني خيفة
ثق من خيانات بني آدم
لا تشك هذا عند هذا ففي
كل بني الدنيا ومن بينهم

ميثاق الأمم

ولبوا داعي الميثاق لبوا
فلا ينكل عن الميدان شعب
يروج أمرها باغ وحب
مخادعة بشيء لا يحب
إلى حق فما في الحق صعب
لما خدعت به من حيث تصبو

أجيبوا صيحة الدنيا وهبوا
توافقت الشعوب على رجاء
ولا تصغوا إلى من قال دعوى
هبوهم خادعين فهل رأيتم
إذا الأقوام جد بها هواها
ولو لم تصب دنياكم لسلم

تهنئة بمولد

بمولدي طبت من صديق
ساعة هنأت بالشروق
لم أدري ما وجهة الطريق
وكلهم ها هنا رفيقي
يدرون بالموعد الوثيق

مهنئي أنت يا صديقي
أنسيتني أنه غروب
تسع وخمسون في طريق
أسائل الركب أين يمضي
لا أنا أدري ولا رفاقي

ركبٌ عجيبٌ بلا دليل
إذا مضى منهم فريقٌ
وكلهم يبتغي مسيرًا
يطيقُ طولَ السَّفارِ عدوًا
إخالنا كلنا وقوفًا
في أبدٍ لا زمانَ فيه
أقرب من يومنا وأوفى
يكاد لولا الحجابُ يبدو
أُتْعَصَبُ العينُ حولَ سرِّ
من محدثٍ فيه أو عتيقٍ
ألي المطايا إلى فريقٍ
في مشرع سار أو مضيقٍ
وليس للمهل بالمطيقٍ
هنا على موقفٍ عميقٍ
مقترن السبق باللحوقِ
من طارق الليل في الطروقِ
كالظل من ستره الرقيقِ
والسرُّ في موضعٍ سحيقٍ؟

حشرات

ما وجَدْنَا مِنَ البريةِ إلا
حشراتٌ لا تعرفُ الخيرَ والشرَّ
خُلِقًا زائفًا وجهلاً مبينًا
وفيها الهلاكُ للعارفينَا

ألمُ اللذةِ ولذَةُ الألمِ

إذا صاحت الأَطْماعُ فاصبرِ فإنها
وقهر الفتى ألامه فيه لذةٌ
تنام إذا طال الصياح على النَّهْمِ
وفي طاعة اللذات شيء من الألمِ

الحياة حياة

قالوا الحياة قشورٌ
قالوا شقاءٌ فقلنا
إن الحياة حياةٌ
قلنا فأين الصميم؟
نعم فأين النعيم؟
ففارقوا أو أقيموا

المجد والفاقة

على المراقب يميناه بيسراه
ونسوة نسيت ما ليس تنساه
بل البلاء بلاء الخلق ننعاه
وأنفس الخبز في مصر وأعلاه
إذا الفقير طلاب القوت أعياه
ويبلغ المجد فيها مَنْ توخاه؟
عن غمرة العيش يثنيه وينهاه
في العجز لا في اقتسام الرزق أشباه؟
في باطن الأرض أو زادت خباياه
كالإثم يأبى العفيف الذيل رؤياه
ذلَّ الفقير سعوا في كشف بلواه
بالمال يدرون في الدنيا مزاياه

ضلَّ الصوابُ وعَمَّ الأمرُ واشتبهت
شيبَ عِراءَ وأطفالَ مُجَوَّعةً
ليس البلاءُ بلاءَ القوتِ نندبُهُ
ما أبخسَ الروحَ في مصر وأرخصها
لا تحسبوا أمة يعلو أعاضمها
أيرزح القوت في أرض بطالبه
هبكم قسوتم على من ذنبه كسلُّ
ما بالُ مَنْ ذنبه يا قوم أنكم
دفنتم المالَ أكامًا فهل نبتت
إن العزيز ليأبى الذلَّ يلمحه
وَأ لهفَ نفسي على قومٍ إذا نظروا
وَألف لهفٍ على قومٍ إذا شغفوا

الوجوه الكاذبة

كذَّابةٌ لا تحسن التمويها
لرأيتَ أقبح ما رأيتَ وجوها

سُحِّقًا لهاتيك الوجوه فإنها
حسنَت ولو نقلت صفات نفوسها

إلى السعادة

فما أنا من رجالِكُ
بالسعي خلف خيالكُ
مللتُ طول سؤالِكُ

مه يا سعادة عني
لا تطمعي اليوم مني
فقد سألتك حتى

وقد جهلتك لَمَّا
إن الحبيب بغيضُ
فلا تمرِّي ببالي
أشقى الأنامِ أسيرُ
سحرتني بجمال
إذا استعزَّ بخال
ولا أمرُّ ببالكُ
مُعَلَّقُ بحبالِكُ

اللؤم سلاح

يسر صديقي أن يراني مُبرأً
كما سرَّ خصماً أن يراك أمامه
هو اللؤم سيفٌ للئيم وجُنَّةٌ
فَوَاهَا لنفسي في المجال مجرِّداً
من اللؤم موسوماً بكُلِّ سماح
تنازله حرباً بغير سلاح
من الناس والدنيا مجال كفاح
أضعت مجني بينهم ورماحي

العقل والجنون

ليس بين الجنون والعقل إلا
أول الخطوتين نسيانك النا
خطوتا سائرٍ فحاذِرُ وأمسكُ
سَ وأما الأخرى فنسيان نفسكُ

الرجاء

ما للرجاء كأنه نغمٌ
يا ضاحكاً للناس يخدعهم
لو نال منك الناس أجمعهم
لكنْ بخلتَ فما يزال لهم
وردوا إليك فكان أظمأهم
يدنو فأسمعُه فيبتعدُ
هلاً وفيت لهم بما تعدُ
فوق المرام لأمكن المددُ
شوقٌ إلى شوق وإن جهدوا
قلباً على شطيك من وردوا

حظ الشعراء

وطيرٌ ولكنَّ الجدودَ قعودُ
 بعيدٌ وأقطار السماء بعيدا
 راحة هذا العيش وهو رغيد
 تدوم لهم أحلامهم وتجد
 وما أنصفتهم صحبةٌ وجدود
 فينظم منها جوهرٌ وعقود
 غبين وغبن الشاعرين شديد
 محبٌ عليها من حلاه نضود
 ومهما تردُّ في العيش فهو يريد
 خليٌّ ويُرَوَى عن هواه عميد
 يذاد عن الدنيا وليس يذود
 به عَمَهُ عن نفسه وشرود
 وحمقٌ وقلبٌ ذائبٌ وجمود
 هي النار تخبو ساعة وتعود
 ولكنه بين الأنام فقيد
 فإنَّ مَدَّ بالكفين فهو طريد
 وأدنى مُنَاهُ في الممات خلود
 قديمٌ وماضيه القديم جديد
 وإن مات عاش الدهر وهو شهيد
 وليس له عن حالتيه محيد
 أولو الفهم لو أن الفهوم تفيدُ

ملوكٌ فأما حالهم فعبيدُ
 أقاموا على متن السحاب فأرضهم
 مجانيُن تاهوا في الخيال فودَّعوا
 وما ساء حظ الحالمين لو أنَّهم
 فوا رحمتا للظالمين نفوسهم
 ويذرون من مس العذاب دموعهم
 بني الأرض كم من شاعرٍ في دياركم
 بني الأرض أولى بالحياة جميلة
 محبٌ تناجيه بأسرار قلبها
 على أنه قد يبلغ السُّؤْلَ خاطبُ
 بني الأرض لا تنضوا له السيفَ إنَّه
 أريد به للناس خيرٌ فلم يزل
 تجمَّعت الأضدادُ فيه فحكمةٌ
 حُماداه صبرٌ في الحياة وإنما
 مقيمٌ على عرش الطبيعة حاضرٌ
 إذا جال بالعينين فالكون بيته
 وأقصى مُنَاهُ في الحياة نهاره
 يرى الغيب عن بعدٍ فمقبل عهده
 إذا عاش في بأسائه فهو ميتٌ
 شقاوته في الشعر وهو هناؤه
 جنونٌ أحق الناس طرًّا بهجره

عزاء

لا اليأس أول يأس ولا الرجاء بسرمد
فإن تقضى رجاءً فإنه يتجدد
أو حلَّ يأس فأهلاً إن الطريق ممهد
شق الطريق قديماً فالعود أهدى وأحمد

إنصاف الظالم

أنصفتَ مظلوماً فأنصفَ ظالماً في ذلة المظلوم عذراً الظالم
من يرضَ عدواناً عليه يضره شرٌّ من العادي عليه الغانم

أحلام الموتى

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر العبقري عبد الرحمن شكري):

ستغرب شمسُ هذا العمر يوماً ويغمضُ ناظري ليلُ الجِمامِ
فهل يسري إلى قبري خيالٌ من الدنيا بأنباء الأنامِ
ويُمسي طيفٌ من أهوى سميري ويؤنس وحشتي ترجيعُ هامِ
وأحلم بالزواهر دائراتٍ وبالزهر المنور والغمامِ
ألا ليت النيام هناك تحظى بأحلام كأحلام النيامِ
وليت الوردَ يورقُ فوق رمسي فتعبق في نوافحه عظامي
وأبسم في أزاهره لدنيا عبست لوجهها فوق الرغامِ

فأجابني بأبيات يقول منها:

وكان النَّصْفُ أن نرضى بموت
أليس الكون أكبر منك شأنًا
فلا طيفُ يساعد باللمام
وأولى بالمقادر والنظام

فراجعته بالأبيات الآتية:

أَبَيْتَ عَلَيَّ أَحْلَامَ الرِّجَامِ
رضينا بالحمام أصم يحشو
رضينا بالحمام كما رضينا
خلعت اسمي على الدنيا ورسمي
حياتي في حياة الكون طرًّا
وما شمس الحياة بمستحيل
يظل الحسن في المعشوق حسنًا
تنير حواشي الموت الزؤام
منافذ حسه سافي الرغام
بعيش نوره ظلُّ الحمام
فما أبكي رحيلي أو مقامي
كقطر الغيث في اللجج الطوامي
سناها إن قضيتُ إلى ظلام
وإن حسرت لحاظ المستهام

ضيق الأمل

شر ما يلقي الفتى أجلُّ
ولشر منهما أملُّ
ضيقٌ عن واسع الأمل
ضيقٌ في فسحة الأجل

الشيء من غير معدنه

ليس أضنى لفؤادي
ودميم يتحالي
وجهول يملأ الأر
من عجوزٍ تتصابى
وعليم يتغابى
ض سؤالاً وجواباً

خَفِ العيش

خَفِ العيش فَإِنِ المَوْتُ
وَإِنِ المَوْتُ إِذْ يَأْتِيهِ
ت لا يَفْجَعُ مَوْلوداً
ك لا يَلْفِيكَ مَوْجوداً!

السعادة

إِنِ الشَّقِيُّ الَّذِي لا صَنُو يَشْبِهُهُ
مِنَ شَابَةِ النَّاسِ سَرَّتَهُ مَوَدَّتُهُمْ
فَاهِنًا بِمَجْدِكَ إِذْ تَشْقَى بِعَزَلَتِهِ
إِنِ السَّعَادَةُ تَحْتَ الأَرْضِ مَعْدِنُهَا
وَلِلْأَصَاغِرِ أَشْبَاهُ وَأَمْثَالُ
وَمِنَ عَلا عَنَهُمْ سَاءَتْ بِهِ الحَالُ
وَلِيَحْظَ بِالصَّفْوِ أَوْعَادُ وَجِهَالُ
لا يَطْلُبُ السَّعْدَ مِنْ أَوْتُهُ أَجْيَالُ

زماننا

فَشَّتِ الجِهَالَةُ وَاسْتَفَاضَ المُنْكَرُ
وَالصَّدَقُ يَسْرِي فِي الظَّلامِ مَلْتَمًا
إِنَّا لَفِي زَمَنِ كَأَنَّ كِبَارَهُ
مِنَ كُلِّ ذِي وَجْهِ لَوْ أَنَّ صِفَاتِهِ
بئسَ الزَّمانُ لَقَدْ حَسِبْتَ هَوَاءَهُ
وَكَأَنَّ كُلَّ الطَّيِّبَاتِ يَرُدُّهَا
وَتَبَّ اللُّئَامُ إِلى ذِراهِ فَفَهَّقَهُوا
ما نَيْلٌ فِيهِ مَطْلَبٌ إِلا لَهُ
وَيَقْدِرُ ما بَدَلَ امْرُؤٍ مِنْ قَدْرِهِ
فَالْحَقُّ يَهْمِسُ وَالضَّلالةُ تَجْهَرُ
وَيَسِيرُ فِي الصَّبْحِ الرِّياءُ فَيَسْفِرُ
بِسُوءِ الكِبائِرِ شَأْنُهَا لا يَكْبُرُ
تَنْدَى لَكَانَ مِنَ الفُضِيحَةِ يَقْطُرُ
دَنَسًا وَأَنَّ بَحارَهُ لا تَطْهَرُ
فِيهِ إِلى شَرِّ الأُمُورِ مَدْبِرُ
إِنِ القُرُودَ لِبِالتَّسْلِقِ أَخْبِرُ
ثَمَنٌ مِنَ العَرْضِ الوَفِيرِ مَقْدَرُ
يَجْزِي فأكْبِرُ مِنْ تِراهِ الأَصْغَرُ

صلاح المشيب

أُبْعِدَ الشَّيْبَ تَرغِبَ فِي الصَّلَاحِ
فَرغْتَ مِنَ الحَيَاةِ فَأَنْتِ تَرجُو
رَجَعْتَ عَنِ الحَرَامِ وَأَنْتِ عِنْدِي
فَمَا تَقْوَى الشَّيْوَخِ سِوَى اضْطِرَارِ
وَتَزْهَدُ فِي المَدَامَةِ وَالمَلَاكِ؟
حَيَاةً فِي الفِرَادَيْسِ الفَسَاحِ
عَجَزْتَ عَنِ المَحْرَمِ وَالمَبَاحِ
كَتَقْوَى اللِّصِّ بَاتِ بِلَا سَلَاكِ

عمر يوم

مِنَ النَّاسِ فَدَمُّ يَوْمِهِ مِثْلُ أَمْسِهِ
تَسْرِبِلٌ حِينًا بِالحَيَاةِ فَشَانِهَا
فَأَيَّامُهُ مَا عَاشَ يَوْمٌ مَكْرَرٌ
كَمَا يَلْبَسُ الخَزَّ الأَجِيرُ المَسْخَرُ

الملام

أَنَا لَا أَلُومُ وَلَا أُلَامُ
لَيْسَ العِتَابُ بِمِصْلَحِ
أَنَا إِنْ غَنِيْتُ مِنَ الأَنَا
وَإِذَا افْتَقَرْتُ إِلَيْهِمْ
حَسْبِي مِنَ النَّاسِ السَّلَامُ
خَلًّا تَوَارَثَهُ الأَنَامُ
مِ فَقَدَ غَنِيْتُ عَنِ المَلَامِ
فَاللُّومُ مِنَ لُغُو الكَلَامِ

الفضل المغموط

إِذَا كُنْتُ ذَا فَضْلٍ فَلَا تَكِ غَاطِبًا
لَعَلَّكَ لَا تَرْضَى وَقَدْرَكَ خَامِلًا
جَهُولًا بِلَا فَضْلٍ لَدَيْهِ يُعْظَمُ
وَيَعْرِفُهُمْ مِنْ أَنْ يَمُوقَ وَيَعْلَمُوا
بِأَنَّكَ تَغْدُو مِثْلَهُ وَهُوَ مَكْرَمُ

قانون العظماء

لا تلحَ ذا بأسِّ وذا همّةٍ
فليس مقياسُك مقياسَهم
والليث لا توثق أعضاده
انظر إلى ما خلّفوا بعدهم
لم يخط إن داسَ رعوس الورى
من ركب الهائل من أمره
على ذنوب العصابة الغلب
ولا همُ مثلك في المأرب
حباله تنصب للثعلب
من المعالي ثم لم واعتب
من علقت كفاه بالكوكب
فعدزه في ذلك المركب

مدح الناس

ما عهدنا الأنام أجود بالمد
إنما يظهر الأنام ضئيلاً
ح لأعلام لديهم مكانا
ليس يخفيهم إذا هو بانا

حب النفس

ما في الأنام سوى محب وامق
في كل قلب صورةٌ معبودة
لا القبح ينقصه وليس بزائد
عشقٌ تملك كل نفس حية
سكن الغرام بكل قلب خافق
وكمين وجدٍ بالجوانح عالق
حسن الشمائل في هواه الصادق
في الكون والمعشوق عينُ العاشق

كنت فصرت

كأس الحياة أعلّيني على ظمأ
وأسكريني حتى لا يكون ردى
وفتشي في زوايا القلب فاقتدحي
وبللي بالحُميا طين صلصالي
إلا كما غاب حسُّ بعد جريال
ظناً بظن وبلبالاً ببلبال

إني حسبت حياتي غير واحدةٍ من التغير من حالٍ إلى حال
... ..

* * *

إن الحياةَ حياةً كيفما اختلفت ألوانها من مسراتٍ وأوجال
كم ذا أهبت بروحي أن تفارقني ورحت أجفل منها أي إجمال
فالأَن أنشد الأمي وأحمدها كيما أحس بروحي بين أوصالي

الغنى والسعادة

لا تحسدن غنيًا في تنعمه قد يكثر المال مقرونًا به الكدرُ
تصفو العيونُ إذا قَلَّتْ موارِدُها والماء عند ازدياد النيل يعتكُرُ

يا كتبي

يا كتبي أشكو ولا أغضب ما أنت من يسمع أو يُعتَبُ
يا كتبي أورثتني حسرة هيهات لا تُنسى ولا تذهب
يا كتبي ألبيت جلدي الضنى لم يغن عني جلدك المذهب
كم ليلةٍ سوداء قضيتها سهران حتى أدبر الكوكب
كأنني ألمح تحت الدجى جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إما غارقُ في الكرى أو غارقُ في كأسه يشرب
أو عاشقٌ وافاه معشوقه فنال من دنياه ما يرغب
أو سادرٌ يحلم في ليله بيومه الماضي وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتني وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى وخبرة صاحبها متعب
إذا أراني النور قبحًا فيا حسن الذي يضمه الغيهب

عن أسر أرواحك والمهرب
به على الله ولم يذنبوا
سدى ومن وقتي وما أكسب
فما أنا إلا الفتى الأشيب
لكان في النار لها معطب
عمرٌ تقضى شطره الأطيب
من علّم العالم أن يكتبوا

يا كتبي أين ترى المنتأى
أنفقت مني ما يضمنُ الورى
من ضوء عيني ومن صحتي
ومن شبابٍ فيك ضيعته
لو كنت كالجبار في نقمتي
في ذمة الطرس وفي حفظه
لا رحم الرحمنُ فيمن مضى

الشيب الباكر

يا صبحُ جرتَ على الظلماء في القسَمِ
فكيف لحت بفجر منك متهم؟
يداك يا شيب في مسوِّدة اللَّمم
إلا كما تنقضي الأعوام في الحلم!
وكنت أعهد فيها ثقله الرحم
وإنما أنت خدن الويل والألم؟
فانزل فقد نزل في أعظمي ودمي
ولست مُهرِم قلبٍ ليس بالهرم
من واضح الشيب بعد الشيب في القتم
عليك إلا كجلباب من الكتم
دون الثلاثين قد ساواك في الهرم
لم يدكّر من شباب كان أو نعم
إن لم تشب أبدًا كفي ولا قدمي
كلا ولا شيم الفتيان من شيمي
فانزل بلا ضائق بالشيب أو برم
بالصبح أم أنت ضوء النجم في الظلم
صفواً وبُعْدًا لليلٍ فيه لم أنم

ما أقبل الليل حتى طرت بالقمم
وما انقضى شفق الأيام عن عمري
لو كنت تحسب أيامي لما خطرت
دون الثلاثين تعرفوني وما انصرمت
مرّت بقادمتي نسرٍ مولية
وما اعتدادك بالأيام تحسبها
إذا ألمًا بإنسان صحبتهما
ما أنت طارق دارٍ لا رفيق بها
قد شبتُ والشعرُ مسودٌ فما عجبني
ما كان مسود شعري وهو مشتملٌ
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجلٌ
إذا أدكّرت شبابًا في النعيم مضى
وما انتفاعي وقد شاب الفؤاد سدى
وليس ما يخدع الفتيان يخدعني
يا شيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها
من لا يبالي أفجرٌ أنت تنذره
يا مرحبًا بصباحٍ ليس يسلبني

إيه يا دهر

إيه يا دهر هات ما شئت وانظر
ما تعسفت في بلائك إلا
عزمات الرجال كيف تكون
هان بالصبر منه ما لا يهون

الخداع القاتل

إلام تخدعني عيني وما انخدعت
جربت كل خليل في مودته
أكلما ضاء لي نجم فأتبعه
أكلما قلت هذا جوهرٌ نطقت
أكلما لاح لي صيدٌ فأحسبه
أكلما قلت هذا كوثرٌ خَضِرُ
ويلاه ما أحقر الدنيا وأبغضها
عزَّ الكمالُ على خَلْقِ الخيالِ فما
نفسي ولكنها تهفو مع البصر؟
فما جمعت يدي إلا على صَفَر
خبا الضياء فلم أبصر سوى كدر؟
عليه دون بناني خسة الحجر
صيد الأسود إذا الجرذان في الأثر
تجمع الصاب لي في الكوثر الخضر
لم ينحُ أحسن ما فيها من القدر
طماعة المرء أن يلقاه في البشر!

الهداية

كم في السماء نجومٌ
وأنت في الأرض تبغي
ضلت سواء السبيل
هَدِيًّا بغير دليل

سحر الدنيا

سحر دنياك يا أخي قديمٌ
أفيمضي بسحرها كاهنٌ ما
سوف يبقى ويذهب الكهان
تَ وفيها الشموس والأغصان؟
أفيمضي بسحرها كاهنٌ ما
تَ وفيها الثغور والأجفان؟

أفيمضي بسحرها كاهنٌ ما تَ وفيها الألحان والألوان؟
كاهن الأولين أول مسحو ر وفي كل حقبة ترجمان
سحر دنياك دائمٍ حيثما دا م عليها الإنشاد والتبيان
سحر دنياك دائمٍ حيثما دا مت عليها الحياة والإنسان

فلسفة حياة

الغرام الملك والملك الضياعُ هات لي الحسن الذي ليس يضيعُ
ليلة قمرء أو سحر سماعُ أو قصيدًا راق أو زهر ربيع
قال قومٌ زينة الدنيا خداعُ قلت خيرٌ بالذي نشري نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيا وصامُ أنا أنعاهها ولكن لا أصومُ
طامع الغرب رعى الدنيا وهامُ أنا أراعهاها ولكن لا أهيمُ
بين هذين لنا حد قوامُ وليكُم من كل حزبٍ من يلومُ

* * *

أيها السائل: ما بعد المماتُ يمم الصحراء وانظر قفرها
ما وراء القبر في قول الثقاتُ حالةُ تحمد يومًا سرها
لست بالراضي حياةً كالحياةُ لا ولا ترضى حياةً غيرها

* * *

يعبد الأقوام ما يخشونه وأنا أعبد ما لست أخاف
ليس ينسى الله من ينسونه فعلام البحث فيه والخلاف؟
إن وصلتُم أو وقفتُم دونه لم يقف دون مقامٍ أو مطاف

* * *

شرعك الحسن فما لا يحسن فهو لا يحلو وإن حل الحرام

ليس في الحق أثامٌ بيِّن
ما عدا هذين مما يمكن
غير مسخ الحسن أو نقص التمام
فاستبحه وعلى الدنيا السلام

إنذار الغضب

إلى الحق المحتجب

يا حقُّ لا تبرحُ خباءكُ
فيم الإباء ولم نكن
فالزم مكانك في الثرى
ما الروضة الغناء ذا
والحسن عند المبطـلـ
ما فاز من يرجو رجا
أنا إن سلوتك لم أكد
يا حق هذا حدُّنا
إن جئتنا طوعاً فجئ
أتعبتنا سعياً وراءك
يا حق إلا أصدقاءك
إن شئت أو فالزم سماءك
بله إذا حرمت ضياءك
سين وعند من يهوى عداك
لك في الحياة ولا نساءك
أشتاق ما يغني غناءك
فاختر ظهورك أو خفاءك
أو لا فلا تبرح خباءك

كل ما فيها امرأة

أيما لفضة جرت
تبتغي الزوج من فئه
ليس بالجسم وحده
من فم المرأة امرأة
والأخلاء من فئه
يعرف الجنس منشأه

المعروف والمنكر

كل ما تصنع الحياة يُرَجَى
فإنذا أنكروا قبيحاً ففي القبر
ذاك لب اللباب في كل شيء
من بنيتها قبوله واعتقاده
ح من الموت لونه أو شعاره
شطّ بالفكر أو تدانى مزاره

حكمة التوائم

حكيمٌ ذلك التوأم
تهيبُّ أرضهم فرداً
ولو جاء بجيشٍ كا
ومن آبائه أحزم
فجاء بصاحب ملزم!
ن في تدبيره أحكم

على بحر الحياة

أمن نظرة الآباد والمثل الأعلى
لقد كانت الأجيال عندي قريبةً
نظرتُ إلى عُليا الحياةِ أرودها
فألقيتُها صِفراً ولم أحمدِ السفلى
على اليمِّ لم يضربْ يدًا فيه أو رجلا
فإن شئتُ قُلْ هذا غريقٌ وإن تشأ
فقل سابحٌ لم يدرِ أقبَل أم ولَّى

نقمة في نعمة

نعمة الإحساس ما بَرَحَتْ
لا يحسُّ الفقدَ فاقدها
نعمة في طيِّها نقمُ
ونصيبِ الواجدِ الألمُ

رعونة الحياة

فيم اقتحام جنين واهن عطل
هي الرعونة في طبع الحياة توت
أرضاً أبوه بها حيران مهموم
وإنما حكمة الأقسام تعليم

بنية قوية

تعاقب السوس والجراد وما
فلا تخف أفة ولا غيراً
دنياك هذي قوية صمدت
باد ربيع ولا انطوى شجر
يمنى بها في الضمائر البشر
لكل شر جرى به القدر

ما فوق الحياة

يا طالباً فوق الحياة مدى له
ما في خيالك صورة تشاقها
ولو استويت على الخلود وجدتها
يعلو عليها، هل بلغت مداها؟
إلا وحولك لو نظرت تراها
كفواً لعينك لا تروم سواها

على الشاطئ

وردوا البحر فأهلاً
أنت لا تحفل منهم
بهم يا بحر أهلاً
من ولى أو من تولى

* * *

نزلوا شطك غيداً
طلبوا في الماء برداً
وشباباً ومشيباً
فذكا الماء لهيباً

* * *

وردوا البحر عطاشاً رشفوه غرفوه!
لو يكون البحر بحرًا من سرورِ نزفوه

* * *

المساكين يريدون ن من الدنيا اتساعا
اخذعوها فهي لا تو سعكم إلا خداعا

* * *

وإذا لاحت بوجهه يملأ الأبصار رعبا
فاضحكوا منها وقولوا ما أُحْيَى ما أحبا!

* * *

وإن مدّت إليكم بيد فيها الحمام
فخذوا الموت وقولوا هو خلدٌ وسلامٌ!

نصف رغيف

عجبي للحياة أشرف ما تحـ وويه وقفٌ على الحقير الطفيف
صفحات السماء والأرض طرّاً والمعاني من تاليدٍ وطريفِ
والوجوه التي تشوقك حسناً تنطوي إن فقدت نصف رغيف

ذات وجوه

وجوه حياتنا متعددتُ ودع عنك البراقع والطلاءُ
فإن تحمد وسامتها صباحاً فقد تنعي دمامتها مساءً

ضلال الخلود

كان في الأرض قبل عشرين ألفاً
كان لا شك فيه عندي ولا ميد
نظم الشعر في الحسان وحيي
ليت لي من قصيده بيت شعر
ليت لي من قصيده فرد بيت
اشترى بيته بديوان شعبي
ضلة للخلود نأسى عليه
من سني الأرض شاعرٌ عبقرِيٌّ
من وإن شك جاحدٌ وغبي
قبلة الشمس وهو داع شجي
في ثنايا البلاد يرويه حي
صح أم لم يصح منه الروي
ين فأين المساموم الصيرفي؟!
أخذُ الخالدين فينا دَعِيٌّ!

أصداء الشارع

بنو جرجا ينادو
وإسرائيل لا يألو
وبتراكي إلى الجو
وفي كفيه أوراقُ
وأقزامٌ من اليابا
وإن لا تكن الفصحى
قريبٌ كلها الدنيا
دعا الداعي فلبوه
إذا ناديت يا دينا
فما في الناس هاذك
ن على تفاح أمريكا
ك تعريبًا وتترিকা
د على الإسلام يدعوكا
بكسب المال تغريكا
ن بالفصحى تحيكا
فبالإيماء تغنيكا
كرجع الصوت من فيكا
طغاةٌ وصعاليكا
ر من ذا لا يلبيكا
ولا في الأرض هاتيكا

عصر السرعة

طاروا وداروا مسرعين في الثرى
لو لم يكن هذا الزمانُ آفةً
يركب منهم رأسه من ركبا
ما اتخذوا السرعة منه مهربا

عسكري المرور

متحكماً في الراكبيـ
لهم المثوبة من بنا
مُرٌّ ما بدا لك في الطريـ
أنا ثائرٌ أبداً وما
أنا راكبٌ رجلي فلا
وكذاك راكب رأسه
من وما له أبداً ركوبه
نك، حين تأمر والعقوبه
ق ورُضٌ على مهل شعوبه
في ثورتي أبداً صعوبه
أمرٌ عليّ ولا ضريبه
في هذه الدنيا العجيبه

الفنادق

فنادق تشبه الدنيا لقاءً
تقول لكل من وفدوا عليها
فمن تلقاه في يومٍ صباحاً
ورب عصيةً في الحب باتت
تقول لقلبها ما الحب إلا
فلا سرٌّ هنالك مستباح
مَنَازِلُ كُلُّ ما فيها انسجامٌ
وما افتردت شعوب الأرض يوماً
ففيهم يافتُ حيناً وشيئٌ
وتفرقةً وإن قصرَ المُقامُ
بأن العيش نهبٌ واغتنام
تفارقه إذا جن الظلام
وأقرب من بدايتها الختام
أمانٌ حيث يزدحم الزحام
ولا شوقٌ هنالك أو غرام
مَنَازِلُ كُلُّ ما فيها انقسامٌ!
كما افترقوا إذا انصرفوا وهاموا
وفيهم تارةً حامٌ وسامٌ

شبران من ذاك البناء
بيني وبين المال والد نيا العريضة والثراء
ليست بأقصى في الرجاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كلا ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعرفت أماد السماء؟!

* * *

في سكتي أبداً وما
من سكة أبداً إليّ هـ ولست ألغز عندما
أصفُ الطريق أو الحمى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل: أهذا مصرفٌ ملئوا جوانبه دما؟
تجد الصواب مجسماً

* * *

فيه دم لا شك فيه
في كل طرسٍ أو كتا ب أو سجلٌ يحتويه
ودم المقتتر والسفيه
يجري هناك وأنت تحـ سبه من الورق الرفيه
نغليه كالدم في العرو ق سرى وكالدم نتقيه
وسل المدلس والنزيه!

* * *

سلني فلم أك طالبا
ورقاً هناك على الرفو ف أنال منه جانبا

خواطر وتأملات

وأعد منه حاسباً
إلا لأوراق أراها قارئاً أو كاتباً
ولما تجيش به الخواطر حاضرًا أو غائباً
ودع الحسود الغاضباً

يا رب ... ويا خلق!

يا رب!

يا رب أعطيناك أرواحنا
يا ربنا فاقض لنا مرةً
في هذه الحرب وفي الماضيه
بالسلم في أيامنا الباقيه

يا خلق!

يا خلق ما أرواحكم سمحةٌ
أعطيتم إبليس أضعافها
عندي ولا إن سمحت كافيه
من حيواتٍ عندكم غاليه
وبعتم في سوقه كل ما
وهبتكم من عيشة راضيه
لم تشتروا السلم بأرواحكم
بل اشتريتم نقمةً ثانيه
عطاؤكم إبليس سمحٌ بلا
أجرٍ ولا أمنيّة خافيه
وما بذلتكم قط لي قربةً
إلا رجاء العفو والعافيه!

بابل الساعة الثامنة

(في بعض الأحياء يمنع الشُّرطُ نداءَ الباعةِ قبل الساعة الثامنة، فيجتمع الباعة عند
مداخل تلك الأحياء صامتين متأهين، حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة
واحدة ينادون على السلع، كلُّ وما يبيع، وهي خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه، فهي
بابل لا مراة!

قابل بين بابل هذه وبابل الفجر الذي تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط، ولكنها تنسجم في معناها المباشر باستئناف الحياة وعودة النور، وإن هذه المقابلات جميعاً لحقيقة في الشعر ببعض الإصغاء.)

كم بابل في الساعة الثامنة
خفية الأصداء لا تنجلي
شتى فإن أفردتها لم تكد
كأنما تُصْغِي إلى راطنٍ
لفلظةً ينطقها دونها
واسم يليه اسمٌ وما جَمَعْتُ
إن بعدت عن سامعٍ أو دنت
البرتقال الحلو والفحم والـ
والبيض والأثواب والتبغ والـ
وأشربات العصر في حينها
والناي والأرغن تتلوهما
ومن يناديها ويدعو بها
مخلوطة ممزوجة كلها
في بابل الباعة تلك التي
يحبسها الشرطي حتى إذا
أطلقها فانطلقت فجأةً
تجدُّ أقصى الجدِّ لكنها

تثورُ في حلبتنا الساكنة
ولم تكن عجماء أو واهنة
تبين منها لفظةً بائنة
يُتَعَتِّعُ الأحرفَ أو راطنُه
عشرون في حلقومه قاطنه
قرينةٌ بينهما قارنه
لم تدنُّها أو صافها المائنه
أطباق والريحانة الفاتنه
أخشاب والزينة والزائنه
مثلوجة إن شئت أو ساخنه
ريابةٌ كالهرة الداجنه
إليه في زوبعة زابنه
معجونة في لفظها عاجنه
تسمعها لا بابل الحائنه
حانت لديه الساعة الثامنة
على الحمى كالفارة الكامنه
في السمع كالمجنونة الماجنه

إذا تمادى النوم بي ضحوهً
أيقظني من بابلي هذه
أو أرقتني خطرةً رائنه
نفيرُ حربٍ في القرى الآمنه

عباد الطغيان

لكم كلكم مع الغالب الظا
لو وقفتم يوماً إلى جانب المغ
لم لا تعدموا من الظلم رغما
للوب ما فاز غالبُ قط ظلما

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه

تعلم كيف تستغني
فمن يجهل ما يُلقي
إذا ما شئت أن تغني
فقد يجهل ما يجني

فصد

قالوا هي الحرب فصد
قلنا نعم فصد عرق
به الشفاء يُؤمل
حي وإعفاء دمل!

الخلودُ المزدري

نفوسُ أعافٍ مقامي بها
وسجنُ أعافٍ وجودي به
أأخذُ فيها لبئس الخلودُ؟!
أليس كفيلاً ببغض الوجودُ؟
فدعُ عنك يا صاحبي خالدك
فلا خير في عيشهم سرمدًا
وقل من مَرَكٌ لهم أو شهيدُ
إذا سُرمدوا في ضمير القروء
فربُّ خلودٍ كقيد السجين
ونسيان قوم كفك القيود

من الطوارق نُزَّالٌ وَضِيفَانُ
 والشاعر الفذ بين الناس رحمانُ
 لو يسمع الصور يوم البعث صفوانُ
 على الجماد فيزكو فيه ريعانُ
 من الخلائق سُمَّارٌ وَخُلْصَانُ
 إذا جفاه من الأحياء خَوَّانُ
 والودق يبكيه دمعٌ منه هتانُ
 ثغر الورود ومالَ السَّرْوُ والبانُ
 للريح والغاب أبواقٌ وعيدانُ
 كأنما هو في الدنيا سليمانُ
 ما فرقته أقانيمٌ وصلبانُ
 دينٌ لعمرك لا تنفيه أديانُ
 لولا التجاذب ما ضمتك أكوانُ
 إلى الحياة بما يطويه كتمانُ
 خرساء ليس لها بالقول تبيانُ
 ففي صحائفه للشعرِ ديوانُ

إني ألوذ بشعري حين يطرقني
 والشعر من نفس الرحمن مقتبس
 كأنَّ من صُورِ إسرافيلَ دعوته
 يظل ينظفُ من ماء الحياة ندَى
 فما يزال لراويه وقائله
 يجني المودة مما لا حياة له
 ويحسب النجم أَلحَاطًا تساهره
 إذا تجهم وجه الناس ضاحكُهُ
 أو ملَّ هاتفةَ الأصواتِ أسمعهُ
 تُفْضِي له ألسنُ الدنيا بما علمتُ
 لقد عبت الأقانيم التي جمعت
 الحب والشعر ديني والحياة معًا
 هي الحياة جنين الحب من قدم
 والشعر ألسنة تقضي الحياة بها
 لولا القريض لكانت وهي فاتنةً
 ما دام في الكون ركنٌ للحياة يُرى

سر في طريقك

تحفل بمن جد في لوم ومن لعبا
 ويغضبون على من يحفل الغضبا

سر في طريقك بين اللائمين ولا
 فالناس يرضون عنم ليس يحفلهم

الخلاصة

ليست خلاصة كل شيء غنيّة
عنه وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا
يغني العيون عن الربيع الزاهر

وصايا معكوسة

من عمل بها فعليه وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله: « اذهب إلى السوق فهات عنبًا حامضًا! » فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض، وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه، وكذلك هذه الوصايا إنما هي وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب. والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانًا بين الناس، وتذكر أن يشيع):

الضعة والشرف

وال المدنّس بالعيوب ولا تكن
فذوو المعائب لا تناحرَ بينهم
وذوو المعائب آمنون لمن وفى
وذوو المعائب ما لهم من حاصرٍ
وذوو المعائب يسترون خلالهم
وذوو المعائب عذرهم في نقصهم
وذوو المعائب ينعمون بحظهم
ولربّ ربح فات من ذي ذمة
رأيّ السلامة إن أردتَ فخذُ به

يومًا وليًا للنبيّل الطاهرِ
والنبل فيه سبيل كل تناحر
والنبل ليس بأمن للغادر
والنبل محصورٌ قليل الناصر
والنبل ما لهناته من ساتر
والنبل ما لكماله من عاذر
والنبل ما لشقائه من آخر
يسعى إليك مع الخئون الخافر
أو لا فدعه إن استطعت وخاطرِ

بمن تثق؟!

ثِقْ بِالرَّذِيلَةِ تَلْقَهَا
إِنَّ الْفَضِيلَةَ قَلِمًا
حَتَّى الْأَفْضَلُ عَرْضُهُ
مَا كُلُّ يَوْمٍ يَرْتَجِي
وَمِنَ النَّوَادِرِ أَنْ تَرَى
مَنْ لَمْ يَدْرُ فِي دَهْرِهِ
فِي كُلِّ حِينٍ حَاضِرَةٌ
تَلْقَاكَ إِلَّا عَابِرَةٌ
لَهْوَى الْهِنَاتِ الْبَادِرَةٌ
عَطْفَ النَّفُوسِ الطَّاهِرَةِ
عِنْدَ التَّعَطُّفِ قَادِرَةٌ
دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّائِرَةُ

ومن تكون

ومن لا تكون

كُنْ بَيْنَهُمْ «بُؤْذًا» فَإِنْ لَمْ تَتَّقْ
أَوْ عَشْ مَعَاقِي بَيْنَهُمْ لَا تَرَى
قَدْ ضَلَّ مِنْ يَطْلُبُ إِصْلَاحَهُمْ
يَأْمَنُهُمْ مِنْ فَاتِهِمْ طَائِعًا
أَوْ رَاحَ مِنْهُمْ طَالِبًا نَفْعَهُ
مَنْ هَانَ أَوْ هَانَ الْوَرَى عِنْدَهُ
أَوْلَيْتَكَ الرَّهْطَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
يَا بؤس أرض لا ترى فوقها
فَكُنْ كَتِيمُورَ وَنِيرُونَا
إِصْلَاحَهُمْ دُنْيَا وَلَا دِينَا
لَا غُرُو أَنْ سَمَّوْهُ مَجْنُونَا!
أَوْ سَاقَهُمْ كَرْهًا مَطِيعِينَا
لَا عَالِيًّا يَا بُيْ وَلَا دُونَا
أَوْ سَامَهُمْ فِي ظَلْمِهِ الْهُونَا
يَأْمَنُ مَا يَخْشَى النَّبِيُونَا
إِلَّا طُغْيَاةً أَوْ مَرَائِينَا

صُورُ الرَّجَاءِ

أَمْسَيْتُ أَذْكَرُ مَا مَضَى مِنْ صَبُوتِي
قَدْ يِيَّاسُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَدِهِ وَلَا
بَعْضُ الْغَدِ الْآتِي كَأَمْسِ الدَّابِرِ
وَالذِّكْرُ آمَالِ الزَّمَانِ الْغَابِرِ
مَا شَتَّتْ مِنْ صُورِ الرَّجَاءِ فَلُدُّ بِهِ

قرش معقول

إن أحبُّوا القرش لم يجدوا
فإذا ما الطفل هام به
يا محبي القرش ويحكمُ
هل علمتم في طرائفكم
ذاك قرش الطفل نضح من
وهو أولى من قروشكم
هو «حق» عنده جِلُّ
ثمن الحلوى يلدُّ بها
وأفانين الملاعب لم
وهو وهمٌ في خزائنكم
وسجين ثمَّ مُدَّخَرٌ
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا
الحياة الحق ناضرةٌ

عجبًا في حبه الخطر
جعلوه طرفة السمير
هل سمعتم أصدق الخبر؟
أي قرشٍ بالهيام حري؟
حبه إياه في الصغر
كلها بالحب والسهر
حاضر الميعاد والأثر
وجمال الحسن والنظر
تخل من نفع ومن ثمر
وخيالٌ كاذب الوطر
لرجاءٍ غيرٍ مُدَّخِرٍ
منه بالآيات والعبر
فاقتفوا من غصنها النضر

جلال الموت

أرى في جلال الموت إن كان صادقًا
فلا تجعلن الموت حجة كاذبٍ
جلالة حق لا جلالة باطل
لمدحة مذمومٍ ورفعة سافل

عصر السرعة

طار في الذُّرى
مسرعُ الخُطى
هام في السهول
حيثما يجول

ديوان من دواوين

عدوة الوعول	ما له عدا
سطوة السيول	ما له سطا
يشبه النزول	في صعوده
حائر الملول	تلك سرعة الـ
آثم الخجول	تلك سرعة الـ
سَّعي والوصول	أين سرعة الـ

التقديس

يُّ وإن قَدَّسَ جسما	عارفُ التقديسِ رُوحِيـ
يُّ وإن كان «بَرَهُمَا»	ومهين الجسمِ جسمِيـ
لا بما قدستَ تُسَمَّى	أنتِ بالتقديسِ تسمو

السرور

ألا يتم وبعده التنغيصا	منع السرور حذار قلبي قبله
ألا يباح إذا أبيض رخيصا	ويزيدني كلفًا به وضنائةً

حكمة الجهل

فالناس لؤمٌ وشرٌ	ألم أقل لك مهلاً
فهم من العطف صفرٌ	لا تولهم منك عطفًا
لما أصابك ضرٌ	لو كنت تعلم علمي
إني بذاك مُقرٌ	نَعَمْ نَعَمْ قلتُ هذا
وأنت عندي غرٌ	وأنت عندي طفلٌ

خواطر وتأملات

وما لقولك وزنٌ وما لنصحك شكر
أنفقت عطفك قبلي وذاك يا صاح فقر
كم حكمة هي جهلٌ وغفلة هي فخر

الحكمة الصادقة

حكمةٌ قد تناقضت هذه أصدق الحكم
ليس للعلم من تما م إذا الجهل قيل تم
فاغتنم منه ما بدا وانتظم منه ما انتظم

صفات وأشباه

فُرْضة البحر

يا ليت نوركِ نافعٌ وجداني
أرقُّ يقلب مقلتي ولهانٍ
تسري مدلّهة بغير عنانٍ
لجج من الشبهات والأشجان
باب النجاة وموئل الحيران

قطبَ السّفين وقبلة الرّبان
يزجي منارك بالضياء كأنه
وعلى الخضم مطارحٌ من ومضه
كمطارح الأفكار في لُجج على
تخفي وتظهر وهي في ظلماتها

* * *

صوّرُ إليك من البحار رواني
شمل الأُحبة فيه والإخوان
نوحٌ ولم تمخّر على الطوفان
شرقٌ وغربٌ ليس يستويان
عنها وتحفل بالنزيل الداني
وطنًا ومغتربٌ عن الأوطان
متبايني اللهجات والألوان
شتى ديار جُمّعت بمكان
موجٌ أشمُّ أحمُّ ليس بواني
فيها طواف الضيغم الغرثان

أمسيتِ أحداق السفائن شرّعُ
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى
جُودِي كل سفينة لم يبناها
فيها التقى بر وبحرٌ واستوى
بسطت ذراعها تودع راحلاً
زمر توافت للفرّاق فقاصدُ
متجاوري الأجساد مفترقي الهوى
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها
في فُرْضة متقاصر عن متنها
موجٌ يطيف بها وقد ران الكرى

ألقت مراسيها السفائن عندها
فكأن ضوء منارها نار القرى
وتحصنت منها بدار أمان
لو كان يُبعثُ ميّت النيران!

الخريف

حي الغمام في السماء كأنها
بيضاء ترتع في فضاء شاسع
طورًا كتمسيح الذبول وتارة
ترفو حواشيها الرياح وتنتحي
والدوح مهدول الأرائك ساهم
والماء كالممرور في وسواسه
والشمس ساهية الشعاع كمقلة
ضحك الطبيعة في الربيع كأنه
فإذا تبسّم في الخريف جبينها
كالغادة الحسناء يغرب حسنها
طيرٌ سرت في مستهل ربيع
صافي السراة على السنا مرفوع
كالرغو بين مُفرّقٍ وجميع
أوساطها بالفتق والترقيع
كالعاشقين هنيهة التوديع
يشجوك منه ترنم المفجوع
وطفاء جللها البكى بدموع
ضحك الغريرة في عناق خليع
أبصرت نظرة ربيّة وخشوع
أثناء شيب في الشباب سريع

أنس الوجود

تماثيل مصر أنتِ صورتُها الصغرى
حياتك أجدى من رجال كأنهم
رعى الله من أسوان دارًا سحيقة
أقام مقام الطود فيها وحوله
بعيدًا عن الأقران منقطعًا بها
بأسوان مرصودًا وهل يُعبد الضحى
بلاد أدار الله حول ربوعها
وطلسمها الواقي وآيتها الكبرى
تماثيل لا تحيي الصناعة والذكرى
وخلد في أرجائها ذلك القصر
جبال على الشطين شامخة كبرى
فريدًا عن العمران مستوحشًا قفرا
بأظهر منها للضحى كيفما ذرًا؟
نطاقًا وأجلى عن مطالعها السترا

صفاتٌ وأشباهُ

بنو الشمس أهلوها إذا اشتد قيظها
بقرصٍ كأفواه البراكين قاذفٍ
لقد نفثت فينا الحياة ضرامها
درجنا بحيث الدارجون عروشهم
تلوح على تلك الرمال كأنها
وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا
شأبيب ما أحيأ وما قتل القطرا!
فأنفسنا من حرها شعلة حرى
قيامٌ تناجي في سكينتها الدهرا
خطى الزمن الوثاب تاركة إثرا

* * *

عبرنا إليه النهر ليلاً كأننا
قضى نحبه فيه الزمان الذي مضى
وأشهدنا منه شخوصاً كأنها
فيخفق ذاك القلب بعد سكونه
ولما رأوها يشبه الخلق صنعها
لقد أكبروا إلا على الله صنعها
عبرنا من الماضي إلى الضفة الأخرى
فكان له رسماً وكان له قبراً
مساحير ترجو كاهناً يبطل السحرا
ويملاً من أهوائه ذلك الصدرأ
تغالوا فقالوا الإنس قد مُسختُ صخرا
فقالوا براها ثم أصمتها قهرا

السماء

يا للسماء البرزة المحجوبة
تروعنا أنجمها المشبوبة
كأنها الهاوية المقلوبة
أعجب ما أبصرت من أعجوبة
تهولنا قبَّتتها المضروبة
كأنها الجمجمة المنخوبة

وقفة في الصحراء

هضابك أم هذي أوانئي عيلم
تخايلت كالدنيا وأقفرت مثلها
أيا ربة الآل الخلوب وإنما
وهل فيك من وردٍ لغير التوهم؟
فلا تخدعيني إنني لست بالظمي
إلى الآل ركب الناس جمعاء فاعلمي

عليك ولا آثار مئت معظّم
شماش فلم تُبني ولم تتهدمي
إلى السعد يوم أو إلى النحس ينتمي
كعهديك لم تعبس ولم تتبسم
على الناس أخفى من غوارب أنجم
هنالك في ليل من الغيب أيهم
وفي أي ظل من ظلالك يحتمي
من النار مؤار العجاجة مظلم
إلى علو من قاصي قرار جهنم
من النقع تجلى عن خميس عرمم
خياشيمه م القيط يبضن بالدم
ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
أحب إليها من جوار ابن آدم

خلوت فلا آثار حي ثوابت
نبا بك عن حال العمار وضده
تشاهبت الأيام فيك فلم يكن
صحاري من الدهر الفسيح جديبة
لفيك وإن طال الزمان غوارب
أضاءت عليها النيرت ولم تزل
إلى أي ركن فيك يلجأ هارب
تسدين أرجاء السماء بحاصب
ثئور كأفواج الدخان تطلعت
إذا ما رآها الوحش ولّى كأنها
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمره
ويذهل حتى يفلت الليث صيده
وما سكنتها الوحش إلا لأنها

السينماتوجراف

أشباح جن تلك تظهر للإنس؟
تفر فرار الجن من طلعة الشمس
فنونا من الأسرار تخفى على النفس
مصورة للناس في عالم الحس
وترسلها رسماً تراه على الطرس
وتبعث أشخاص الرفات من الرسم
تنوب بها الرؤيا لديه عن الحدس
يجيء بها رسل المعارف والدرس
نبي الهدى في مكة صورة القدس
... ..

بربك ماذا في ستائرک الطلس
إذا لم تكن جنًا فما لي عهدتها
ستور ولكن يكشف النور عندها
كأنني أرى فيها قريحة شاعر
وكالعين إلا أنها تمسك الرؤى
ترد تجاليد القبور كواسيًا
وتحمدها عين الغريب لأنها
وكم معجزات للصناعة بيننا
تميط عن الطرف الحجاب كما رأى
... ..

الشتاء في أسوان

ألقى الربيع على البشير
أسوان تزهو حين يذ
في كل مربأة بها
بلد تجود له الطبيب
لا تستجن شموسه
نسماته براء العلي
ما طب جالينوس قي
أبدأ تحوط به ودا
من كل شاهقة كأن
حصن تهاب ظروفه الآ

كانون آذن بالظهور
بل كل مخضر نضير
نور تآلق فوق نور
عة بالصغير وبالكبير
إلا على غير البصير
ل وماؤه عذب نمير
س بطبه إلا غرور
ئعها بسور خلف سور
قلالها عمد الدهور
فات طرًا والشرور

بولون أقفر غابها
سرحت صوادحها وأط
يلقطن حبات القلو
الفتانات تكاد إح
الناهدات كما ترى ال
العبهريات الشذى
الورد في وجناتهن
المرسلات الشعر كالز
متمنطقات بالدمق
من كل قاع جوذر
مثل الشמוש برزن لل
باراتهن مطالع
فيهن معترك الغرا
الحوار هن خلقن لل

من كل مختال فخور
لق ورقه الأيك الغضير
ب من الجوانح والصدور
داهن من حسن تنير
أهرام في الرسم الصغير
الكوثریات الثغور
يضوع في كل الشهور
رياب مصفرًا غزير
س مؤذرات بالحري
تلقاه أو ظبي غرير
أكوان من فجر البدور
لم تدر ما نور البدور
م ومعرض الحسن الطير
فردوس لا للزمهرير

* * *

الماء فاض على الجنا
خلجانه تنساب كالـ
متسابقات كالسوا
والنيل مصطفق كمن
متدفق الأمواج تر
وترى الزوارق كالبوا
قد حار فيها العنصر
والشمس شاخصةً تكا
فضفاضة الأذيال تخـ
وكأنها فوق الذرى
حسنا ترقب قادمًا
وعلى الروابي والهي
تبدو كما نصل الخضا
ما كان أول مغرب

يلِ والسواحل والجسور
حيات ما بين الصخور
بق في مجالٍ مستدير
قد هزه فرط السرور
قص وفق توقيع الخير
شق حوًّا أو كالنسور
ن الريح والماء القدير
دُ تنوء من جهد المسير
طر كالعروس إلى السرير
فوق الجزائر والبرور
في النيل من أعلى القصور
كل مسحة الشفق الأخير
بُ بعارض الشيخ الوقور
شهدت على مر العصور

* * *

كم آيةً في الكون أخذ
من لا يرى إلا العيا

فى من خفيات الضمير
ن فما يرى إلا اليسير

ليلة الأربعاء

شفَّ لطفًا عمًّا وراء السماء
رق سجف السماء حتى كأن الـ
وسرى الطرف في الفضاء فما يثـ
وربا النور كالعباب فما في الـ

نورٌ بدرٍ مفضض اللألاء
عين تتلو هناك سر القضاء
نيه ثانٍ عن خوض ذاك الفضاء
كون غير الظلال من ظلما

صفاتٌ وأشباهُ

تلك أولى لوائح الصيفِ والصيدِ
يَمَنَّ اللهَ سعيَهُ من رسولٍ
مولد الأرضِ فهي تلبس فيه
أضرم الجو بالمشاعل كالظا
فنهضنا للهو في دار ذي القر
بلد ما تحجَّب الجو إلا
كل من ينتحي حماه غريبٌ
تكشف الشمس ثم ما يضمُر اليمُّ
فعلى اليم للمطيفين سرُّ

فُ بهيجُ في الليلة القمراء
يطرق الأرضِ وافداً من ذكاء
كلَّ عامٍ مطارف الأضواء
فر يعدو في إثر جند الشتاء
نين بين الصباح والقرناء
ناب عنه الصفاء في الدماء
عنه حتَّى ما فيه من غرباء
كعين المنوم النجلاء
كاشفٌ عن سرائر الأنبياء

ليلة الأربعاء بالله عودي
ليلةُ أرسل الزمان بها عف
قد نسينا الصباح حتى ذكرنا
فوصلنا مساءها بصباح
... ..
خير ما في الحياة يا قلب ما أن
بيد أن النفوس تصبو إلى الذك

وأعيدي يا ليلة الأربعاء
وَأَفْجَاءت كحكمة البلهاء
هُ بنور من بدرها الوضاء
ووصلنا صباحها بمساء
... ..
سك ذكر الحياة والأحياء
ر وإن كان فيه بعض العناء

نسج الفجر للنجوم الدَّارِي
وكأنَّ النسيمَ همومُ اللـ
همسات العوَاد حول حبيبٍ
وترى البحر لو توسده النا
في سكون كأنه نفس الحا
وكأن الخريز صوتٌ يناجي الغيد
فبعثنا الأرواح سرِّباً كروح الله

... ..
برقعاً حيك من شعاع الضياء
يلِ واللَّيلُ مؤذُنٌ بانقضاء
بات لم يبق منه غير الذماء
ثم لم ينتبه من الإغفاء
لم أو خفق طائر في الهواء
ب حتى لهم بالإصغاء
قدماً ترف فوق الماء

أراح الورد عازفة النفوس
وغرّد هاتف الأطيّار لما
وأشرقّت الرياض على الروابي
نديم الكأس طف بالروض فانظر
وفيه ثمالة لم يودعوها
تبسّم في خمائله النشاوى
يُخَيِّلُ ناطقًا لولا حياء
... ..
أطلّ من الرغام كأن روحًا
... ..
مجامر للطبيعة أرّجتها
تلقيها إذا نشرت شذاها
كما لبي بحوز السحر حور
جنى الفردوس إلا أن فيه
يكاد يبثّ حوليه ضياء

* * *

... ..
لَوَ اَنَا قَادِرُونَ لَمَا هَفَوْنَا
وَلَوْلَا الدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ يَلْهُو
لَمَا أَلْهَاهُ عَنِ آسٍ وَوَرْدٍ
إلى غير المحاسن والطروس
ويبلو القلب بالعرض الخسيس
بحبّاتٍ من البُرِّ الدريس

حديقة البرتقال

أَحْبَبُ به من منظرٍ سَرِيٍّ
متصل الخضرة فِرْدَوْسِي
جناته تثني على الوسمي
كالسُرُجِ المذكاة بالعشي
منها بألف كوكب دري
غصنًا على غصنٍ زمُرْدِي
وساجد في الأرض كالقسي
كأنه جلاجلُ الحلي
أخذ الحلي مقلّة الغوي
أغلى لدى الشاعر والصبي
فاعجَبَ لهذا الصائغ الغني
من نفسٍ حامٍ ومن طمي
ومخرج الحي بغير الحي

منظر

الروضُ جُمُّ العبير
والدرُّ ينشر نورًا
كأنما الكون يبدو
كأنه ظلُّ كونٍ
والليلُ شَفُّ الستور
كأنه نصف نور!
من خلف سترٍ وثير
مغَيَّبٍ في الدهور

قدوم الشتاء

تسير الكواكبُ سيرَ الحِزْرِ
وللشمس مشيةً مستكره
ونهر كمرأة مهجورة
وللروض زهرٌ به طائِحُ
ونادي المنادي بركب الطيور
فهذا يحوم على وكره
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا
وما للرياح بأعلى الشجر
تنام العيون ويعلو لها
تُحَطِّمُ أعوانها العاريا
فيا ويلَ من بات في ليله
ويرجف في الجو نور القمر
يساق إلى منظر لا يسر
على وجهها من جواها أثر
تقلَّبَ في الأرض كالمختضر
هلمَّ فقد حان وقت السفر
وهذا يصيح ولمَّا يطر
كأن الأصيل عليه انتشر
تعجُّ كموج خِضَمِّ زخر
نشيحٌ إذا الليل أغضى ظهر
تِ تحطيمَ ذي جِنَّةٍ منذِعُرُ
يجاوبها بالبكا والسهر

النهر النائم

تمهَّلْ يا نسيماً ولا تكدِّر
وقرِّي يا طيور على الحوافي
لعلَّ النهر ينطق وهو غافٍ
ويحكى طيف هاتيك الليالي
نعاس النهر بالهمس الضعيف
وكفي يا غصون عن الحفيف
بسرٌّ فيه أو حلمٍ لطيف
ليالي الوصل في عهد الخريف

يا قمر

فضِّضِ الماءَ يا قمرُ
وانظم الغصن بالندی
وانقشِ النورَ في الحجرِ
والثُمَّ الزهرَ في الشجرِ

صفاتٌ وأشباهُ

واجعل الكون ضاحكًا عن سماءٍ من الغُرر
واملكِ الليلَ مفردًا ومع الشمس في البُكرُ

* * *

في مجاليك راحةً راحة النوم والسهر
في لياليك بهجةً بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل في الظلا م ولا الصبح في الكدر
أنت كالطيف والدجى ناعس الطرف يا قمر

* * *

ساهد الليل لا تجم واتل ما شئت من ذكر
قد تناسيت ما مضى ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى يسئل لذاته الآخر

النجيلة

هات نرجيلة يضاحكني منذ ها خريراً كجدول البستان
ذات أنبوبة كحية حوا ء بفيها تفاحة الحرمان!
إن بين الضلوع نارًا أوَّار يها فأخفي زفيرها في الدخان

القمرء

كلما أشرق في الليل القمر
وسها الناس ولاذوا بالحجر
خلت أرواحًا تداعت للسمر
زُمرًا تهمسُّ من حولِ زمر

إِنَّ هَذَا الْحَسَنَ لَا يَمْضِي هَدْرَ
حَيْثَمَا أُسْفِرَ نُورٌ وَانْتَشَرَ
وَحَلَا فِي خَلْوَةِ اللَّيْلِ السَّهْرِ
فَهَنَا لَا رَيْبَ حِسٌّ وَبَصْرُ
شَيْمَةِ الْمَسْحُورِ يَقْفُو مَنْ سَحَر

يوم شتاء

يوم بيتٍ لا يوم خوض الدياجي
وجمالٍ من النفوس يُنَاجِي
مستهلين والطبيعة غضبي
نتحدّى الرياحَ والليلَ والأهـ
فإذا ما يروع منها ويضني
كالذي يشهد الكوارث فنا
فانجُ ما بين صفحةٍ وسراج
في أسارير وجهه ويناجي
وكلانا من هولها الصعب ناجي
ووال طرّاً بصفحةٍ من زُجاج
نتلقاه ههنا بابتهاج
من فنون التمثيل والإخراج

زهرة القرنفل

تَعَشَّقْتُ مِنْ زَهْرِ الْقَرْنَفْلِ لَوْنَهُ
تَقَسَّمَ نُورَ الشَّمْسِ أَحْمَرَ قَانِيًا
وَنَازِعَ مَحْزُونِ الْبِنْفَسِجِ لَوْنَهُ
كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ تَقَارِبِنَ صُورَةَ
وَأَسْمَعُ مِنْهُ حِينَ أَقْبَسُ ضَوْءَهُ
تَشَاغَلُ بِمَا يَجْلُو الْعْيُونَ وَغَمَضُهَا
وَسِيَانِ تَحْدِيقِ الْعْيُونَ وَغَمَضُهَا
فَحَسْبُكَ مِنْهَا زِينَةُ تَبْهَرُ النَّهْيُ
وَنَشْرًا كَرِيحِ الْبَابِلِيَّةِ زَاكِيَا
وَأَصْفَرَ وَضَاءًا وَأَخْضَرَ زَاهِيَا
وَحَاكُ لَهُ ثُوبًا مِنَ الْجَوْ صَافِيَا
وَسَيْمَةَ حَسَنٍ وَاخْتَلَفْنَ كَوَاسِيَا
وَأَنْشَقَ رِيَاهُ فَأَنْصَتَ وَاعِيَا
سِرَائِرَ دُنْيَانَا، وَإِنْ كُنْتَ رَائِيَا
إِذَا كَانَ مَا تَرْتَادُهُ الْعَيْنُ خَافِيَا
فَغَيْرُ قَلِيلٍ مَا تَرَى النَّفْسَ بَادِيَا

الجسم الخجل

أرى في البحر أجسامًا تُشعُّ
إذا ما الماء جَمَّشها تراءى
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ
عليها من حياء الحسن درع
لها خجلٌ على الأعطاف بدع
سَنَى الخجل المورِد فيه طبع؟

ليالي رأس البر

مناظر من سحر الجمال أراها
تلوحُ كذكرى حالمٍ يستعيدها
فمن عالم النسيان فيها مشابهُ
ليالٍ برأس البر تَنَدَى وداعةُ
وداعة ذات الدلِّ شاب فؤادها
ولولا سناها قلت: كنت أراها!
لعمق معانيها وبُعدِ مداها
وفيهما من السلوى جميل رضاها
ورقة أشجانٍ وطاب نداها
شوائب من هجرٍ فراض صباها

* * *

ليالٍ برأس البر طاب نداها
هنا النيل ساج طال في الدهر سيره
هنا البحرُ ثور الدهور على الكرى
إذا استرسلت أصدائه في اطرادها
هنا عالم السلوى هنا العالم الذي
هنا العالم المشهود ذكرى قديمةُ
فلولا حياتي في عروقي أحسُّها
وشفتُ دياجيتها ورقَّ سناها
وطالت مرامي نبعه فسلاها
ويطغى فلا يحمي النفوس كراها
ترسَّلتِ الأحلامُ ملء مناهها
تحسُّ الليالي فيه همس خطاها
وذكراك دنيا لا تزال تراها
لقلتُ نعيمُ الغابرين طواها

* * *

جمالك رأس البر في زي ناسكٍ
لياليك رأس البر في صومعاتها
صحابك رأس البر أطياف نائمٍ
عناها الذي يعني النيام من الرؤى
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
مناسك ضلَّت في الظلام هداها
تساوى لديها صباحها ودجاها
ولم أر جهدًا في الحياة عناها

* * *

حياتك رأس البر طفلاً مجدداً سقته ثدي الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما فنينا وكم تُفني الجسمَ نُهاها
بحسبي من أبناء آدم إن صفا لنا العيش يوماً أن تكفَّ أذاها

أغاني

في الهوى قلبي زورقٌ يجري
أين يمضي بي نهرة الخمري
ليتنى أدري!

* * *

ليته يجري يا أبا الأنهاز
مثلما تسري في حمى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف مسبل الشعر
ناعس الأطياف سابح الفكر
في الهوى السحري

* * *

يا رياض النيل علمي قلبي
فرحة التهليل عشت للحب
يا منى الصبِّ

* * *

صفاتٌ وأشباهُ

قال لي قلبي والهوى يرعاه
هو في قربي ما الذي أخشاه
عندما ألقاه

الشتاء والربيع

كل بادٍ يريد أن يتواري في الشتاء المغلّف المسدود
كل خافٍ يريد أن يتجلّى في الربيع المزخرف المشهود
هات لي العالم الصريح ودعنا من حياةٍ خجلى وطبعٍ برود

في القمر

في الليلة القمرء ما أحلى النظر لكل شيءٍ لاح في ضوء القمر!
حتى الثرى حتى الحصى حتى الحجر

ليست من الآجرّ هاتيك البنى لا بل خيال من ظلامٍ وسنى
كخيلة الأشكال في السحب لنا

أكاد عند رؤيتي طلاءها أرسل عينيّ لما وراءها
كما تخوض نظرةً فضاءها

قد شفتُ بالصخرة مصباح الدجى فكيف بالنفس وكيف بالحجى
عاشٍ على مرّ الليالي مسرجا؟

العيش جميل

صفحة الجو على الزر
لمعة الشمس كعين
رجفة الزهر كجسم
حيث يَمَّتَ مروجُ
قل ولا تحفل بشيءٍ
قاء كالخد الصقيل
لمعت نحو خليل
هزه الشوق الدخيل
وعلى البعد نخيل
إنما العيش جميل

القمر والظلام

لا أوتر القمرء في حسنها
سناك يا بدر يريني الثرى
على الدجى والطرف فيه يحوم
وظلمة الليل تريني النجوم

صداح الأثير

ملاً الآفاق صداح الأثير
لك من كل فضاءٍ شاسع
ما صفاء الجو إن فتشته
لجبُّ لكنه مستأذنُ
أو هي الأرواح إن قلت احضري
قيل أمواجُ فقلنا وبحور
تركب الألباب فيها سفناً
حملت من كل زادٍ وقرت
ولها في كل يومٍ مددُ
لا فضاء اليوم بل صوتٌ ونورُ
حيثما يمتت داع وبشير
غير أصداءٍ حواليك تمور
يطرق السمع بسلطانٍ قدير
حضرت أو شئت أعيها الحضور
من معانٍ وبيانٍ وشعور
سُبَّقاً بين طويلٍ وقصير
كل غادٍ ووعت كل أثير
يلتقي الأول فيه والأخير

كان فرعون له مجلسه
ولنا في كل دارٍ مجلس
هو نادٍ لك أو مدرسةٌ
غلب الوهم الذي زيَّنه
دعوة المارد إن قيست إلى
بورك العلم لعمرى إنه
ربما أسمعنا في غده

وهو ذو الصرح المُعلَّى والسريـر
يسع العالم أياـن يدور
أو مجال السيق أو ملهى السرور
في الأساطير خيالٌ مستطير
دعوة المذيع ظنٌ وغرور
من صفات الله والله قدير
نغم الأفلاك أو صوت الضمير

أسود يلتحي

أليس كفى هذا السواد فزدته
سريت برأسٍ لا حدود لوجهه
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى
وأخلق أن يرتادك الشيب حالكا

سواد غرابٍ في لحاكٍ معلق؟
فما زال فيه الليل بالليل يلتقي
سوادك محفوقاً بأبيض مشرق
على حالِكٍ لو كان يجري بمنطق

على شاطئ البحر

نفخ النسيم عن النفوس رمادها
والبحر تطرد الخواطر عنده
لم أبصر الأذي فيه كأنه
وكان متن الماء في شمس الضحى
وكان مبيض الجليد طفا به
إلا وددت بأن أراه فلا أرى
الروح يطمع أن يتيه بلا مدى
البحر أقدم والنفوس قديمة

فأعاد للسالـي قديم هواه
مثل اطراد اللج حين تراه
خيل الطراد تسوقهن صباه
فيروزجٌ قدح الضياء سناه
إن مج بالزبد النقي حشاه
أفقا يصدُّ الطرق دون مداه
والعين ترسم في الفضاء خطاه
فالنفس تألفه ولا تنساه

مناجاة

مناجاة

يا مَنْ أَحَبُّ لِقَاءِهِ
إِنَّ الْعَيُونَ بِمَرَصِدِ
مَنْ ذَا يَتِيهِ عَلَى الْجَمَا
الشَّمْسُ تَحِييُ بِالضِيَا
كُنْ فِي الْمَلَاةِ وَالصَّبَا
وَإِغْنِمْ بِحَسَنِكَ حَبْنَا
سِرًّا وَأُزْوِي عَنْهُ جَهْرًا
لِي فِي هَوَاكَ وَأَنْتِ أَدْرِي
لِ وَأَهْلُهُ بِالتِّيهِ أُحْرِي
ءَ لِحَاظِنَا فَنَغْضُ قَسْرًا
لِقُلُوبِنَا فَخَاً وَوَكْرًا
وَاقْنَعْ بِهَذَا الْحَبِّ أَجْرًا

لسان الجمال

يا مَنْ إِلَى الْبَعْدِ يَدْعُونِي وَيَهْجُرُنِي
أَسْكُتُ لِسَانَ جَمَالٍ فِيكَ أَسْمَعُهُ
أَبَ الْجَمَالِ تَنَادِينِي وَتَجْذِبُنِي
هِيَ هَاتَ لَسْتُ بِسَالٍ عَنْكَ مَا نَطَقْتُ
أَعْصِيكَ أَعْصِيكَ لَا أَلُوكَ مَعْصِيَةً
أَسْكُتُ لِسَانًا إِلَى لِقْيَاكَ يَدْعُونِي
فِي كُلِّ يَوْمٍ بِأَنَّ أَلْقَاكَ يَغْرِبُنِي
وَبِالْمَقَالِ تَجَافِينِي وَتَقْصِينِي؟
فِيكَ الْمَحَاسِنُ فَانظُرْ كَيْفَ تَسْلِينِي
وَلَسْتُ أَعْصِي جَمَالًا فِيكَ يَحْيِينِي

متى؟!

متى تشرق الشمس التي قد رأيتها تغيب وراء الأفق في مغرب الأمس؟
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها توارت من الغرب المعصر في رسم

الحب الأول

(... كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقي الشاعران النابغان المازني وعلي شوقي قصيدة ابن الرومي النونية التي يمدح بها أبا الصقر ويقول في أولها):

أجنيك الورد أغصان وكتبان فيهن نوعان: تفاح ورمانُ
وفوق ذينك أعنابٌ مُهدَّلةٌ سُودٌ لهن من الظلماء ألوانُ

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرهما وقافيتها وقد فعلنا؛ فنظم المازني قصيدته في مناجاة الهاجر، ونظم شوقي قصيدة في هذا المعنى، ونظمت أنا هذه القصيدة فأهديتها روح ابن الرومي:

يهنيك يا زهر أطيأرُ وأفنان الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك لست بإنسانٍ فتشبهني إنني ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلّى في مواكبه وهكذا الدهر أنّ بعدها أنّ
تفتحت عنه أكمام السماء رِضًا وزفه من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور في البستان باسمه والأرض حاليةٌ والماء جذلان
الشمس تضحك والأفاق صافيةٌ جلواء والروض بالأثمار فينان
وللنسيم خفوقٌ في جوانبه وللطيور ترانيمٌ وألحان
في كل روضٍ قرى للزهر يعمرها يا حبّذا هي أبياتٌ وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عبوقٌ كما تراسلَ بالأسواق حَبّان
الورد يحمرُّ عجبًا في كئامه والياسمين على الأغصان ميسان
وللقرنفل أثوابٌ ينوعها عن البلور صناع الكف رِقان

كأنه راهبٌ في الدير محزان
منهنَّ جامٌ خلا من مثله الحان
بلا بلٌ وشحاريرٌ وكزوانٌ
فيستجيب له برٌّ وغيان
في الشرق والغرب أسحارٌ وأصلان
يحدو خطاها من الأملاك ربان
فكل ما في فضاء الله فرحان
ولا مودتُهُ حَبٌّ وإذهان
إن الحداد عن الأعراس شغلان

... ..

وجدًا ويسألني هل أنت غصَّان؟
ومن عنيت به عن ذاك غفلان!
على امرئٍ فخره عرشٌ وإيوان
وللمحبين أحداقٌ وأعيان
بحسن وجهك يهذي وهو ولهان؟
ذنبًا من الناس لا يمحوه غفران؟
ضدين بينهما نأى وهجران
حتى كأن ليس غير البغض إحسان
ما كان يعصم لا إنسٌ ولا جان
إلا القلوب فصيغَتْ وهي أُحْدَانُ
خَلَقٌ وَخُلُقٌ فهل يرضيك نقصان؟
وفي الوجوه على الأرواح عنوان
عنك العيونُ ولم يشملك وجدان
حُبٌّ لما كان في الدنيا ومن كانوا
ولا يخف مكرنا وحشٌ وعقبان
منا غصونٌ نضيراتٌ وأحضان
لم تُغضُ منه بأيدينا أغيضان

وللبنفسج أمساحٌ ممسكة
وحبذا زهر الليمون يسكرنا
والليل يحييه والأطيار هاجعةٌ
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا
والصبح في حلق الأنوار طرزه
كأنما الأرض في الفردوس سابعةٌ
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح
إلا المحب الذي لا حبه دنسٌ
نفاه عن عرس الدنيا شواغله

... ..

يا من يراني غريقًا في محبته
واضيعةً الحب أبديةً وأكتمه
لي في مديحك أشعارٌ أضن بها
على محياك من وشي الصبا روع
فقيم تعذلهم إن راح ناظرهم
ما الحسن ذنبًا فما للحب تحسبه
هما شقيقان فارتق أن تحيلهما
من علم الناس أن الحب مأثمةٌ
هَبَّهَا جنايةً جان أنت آثمها
إنَّ الجسم مثناةٌ جوارحها
لكل قلب قرينٌ يستتمُّ به
إن التعاطف بالأرواح بُغِيَتْنا
تمثالك الصخر أحظى منك إن نَفَرَتْ
إنا لمن معشرٌ حُبُّ الجمال لهم
ليأمن الطيرُ أنا لا نكيد له
لو تسمع الوُرُقُ نجوانا لكان لها
أو كان يدري حَيِّي نبت عفتنا

أو ينظر السائم النابي طويتنا
ولا أتقى الحوت شرًّا حين يبصرنا
يا ليت أن لنا كهفًا نعوذ به
لم تألف القفر آرامٌ وغزلان
إذا وقته شبك الإنس قيعان
إن راح يفزعها بغّي وعدوان

* * *

... ..
ما ضرَّ من نال في حين سعادته
إذا جنيت من الأيام زهرتها
ولا وربك ما بالنفس مقتنعٌ
فإن روينا فبعض الري مظمأة
أي الفريقين أحمى لهفة ووجى
يا ليلة حطمت أنوال حائكها
العيش من قبلها شوقٌ نعمت به
طالت ولا غرو فالجنات خالدة
أصبحت والله لا أدري لبهجتها
وكيف لا وهي شطرٌ حين أحسبها
لقد سقانا الهوى خمراً معتقةً
هيهات لا تبلغ الصهباء نشوتها
فاض الهيام على قلبي ففاض به
وددت والدمعُ في عيني محتجزٌ
أمسيت أرشف شهدًا من مراشفه
والنيل تجري له في كل ناحية
يقودنا حيث شاء الموجُ واطردت
حتى تصرم جنح الليل وانبتقت
فما أفقنا وعين الصبح شارفةً
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها
... ..
بقيّة لك أتلوها وأنشدّها
... ..
هذي القصائد لي فيهنّ سلوان
... ..
إن فاته في طويل الدهر أحيان
فاقنع فسائرهما شوكٌ وعيدان
أكان نجحٌ لها أم كان حرمان
وإن ظمئنا فما يرتاح ظمان
من ناق أو لم يذق فالكل لهفان؟
فلا يحاك لها في الدهر ننيان
والعيش من بعدها ذكرٌ وتحنان
وفي الوصال من الجنات ألوان
أليلةٌ سلفت أم تلك أزمان؟
والعمر شطرٌ وفيها عنه رجحان؟
صبا بها قبلنا شيبٌ وشبان
ولو تناول منها البحر نشوان
نبعٌ له من وراء الدمع شطآن
لو سال منه على خدي غدران
والسلسبيل بعليين غيران
جداولٌ لؤلؤياتٌ وثغبان
أمواهه فكأنّ الفلكُ وسنان
من كلّ مطّلعٍ للصبح عمدان
وما هجدنا وغول الليل سهران
شموس أنسٍ مضيئاتٌ وشهبان
... ..

عنها السنون فلي بالذكر قنعان
موج الخضم وفلكي فيه غرقان
كما نهبت فيطويهن نسيان
بالحب عن صلة المحبوب غنيان
أني سألقاه يوماً وهو غضبان
هاموا وهانوا فهم للوهم عبدان؟
لهم على حسب الأفهام أوطان
منا وشتان إنسان وإنسان
هذا الشقاء ولا يجزيه شكران

بقية من متاع الذكر قد صفحت
كأنني تاجر في الشط مرتقب
خذي بقاياك لو يسطيع يذهبها
لا يأمن الحب صب لا يكون له
ما كنت أجهل لما أن كلفت به
من لي به مثل ما أراضه في ملأ
تفرق الناس أوطاناً وما افتقرت
بتنا نساكنهم داراً ونحسبهم
نشقى بأنفسنا فيهم فيسعدهم

روحاً فيتفقا روح وجثمان؟
لا يكذبون أو أن العذل قرآن
سود لها غير ما تبديه أبطان
فالحق متئد والإفك عجلان
منهم فطاف بها في الأرض ركبان
شريعة نقضها كفر وعصيان
ولا بقلتهم للحق إيهان
بالمبصر الفرد يوم الشك ميزان

يا أملح الناس هلاً كنت أكبرهم
صدقت باطل ما قالوا كأنهم
أما علمت بأن الناس ألسنة
أحرى مزاعمهم بالشك أسيرها
ورب قولة زور قالها رجل
تداولوها فراحت في مذاهبهم
ما كثرة المثبتين الأمر تثبته
فإن ألف ضرير ليس يعدلهم

... ..
حسي وأذهب فيها الحدس إيقان
حتى غدا وهو بالأوهام ضنان
وقد ينوح بغير الدمع أسوان
وضاق عن هديهم ذرع وإمكان
لا يجرمنك بر الناس أو خانوا
ونحن نحسب أن القوم قد مانوا
وإن تولته بالأرزاء حدثان
أدار بالسعد أم بالنحس كيان

... ..
تكشفت هذه الدنيا فأنكرها
ما زال يحرمني دهري ويوهمني
إنا لنضحك لا صفوا ولا لعباً
أعيا العقول صلاح الخلق من قدم
فعش كما شاءت الأقدار في دعة
لعلهم في طريق الصدق قد سلكوا
من عاش في غفلة طاب البقاء له
لم يدري من نام والأفلاك دائرة

فاطلب لنفسك منها مهرًا آمنًا
والزم حياتك واعشقها فبينكما
هي الوجود فصنه أن تجود به
... ..
وانهض بها مرةً في الدهر واحدةً
ثم استرخِ أبدًا وألحِقْ بمن حانوا
... ..

كأس الموت

إذا شيعوني يوم تُقضى منيتي
فلا تحملوني صامتين إلى الثرى
وغنوا فإن الموت كأس شهية
وما النعش إلا المهد مهد بني الورى
ولا تذكروني بالبكاء وإنما
وقالوا أراح الله ذاك المعذبًا
فإني أخاف اللحد أن يتهيبا
وما زال يحلو أن يُغنى ويُشربا
فلا تُحزنوا فيه الوليد المغيبا!
أعيدوا على سمعي القصيد فأطربا

الحبيب الثالث

(ردًا على قصيدة الحبيين لصديقنا شكري، وقد شبه أحدهما بالجنة والثاني بالجحيم، وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم!)

قلاك من دقاع نار الجحيم
وريقك الكوثر لكنه
وخذك الزقوم مُر لمن
وأنت تضني كل جسم سليم
وأنت دان نافر راحم
ويا نسيماً شبماً ربما
ويا بريء الوجه في ناظري
ووصلك الجنة دار النعيم
كالمهل في صدر المحب الكظيم
تزويه عنه وهو حلو الشميم
وأنت تشفي من ضناه السقيم
قاس محب، كاره لا تدوم
أزكى كما أطفأ ذاك النسيم
ويا أثيمًا في الفؤاد الكليم

الحب لنوان وما إن أرى حبًا بلون واحدٍ يستقيم
كن لي على النعمة عونًا أكن عونًا لقلبي في العذاب الأليم

خير ما فيهن

غفر الذنب من بكائي عليك أنني لا أعود ما عشت أبكي
لا يساوي وقد تعلمت منك نسل حوائكَن دمعاً شكَّ
خير ما في النساء ساعةٌ ضحكِ

إلى صديق

أُخِيَّ وَأَعِذِبُ بِهَا لَفْظَةً تذكّرني العهد عهد الصِّفاءِ
أهْبَتَ بُوْدِي وَلَمَّا يَمْتُ فأسمعتَ حياً بذاك النداءِ
ولم يُنْسِنِي القصر عهدًا خلا وكيف وفي القصر معنى البقاءِ
وإن أنسَ شيئًا فإني نسيـ تُ يا صاحبي أينما قد أساءِ
ولست بقالٍ ولا ناكثٍ ولكن كذلك شاء القضاءِ
وهذي القلوب بأيدي الزمان يقلب أهواءها كيف شاءِ
وقد يذهل المرء عن نفسه فكيف يلام على الأصدقاءِ!؟

خواطر الأرق

يا ليل لونك في اللواظِ إثمدُ إلا لديّ فمن غبار يرمدُ
ها أنت بالرويا تظن لأنها سلواي حين تركتني لا أرقدُ
دل الظلام على المدامع خاطرًا أعى عليه مع الصباح الموردُ

زعم يطيش وعارض يتردد
والعيش بينهما شقاق مجهد
كالطبع طفلاً لا يفارقه الدُّدُ
يجني الزمان وشر ما يتوعد
ما لا يسوغ وسرني ما يكمد
وصبرت حتى قيل صخرٌ جلمد
بعض الرياء وبعضه قد يحمد
... ..

وترود حوليها الصَّلالُ الشرذ
حسناً ويوشك أن يطيب لها غد
لم تلقَ من يرعى ومن يتعهد
طوعاً ويدعوها النماء فتجمد
خضمٌ على تلك المحاسن يحقد
حَمَلًا يطيب مع الذئباب ويرغد
تخشى من الداني الذي لا يبعد
وتظلُّ تنثر عقدها وتبدد
والنار حولك والدخان الأسود
جهلاً وغرَّكَ أنَّ غصنك أملدُ
ويزلُّ عنه الزهر إذ يتأود
شرُّ التقصف فالتجرد أنكد
من أن يحفك منه غيم أربد
أو لا فأرسلها فما لك منجد
إن ابن نوح كان فيمن أُلحدوا
إني لغير الطهر لا أتودد
كلا ولست مع المودة تخلد
منها يميل به الغواة فيفسد
منها ولو لم يعتدوا لم يهتدوا

كم في الدم المدعُو بالإنسان من
العقل شيخُ والحياة فتيةُ
والطبع يغرينا ولست بواجِدِ
أوأه من عبث الحياة وسوء ما
لا أشتكيه فقد أمرٌ فساغ لي
وجزعت حتى قيل جُنَّ من الأسى
أبدي التجلد والتجلدُ في الأسى
... ..

وخميلة يجني الغداف قطافها
كرمت عناصرها وأينع يومها
ظللتها بالنصح إلا أنها
باتت تجاذبها السموم فتلتوي
يا من أصون جماله وكأنه
لا شيء أوجع لامرئٍ من أن يرى
أخشى عليك من البعيد وأنت لا
وأحوط حسنك بالتمائم والرُّقى
وتبيتُ رِيَّانَ الجفون من الكرى
لم تَتَّبِعْ نصحي وملت مع الهوى
والغصن تسقط — إذ يميل — ثماره
إن كنت تحميك الطراءة والصبا
أولى بوجهك أن يضيئك حسنه
هذي يميني في يمينك فاعتصم
لو كنت نوحًا لم تُفدك سفينتي
فاستبقِ ودك للذين عرفتهم
ما كنت أول نعمة ودعتها
ماذا على الدنيا لو أن مغررًا
لولا المشوب لما تمحَّض خالصٌ

ما كنت يوماً بالأنام موغلاً
إني اتخذتك للصيانة قنيّةً
فأعدُّ منهم من يضل ويرشد
فالآن ألقى في التراب بحليّةً
فَعَلِمْتُ أَنَّكَ بَهْرَجٌ لَا عَسْجِدَ
كَانَتْ أَحَبَّ نَاحِيَةً تُتَقَلَّدُ

إليك

إهداء الديوان الثاني

إليك إهداء أطرابي وأشجاني
شعر لحسنك فيه كل قافية
لو كنت تعلم إسراري وإعلاني
يُهْدَى إِلَيْكَ وَلَمْ تَفْطِنْ لِدَعْوَتِهِ
وما تَضَمَّنْ إِلَّا بَعْضَ وَجْدَانِي
ولو صمدت بتسبيحي إلى وثن
كأنما هو قربانٌ لأوثان
وَحَفَّفَ النَّارَ نَارَ الْوَجْدِ عَنِ كَبْدِي
إذن لأثلج صدري صدق إيماني
لكنَّ جهلت مناجاتي فوا جذلي
علمي بأنك لم تجهل بقرباني
يا من هو الناس في عيني وإن كثروا
لو فزت منك على علم بحرمان
أهدي إلى الناس ما أعنيك أنت به
إني أخصُّ بشعري كلَّ إنسان
فاقبل فإنك بعض الناس ديواني

الدنيا الميتة

أحبك حبَّ الشمس فهي مضيئةٌ
أحبك حب الزهر فالزهر ناضرٌ
وأنت مضيءٌ بالجمال منير
أحبك حبي للحياة فإنها
شعور، وكم في القرب منك شعور
فهل في ابتغائي الشمس والزهر سُبَّةٌ
وهل في ولوعي بالحياة نكير؟
... ..
على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلق وللناس عالمٌ

لا تلمني أن قلبي خانني أو عشقتك
لم يكن مني إلا أنني قد رأيتك

كان في الدنيا جمالاً لا يُعدُّ ثم لحتا
فعدنا الحسن طراً فهو فرد وهو أنتا

كأس على ذكرى

هاتها واذكر حبيب النـ
ودع التلميح واجهر
أترى نُحْرَمُ حتى
صفه لي صفه وما كا
غير أنني أمتع السمـ
صفه في عيني وما تعـ
صفه في قلبي لو اسطعـ
أترى أليق منه
أترى أملح من خطـ
أترى أصبح من خد
أترى أعدل من قا
ذهبي الشعر ساجي الطـ
وحييُّ لا يحييـ
جاهل بالحب أشكو
وغرير القلب لا يفـ
ودُّ لو يسأل ما لي

فس يا خير ثقاتي
باسمه دون تقاة
ذكره في الخلوات؟
ن بمجهول الصفات
ع بحظ الحدقات
دو به وصف الأضاة
ت، وترجم زفراتي
باصطياد المهجات
رتة بين الخطرات
يه بين الوجنات
مته في الصعدات
رف حلو اللفتات
ك بغير البسمات
ه ولا يدري شكاتي
هم معنى نظراتي
مستهلَّ العبرات

وإذا قلت شجاني
ليس ينجيني وفي كف
قال ما أقساه من جا
... ..
صفه بل أمسك فقد ها
جمح الوجد بأشجا
هاتها صرفاً وأغرق
عوضاً عما يؤاتي

من أفدّيه بذاتي
يه لو شاء نجاتي
ن غليظ القلب عات!
... ..
جَتُّ عليه حُرُقَاتِي
ني وضاقَت أزماتي
في طلاها حسراتي
من هوى أو لا يؤاتي

الصبابة المنشورة

صبابة قلبي أقبل الليل غاضياً
وقد تهجر الموتى القبور أمينة
وثوبي إلى الدنيا مع النوم فانظري
ومُرِّي به مرَّ الغريب وطالما
ولا تسألني مَنْ بالديار فإنها

فهبي فقد يغشى الرفات المغانيا
إذا الليل غشى بالرقاد المآقيا
مكانك قد أنوى وعرشك خاويا
تربعت فيه قبل ذاك لياليا
على موثقٍ ألا تجيب مناديا

* * *

بدا شبَّحُ عارٍ من اللحم عظمه
يقارب في قيد المنية خطوه
وقال سلام قلت فاسلم وإن يكن
مَنْ الطارق الساري؟ فقال صبابة
فقلت أرى جسمًا عرى من روائه
جهلتك لولا مسحةً فيك غالبت
جهلتك لولا هرَّةً في جوانحي
ألا شد ما جار البلى يا صبابتي
أأنت التي أسهرتني الليل راضياً

يجاذب أضلاعاً عليه حوانيا
ويمشي به ليلاً مع الليل ثانيا
دعائي لميتٍ بالسلامة واهيا
نعمت بها حيناً وما أنت ناسيا
وعهدي به من قبلُ أزهرَ كاسيا
بشاشتها أيدي المنون المواحيا
يد الدهر لا تُبقي من الشك باقيا
عليك فكيف استل تلك المعانيا
وأنت التي أسكرت عيني صاحيا؟

وأنت التي كنا إذا الناس كلهم
وأنت التي جليت لي الأرض جلوة
أسائل عنها كل شيء رأيت
نفخت بها روحاً فغردت صامتة
فلما ألمَّ البينُ لاذت بصمتها
وهل يسمع الصاغي إلى القبر نامة
تولوا وجدنا مغنماً فيك وافيها
أسائل عنها الأرض وهي كما هي
أما كنت فينان المحاسن شاديا
ورنم جلمود وأصغيت لاهيا
وأمسيت حتى يأذن الله صاغيا
ولو كان فيه معبد القوم ثاويا

* * *

نعم أنت لولا ساتر من منية
وإن امرءاً ماتت خوالج نفسه
حياة لها حدٌ ولا حدٌ للردى
كما تتوالى يقظة العيش والكرى
إن لتشوقنا الحمام اشتياقنا
وحسبك سترًا بالمنية ساجيا
لقد جمع الشرين حياً وفانيا
فليت المنايا والحياة تواليا
وترعب أنوار الصباح الدياتيا
إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا

الهيّن الصعب

... ..
وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا
فما توانيت في خطوي ولا دأبوا
فلا يملك عنا الصد والعجب
فلا تُعز علينا بعض ما نهب
أكبرت قدرك حتى لست أدركه
فإن تباعدت عني وأدنت لهم
يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم
أو ليت مثلك يدري ما نهيم به

نصرة في الشتاء

يا نصرّة في الشتاء أبصرها
كأنها والعيون تنهبها
أبهج من كل منظر نَصِر
والنفس تزوى بحسنا العطر

ألف ربيع للعين مدخر
يا طيب ذاك الإكسير مجتمعا
بل ألف حب للقلب مختصر
من حسن شتى الرياض والغرر
في قبلة كوثرية السَّكَّرِ
أضمه كله وأرشفه

إلى الغرق

دعتك العرائس في بحرها
إلى الماء لا بل إلى السابح
فليم الوقوف على الساحل؟
ن لا بل إلى الغرق العاجل
وإن لم يكن فيه بالنازل!
علينا فيا ويح للغافل
سواحه احتشدت كلها

مائدة

مائدة أسرف في طهيها
أكرمنا الطاهي بها ساعة
عشرين عاما عبقرئ الزمان
فكيف بالمكرم يلقى الهوان
وطلعة البدر ونفح الجنان
حسُنْ وأنسُ وحياءُ معًا
إذا تركنا لقمة في الخوان
مدَّتْ لنا طوعًا فما عُذرنا

لغير البيع

جواهر الحب قالوا غير زائفة
كلا ولا أنا من شكِّ ولا ولع
مهلًا فما أنا فيه بائع شاري
بالسر عارض أحجاري على النار
إني قنعت بومضٍ منه غرار
خذ معدن الحب إن ألفت معدنه
حب يقوم على صدقٍ وإيثار
ما للأناسي من حبٍّ يدوم ولا

ليلة البدر

هات لي الذكرى وجدد ما مضى عندك الذكرى ورجعها معا
هات ما كان كما كان انقضى أو فجدد غيرهُ مبتدعا
ليلة البدر وقد كان الرضا موعد الأهرام نبغي مطلعا
فقضى الله سواه غرّضا

* * *

قد نوبنا ونوى الغيب لنا نيةً أمتع للمستمتع
خُسِفَ البدرُ وأمسيّتُ أنا أدّعي من نشوة ما أدعي
كلما ناديتني هيا بنا قلت هيا وأنا في موضعي
السنا عندي فما لي والسنا

* * *

خسف البدر وما كان الخسوف شيمة البدر الذي بين يدي
نشر الناس وطافوا بالدفوف وأنا والبدر في نشر وطي
خل من شاء كما شاء يطوف إن بدري طالع منه إلي
لا أحب البدر ترعاه الألوّف

* * *

يا سمير الليل يا نعم السمير ما لنا والصبح ما دمت أراك
أنا في نور وروضٍ وعبير حينما ألقاك لا ألقى سواك
رشفةً من ثغرك العذب النضير أو من الكأس احتوتها شفتك
وسلامٌ أيها الكون المنير

* * *

هات لي من فيك أنفاس الغرام أو فقل إن شئت أنفاس الحياة
واسقني الخمرة من أعذب جام لا من البلور في أيدي السقاة
ثغرك الضاحك كأسٌ ومُدَامٌ ونديمٌ لي وراوٍ في الرواة

ديوان من دواوين

ينشد الشعر فيشجيني الكلام

* * *

ينشد الشعر جديداً كالصبا وأنا ناظمه منذ سنين
بث فيه من صباه عجبا فإذا قلت ارتجالاً لا تمين
هات لي الحسن وهات الأدبا واسقني الخمر من الثغر المبين
ذاك حسبي في زماني مطلباً!

إعفاء

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء!
خوني فما أسهل التقصّي عندي وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل في حسابي ففقدك يا زينة النساء

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذي يعقب الشكوى فحبي من النعمى وليس من البلوى
بذلت له ناري ثلاثين حجةً فلا نار بعد اليوم اليوم للحلوى

لو كان إلهاً

قال الشاعر الفرنسي «دوجيرل» لحبيبتة: «لو كنت إلهاً لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي، ولأعطيتك الهيولى، وما في أحشائها من رحم خصب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين؛ ابتغاء قبلة واحدة!»

وسئـل صاحب هذا الديوان: «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلهًا؟» فقال:

أعطيك كيف وما العطاء بخير ما
بل لو غدوت كما اشتهيت وأشتهي
فترين أنك حين فزت بحظوتي
وتسيطرين على الصروف وفوقها
إن كان رب الكون عندك قلبه
ويكل شمس في السماء وضيئة
تبدي القلوب من الغرام الصادق!
رباً أخذتـك أنت أخذـ الوائق
أحلى وأجمل من جميع خلائقي
نبضات قلبي المستهام الوامق
أهون لديك بأنجم وصواعق
ويكل بحر في البسيطة دافق

ماذا عليه؟

ماذا عليه إذا استوى
هذا القوام جماله
أنى تمايل عطفه
أشتاق بعض نفاره
وإذا التوى ماذا عليه؟
مهما تعسف في يديه!
مالت جوانحنا إليه
شغفاً برؤية صفحته

ملتقى الربيع

هات الربيع الغض لي كله
إن فاتني جمع أزهيره
في روضة بل طلعه بل شفه
في قطفة فالرأي أن أرشفه

نبضات جديدة

خفقات تلك من وزن جديد
ذلك الوجه وما العهد بعيد
أيها القلب فأسمعني صداك
أنت تهواه فلا تنكر هواك

* * *

أنت تهواه وتسعى بي هنا كل يوم بعد يومٍ كي تراه
لا تراوغني وقلْ هيا بنا في صريح القول نستجلي سناه

* * *

نحسب الرقة فيه أَلَمًا فإذا أنت من الوجد تذوبُ
لا يكون الحب إلا هكذا أنا لا أجهل أسرار القلوبُ

* * *

كاصفرار الشمس في ثوب الغروب واصفرار العاج في ثوب القدم
ذلك اللون نسّميه الشحوب وهو في الحسن شفيح للسقم

* * *

رحمةً للقلب من ذاك الوجيه صيغ من نوبي حنان وحنين
كلما رفرفت بالعين عليه شبّه الفرحان عندي بالحزين

* * *

إن أشأ قلت خيالاً في الكرى أو أشأ قلت عياناً لا خيال
جُمع الأمران لي فيما أرى حين صَحَّ الحُلم في خير مثال

جمالٌ يتجدد

كلما قلت لي الربيع جميلٌ قلت: حقاً وزاد عندي جمالا
عجباً لي بل العجيبة عندي صور الكون كم يسعن كمالا!
خلتني قد وعيتهن عياناً وتتبعن من وعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كتب قرأ الكتب دارساً فأطالا
فإذا نظرةً بلحظك تبدي صوراً ما طرقن عندي بالا

بعدد الأنوار في أعين الحـ ب نعد الأكوان والأجيالا

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى	شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً
شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً	أسرع بأجنحة السماء جميعها
أسرع بأجنحة السماء جميعها	ودع الشمس تسير في داراتها
ودع الشمس تسير في داراتها	ما ضر دهرك إن تقدم واحد
ما ضر دهرك إن تقدم واحد	...
...	...
يا يوم موعدها ستبلغني المنى	لا غصنَ رابيةٍ تقصر راحتي
لا غصنَ رابيةٍ تقصر راحتي	سأظل أخطر كالغريب بجنتي
سأظل أخطر كالغريب بجنتي	فأبيت ثم إذا احتواني أفقها
فأبيت ثم إذا احتواني أفقها	فرحي بصبحك حين تشرق شمسه

شوقي إليك وما أشاق لمغنم؟
 من وكره، ويكاد يطفر من دمي
 إن لم يُطعكَ جناح هذي الأنجم
 وتخطها قبل الأوان المبرم
 يا يوم من جيشٍ لديه عَرْمَرَمِ

 وتتم لي الفردوس خير مُنَمِّمِ
 عنه ولا ثمر يعز على فمي
 حتى أثوب على قدومك فاقدم
 لم أنه عن أمل ولم أتندم
 فرحُ الضياء سرى لطرفٍ مظلم

الحب المثال

كأنني مثلاً وحسنك تمثالي	عجائب حبٍّ ما خطرني على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده	من الحسن إلا وافق الحسن آمالي
وأحلام قلب فيك تسري كأنها	خوالق أيدي الفن في الذهب الغالي
تجول بأشكال الخيال وتنثني	وقد أسعدت منك العيان بأشكال
إذا ما تمشّت فيك معنى لمستها	محاسن أعطافٍ ورقة أوصال
إذا اقترحت عيني فأنت مجيبها	فهل منك أو مني صياغة تمثالي؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى	غنيٌّ على وفرٍ من الوقت والمال

فما فيك من نقص ولكنما الهوى نوازغُ شتى لا تقرر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعي لكل حبيب في الصبا ألف سربال
وأجمل من صوغ الدُّمى صوغ دمية لها زينتها من حياةٍ وإقبال

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاءِ
تجربةً في البحر والسماء
جربها «مفصل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ في الأزياء
مجوّد الإتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضيء
ولا بمحض الزُّبد الوضء
زينته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسماء
ولمعة العينين في استحياء
إن فاتني تقبيله في الماء
وفي جمال القبة الزرقاء
فلي من الأزرق ذي البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبَّلٌ مبتسم الأضواء
مردّد الأنغام والأصداء
وقبلتُ منه على رضاء
غنى عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء
وعنك يا دنيا بلا استثناء

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمر
جمعتهما أنا في لثمة
فما زال يلحظه جهرةً
ويزعمها قبله من أخ
ولو شئت ظلت وجه الحبيب
ولكن كرمت فخذ يا قمر
نظيران يستبقان النظر
أو البدر قبله فابتدر؟
ويغمزه من وراء الشجر
ففيم إذن قطفها في حذر؟!
ولو شئت كللته بالزهر
من الزاد ما تشتهي في السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره
فقال وقد فاض منه الرضا
على مثل هذا تطيب الحيا
فقلت أجل ما أحب الحيا
لأجلك يصفو لها من صفا
وباسمك يعذرها من عذر
وهز الحبيب حنين السهر
وسرَّ بفيض رضاه وسر
ة وفي مثل هذا يروق السمر
ة وأنت شفيح لها مدخر
وباسمك يعذرها من عذر

دنيا مقلوبة

صوت النذير الذي أبقاك خائفةً
أو البشير الذي يدعوك ثانيةً
الحبُّ والحرب واويلا قد اجتمعا
على ذراعيّ قولي كيف أخشاه؟
إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه؟
في القلب فانقلبت أحوال دنياه!

ساعي البريد

هل ثمَّ من جديد يا ساعي البريد

* * *

ديوان من دواوين

لو لم يكن خطابي في ذلك الوطاب
لم تطو كل باب يا ساعي البريد

* * *

ما ذلك التنسيق والجمع والتفريق
والقفز والتعويق يا ساعي البريد؟!

* * *

كسوتك الصفراء والخطوة العرجاء
يمشي بها الرجاء يا محنة الجليد

* * *

لو لم تكن جمالا في مشية العجالي
صغنا لك التمثالا من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات في حاضر وآتي
إلا على الميقات ميقاتك الوئيد

* * *

في شرفتي أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لي القمر يا ساعي البريد

* * *

كم لهفة نسيتهأ أماتني مميتها
لقيتها لقيتها يا ساعي البريد

* * *

جددت لي انتظاري وقلعة اصطباري
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

مناجاة

* * *

أَكْرِمُ بِهِ مِنْ ثَمَرٍ مَنْتَظِرٍ مَدْخَرٍ
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِزْهَرٍ مَبْتَدِئٍ مَعِيدٍ

* * *

يَا طَائِفًا بِالدُّورِ كَالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ
بِالْخَيْرِ وَالثَّبُورِ فِي سَاعَةِ الْبَرِيدِ

* * *

فِي لَمْحَةٍ تَنْتَشِرُ مِنْكَ الْمَنَى وَالْعَبْرُ
وَأَنْتَ مَاضٍ تَعْبُرُ كَالْكُوكَبِ الْبَعِيدِ

* * *

كُنْ أَبَدًا مَرِيدِي بِالْخَيْرِ السَّعِيدِ
وَبِابْتِسَامِ الْعِيدِ يَا سَاعِي الْبَرِيدِ

عجب الساعي

عجب الساعي الذي كنت له
إن من تحضر لي أخباره
ألق إن شئت وطابًا حافلًا
الطريق الآن لا أرقبه
ولك الشكر ولي العذر فلا
لا تذكّرني نواه بعدما
أبدًا في شرفتي منتظرا
أيها الساعي بخير حضرا
لا أبالي لحظة إن صفرا
لأرى وجهك لكن لأرى
تظهر الآن فما قد ظهرا
كنت تروي عنه ذكرًا عطرا

تسَلَّمْ هذه الدنيا كما خَلَّفْتها عندي
وحاسِبْها على قَرَبٍ بما تجني على البعد

* * *

تسلم هذه الشمـ س التي تَوَسَّس أو تهدي
لقد كانت هداها للـ ه مكسلاً من المهد
تجوب الأفق في جهـ وما تسرع بالجهد
وكانت تحجب الأنوا رَ أو تبدي فلا تجدي
وكانت شعلَةً حرَّى من اللوعة والوجد

* * *

تسلم هذه الأطيا رَ واسألها عن العهد
تُعْنِي الآن فاسألها أَعْنَتَ قَطُّ لي وحدي؟
وإن عُنَّتْ فهل كانت سوى نوح لها مُعدي
وإن أعدت فهل تعدي بغير الشجو والسهد؟
نعم سلها جزاها للـ ه: أين تحية الورد؟
وأين تحية الألف وأين تحية الفرد؟
لقد كانت لحاها للـ ه تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها وفيم تَضُنُّ أو تسدي

* * *

تسَلَّمْ أنجم الليل بلا عدِّ ولا حدِّ
تسلمها وكاشفها بما تُخفي وما تبدي
وسلها كيف ضلَّتني وما ضلت عن القصد
وفيم تغامرُ منها إذا حَيَّرني قيدي
نعم قيدي الذي في النفـ س لا في صفحة الجلد

مناجاة

أهزلاً تهمس الأنجب — م أم تهمس عن جدّ؟

تسلم زهرك المحبو ب في السهل وفي النجد
تراه ضاحك العين تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ س حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يوصي بغير الهم والزهد
فما عن لومه في ذا ك يا مولاه من بد!

تسلم هذه الدنيا كما خلّفتها عندي
بحمد الله تلقاها كما تلقاك بالحمد
فخذها راضياً عنها وعنني وعن الود
وعلمها إذا ما عدت لا عدت إلى البعد
أماناً في مغيب منـ ك أو في محضرٍ رغد
فما تسمع لي قولاً إذا ناجيتها وحدي!

ثرثارة

أراك ثرثارة في غير سابقةٍ فهات ما شئت قالا منك أو قيلا
ما أحسن اللغو من ثغرٍ نقبله إن زاد لغواً لما زاده تقبيلا

زمن محل

أمحلّ الدهر واطرّد لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظار لموعِدٍ أو هيامٌ بمن وعد

كل أيامنا تسا وين في الوسم والعدد
صبحها مثل ليلها وألتقى أمسها بغد
تنقص العمر كلها وبها العمر لم يزد
لم تزد ماضيًا وقد نقصت مقبل الأمد

إساءة مشكورة

إليكَ مني الشكر حتى على إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتني منك فأنجيتني من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق تعرّض العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة رياءً له كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامئ ترياقتها أن ينظر الغصة فيما انتظر

صنوف حب

عرفت من الحب أشكاله وصاحبتُ بعد الجمال الجمال
فحب المصور تمثاله عرفت وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعدّه وحب التصوّف لم يعدني
وفي كل حب ورى زنده سمات من المؤمن الدين

* * *

...
وحب التي علمتني الهوى وحب التي أنا علمتها
ومن أستمد لديها القوى ومن بالقوى أنا أمدتها

مناجاة

* * *

... ..
صنوف من الحب لا تلتقي وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق لما كنت كفوًّا لهذا الهوى

هذا هو الحب

غريراً تسأل: ما الحب؟
بنيّتي! هذا هو الحب!

الحب أن أبصرَ ما لا يُرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغَ الحقَّ ما سرّني فإن أباي فالكذب المفتري

* * *

الحب أن أسأل: ما بالهم لم يعيشوا المنظر والمخبرا؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بُهراً وما فُكِّرا؟

* * *

الحب أن أفرقَ من نملة حيناً وقد أصرع ليث الشرى
وأن أراني تارةً مقبلاً وخطوتي تمشي بي القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لي سكرت؟ همَّ القلبُ أن ينكرا
وكل عضو بعده قائلٌ نعم ولا أحفل أن أسكرا
الحب أن يفرق أعمارنا عهدان والعهد وثيق العرى
أحسبني الأكبر حتى إذا عانقتني ألفتني الأصغرا

* * *

والحب أن نهبط تحت الثرى والحب أن نصعد فوق الذرى
والحب أن نوثر لذاتنا وأن نرى آلامنا آثرا
والحب أن أجمع في لحظة جهنم الحمراء والكوثرا
وأنني أخطئ في لهفتي من منهما روى ومن سعرا

* * *

والحب أن يمضي عامٌ وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علقتُ في ساعة حواشي الدفتر والأسطرا

* * *

بنيّتي هذا هو الحب
فهمته؟ كلا ولا عتب!
مسألةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدرّيها ولا الكتب
حسبك منها لو شفت حسب
إشارةً دقّ لها القلب

الحب

ما الحب روح واحدٌ في جسديّ معتنقين
الحب روحان معاً كلاهما في الجسدين
ما انتها من فرقةٍ أو رجعةٍ طرفة عين

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبي يكاد يلمس حبي
وفيه منك دليلٌ على المودة حسبي

* * *

ألم أتل منك فكرة في كل شكة إبرة
وكل عقدة خيطٍ وكل جرة بكرة!

* * *

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسيرٌ مطوقٌ بحصارك!

* * *

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه: هل مر منه إليّ طيفٌ غريب؟

* * *

نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني ما زلت في إصبعيك

ليلة الوداع

أبعدًا نُرَجِّي أم نُرَجِّي تلاقيا كلا البعد والقربى يهيجُ ما بيا
إذا أنا أحمدت اللقاء فإنني لأحمد حينًا للفراق أياديا

ألا مَنْ لنا في كل يومٍ بفرقةٍ تجدد ليلات الوداع كما هيا
ليالٍ يببِح الدَّل فيها زمامه ويُرخّص فيها الشوق ما كان غاليا

* * *

ويا ليلتي لما أنست بقربه وقد ملأ البدرُ المنيرُ الأعاليا
تَطَّلَعُ لا يثنى عن البدر طرفهُ فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا
بنا أنت من بدر وددت لَو أنّه على الأفق يبدو أينما كان ثاويا
غداً تنظر البدر المضوئ فوقنا وحيدين من دارين لم تتلاقيا
أشْمُ شذى الأنفاس منك وفي غد سيرمي بنا البين المشتُّ المراميا
وَأَلْثُمُهُ كيما أبرد غلتي وهيهات لا تلقى مع النار راويا
فقبَلْتُ كفيه وقبَلت ثغره وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذوذ البين بالقرب بيننا فنشدد من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادي طائر عاد إلفه إليه فأمسى آخر الليل شاديا
إذا ما تضامنا ليسكن خفقه تنزَّى فيزداد الخفوق تواليا
أوشَّحُ في كلتا يديه رواجبي وشيخاً يظل الدهر أخضر ناميا
وتلمس كفي شعره فكأنني أعارض سلسالاً من الماء صافيا
وأشكوه ما يجني، فينفر غاضباً وأعطفه نحوي فيعطف راضيا
أقول له يكفيك أنك قادرٌ على أمل أعيا الزمان المعاديا
قدرت على إسعادنا ومنحتنا ليالي أعيا منحهن اللياليا
قدرت ومن يقدر على السعد لم يكن جميلاً به أن يترك الخلَّ شاكيا

* * *

وناعبةٍ صاحت وللليل هجعةً فقال علام اليوم ينعب ناعيا
لقبحت من عمياء تقرأ في الدجى إذا اسودَّ أسطار الخراب الخوافيا
فقلت على النفس التي سوف تغندي طولاً بأحناء الضلوع حوانيا
تجوس أفاعي الحزن في جنباتها ويا ربما تأوي الضلوع الأفاعيا
فلا تحسبنَّ اليوم تنعى المغانيا فقد تندب اليوم النفوس البواليا
وكم وحشةً للنفس يخشى اقتحامها أخو غمراتٍ ليس يخشى الفيافيا

* * *

ولما تقضَى الليل إلا أقله
فأقبل يرعاني ويبكي وربما
وزحزحني عنه بكف رفيقة
يقول لقد ران الكرى وتفرقت
فقلت وكم من ليلة إثر ليلة
فهب لوداعي من رقادك ليلة
حرام علي النوم ما دام هاتف
وأسلمت كفي كفه فأعادها
فلم أر ليلاً كان أبيض مطلعاً

وحان التنائي جشت بالدمع باكيا
بكى الطفل للباكي وإن كان لاهيا
وأسبل أهداب الجفون السواجيا
نجوم الدجى والديك أصبح داعيا
سهرت وقد أمسيت وحدك غافيا
تمر فإني قد وهبت حياتيا
من الليل لا ينسى إذا بت ناسيا
وقلبي فهلا أرجع القلب ثانيا
وأسود أعقاباً وأشجى معانيا

الخمير الإلهية

على طريقة ابن الفارض

... ..
مباسم ثغرٍ والحباب ثناياه
فمن ذاتها لم تجرٍ بالدمع عيناه
لقلت لظى أذكى النسيم شظاياها
يرفرف حوليه الفراش ويغشاه
إذا ما خبا قلبٌ من الحزن أذكاه
فمن سلسيل الخلد في طيب سقياه
فوارغ صف كالثريا وملاّه
لعينيك من سر العوالم أخفاه
فأطيب في دار الشقاوة رياه
لعاش ولم يدِر القطوبَ محياه

... ..
يدور بها الساقى علينا كأنها
جرت في صفاء الدمع وهي دواؤه
تنير فلولا أن تسيل رحيقها
يكاد إذا طاف الغلام بجامها
لها في يمين الشاربيين توهج
تلوح كماء المهل أما مذاقها
تشابه في عين النديم وما انتشى
كنوس كجام السحر يكشف وحيه
إذا طاب في الفردوس رياً نسيمها
ولو مزجوا بالخمير طينة آدم

حسنا عمياء

قـرة العـين عـزاءً
لـك فـي الـكـون الـمـنـير
س هو الـآن أسـير
سـنـيـك هـيـهـات يـحـور
عـنـك يـا أـخـت الـبـدور
عـنـك يـا أـخـت الـبـدور
مـا لـه الـدـهـر بـكـور
ح مـعـارُ فـتـعـير
لـيـت نـور العـين مـصـبـا
لـيـس أوـلى بـبـكا العـيـد
وـجـمـال عـن جـمـال الـ
مـطـمـح الـأبـصـار بـدُعْ

من تقليد «نشيد الأناشيد»

أـجـل تـلك خـبـايـاها
وـهـاتـيـك خـطـايـاها
فـهـل تـدريـن مـا ذاك الـ
ذـي يُدـعـى مـزايـاها؟

* * *

لـمـا فـيـها مـن العـيب
سـنـنـسـاه وـنـسـاها
وـللـحـسـن الـذي فـيـها
سـنـحـيـي الـآن ذـكـراها

* * *

سـأـحـصـي لـك مـا يـعـجـب
سـب مـنـها، وـهو كـالـشـمـس
كـمـا أـحـصـيت مـا يـغـضـب
سـب بـعـد الـسـعي والـدس

* * *

ثـنـايـاها ثـنـايـاها
وـهـل ذـقت ثـنـايـاها؟!

مناجاة

وعيناك ويا للقلـب كم تسببه عيناها؟!

* * *

وتلك الوجنة الخمر ية السكران رائئها
أفي الجنة يا رضوا ن تفاح يحاكيها؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفهاها أقام الجور نهداها

* * *

وتلك النسمة الحلو ة في ثوب الأناسي
هي الروح الفراشـية في النور السماوي؟

* * *

دعيها تفسد الخمسيـن إفساد ابن عشرينا
وحاشا بل هي الإكسيـد ر باسم الحب يحيينا

* * *

وعندي من حُمياً الشعـر إكسيري وترياقـي
وهل كالشعر في الدنـيا ربيع دائم باقي!

مزيج

ما الحب من محض الصدا
الحب فيه الخصلتا
أحلى الصداقة والعدا
فيه العطاء والاعتصا
قة يا بني ولا العدا
ن وفيه مزجهما سواء
وة يمزجان لمن يشاء
ب وقل على الدنيا العفاء!

عشقتك مُكْذِبًا خلقي ورأيي وعفتك صادقًا لهما أمينا
وما أخطأت في لوميك يوماً وقد أخطأت في عذريك حيناً

تقويم العام

تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعته إلى رجعاه موقوفٌ عليك

* * *

وإذا انتهت أيامه ولكل عامٍ منتهاه
فعليك أنت وداعه وترحبين بما تلاه
وَيُجِي إذا دار المدى ورعيت وحدي ملتقاه

* * *

هي قبلة ضُمَّت عرى عامين فاتصلا اتصالا
ومنى الخواطر في غدٍ عام كسابقه مآلاً
لا تعجلن به فما أقسى الحياة على العجالي

* * *

لا فهذا يومنا وغدٌ وبعد غد خفاء
أنا مغمض عيني ومسء تتمع إلى حادي الرجاء
فإذا سمعت حذاءه فدعيه يمضي حيث شاء

بشراي ما أنا شاهدٌ
دارت بروجك والهوى
يا عام وحدي ملتقاك
يخطو وتتبعه خطاك
ومضى فلم أذمم قفاك
وحمدت وجهك مقبلاً

هذي فتاتي هذه!
هي في بديع قوامها
هي لا خلاف ولا اشتباه
هي في الصبا هي في حلاه
هي في غوايتها وآه
ه من غوايتها وآه

ضمي تُغَيِّرِكِ يا بني
لا بالعهود إلى مدى
ة وابعثي منه الأمل
عام ولكن بالقبل
فدعي العهود إلى أجل
إن ساعفتني ليلة

عام تفتِّح بالرجاء
ودعت ذاك العام في
ء وبالرجاء ختمته
قربي كما استقبلته
شرع الوفاء قضيته؟
قولي وقد ولى أفي

لا تخدعيني يا بني
حنًا وحننًا ولا أقو
ة بالوفاء من اللسان
ل سلي فلانة أو فلان
والآن نحن الباقيان
ذهبت خيانتنا معًا

ذهبت خيانتنا كما
لا ذمة تبقى ولا
ذهب الوفاء ومن يفون
يبقى الوفي، ولا الخئون

كم نمة ضيعتها يا عام في تلك الغضون!

* * *

انظر ألسـت ترى فتا تي حيث كنت ضممتها
في جلسة الأمس التي حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت صدري ولا فارقتها

* * *

وإذا سألت وربما جاء السؤال بلا كلام
ماذا تقول مودعي والليل يومئ بالسلام
حيرتني يا عام فاسـ تمع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندي أيهـ ذا العام كلك بالسعيد
لكن سويعاتُ مضت لي فيك تنسي ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها وطمغت على العام الجديد

* * *

حسبي من الدنيا الذي أعطت ودنيانا غرور
حسبي قليل عطائها وقليلها أبدًا كثير
إن عاد يوم غدٍ كأمـ سِ فدُرُ زمان كما تدور

اكذبيني

اكذبيني واكذبيني كلما شئت اكذبيني
ما غناء اللب عندي إن أبي أن تخدعيني
أنا في ثروة وفرٍ منه مهما تسلبيني
أنقصيها أيُّ ضيرٍ؟ درهماً أو درهمين!

المرأة والخداع

خُلِّ الملام فليس يثنيها
هو سترها وطلاء زينتها
وسلاحها فيها تكيد به
وهو انتقام الضعف ينقذها
أنت الملوم إذا أردت لها
خُنْها ولا تخلص لها أبدًا
حب الخداع طبيعةً فيها
ورياضةٌ للنفس تحييها
من يصطفئها أو يعاديها
من طول نلِّ بات يشقيها
ما لم يُرده قضاءً باريها
تخلص إلى أعلى غواليها

الحب أحمق

لم أدِر كيف يتاح لي نسيانها
حتى نسيْتُ فعدتُ أذكرُ أنها
وخيالها في ناظريّ معلَّق
كانت هوايي فلا أكاد أُصدِّقُ

مصيبتان

قالوا اسألها ودع البكاء فإنها
ومصيبتي فيها اثنتان لأنني
من كان يبكي الأوفياء ففي الأسي
في حبها ليست بذات وفاء
أبكي لمن لا يستحق بكائي
لمن استحقَّ أسأه بعضُ عزاء

عجائب القلب

تلك التي كنت أُغليها وأذكرها
قد كنت أرحم نفسي من تذكُّرِها
عجائب القلب ويلي من عجائبه
صُبِّاً ومُسِيًّا، وفي سر وإعلان
فاليوم أرحمها من فرط نسياني
عزَّت نظائرها في العالم الفاني

فراغ ... فراغ

فراغٌ باردٌ شات
أمواتٌ؟ نعم لكن
ويا بؤس الفناء نحسـ
بلا ماضٍ ولا آت
نحس فناء أموات
هـ في كل ميقات

الصحوة الكبرى

متجردان ويملكان سعادة
يتمليان الصحوة الكبرى وقد
لكليهما لا يحتويها العالم
سعدا بأسعد ما يراه الحالم

معجزة وبرهان

أطفأت مني الليالي
من غواياتي وأحـ
شُعلاً بعد شُعَلْ
لامي ومن برق الأمل
قلما يومض فيها النـ
ور من نار القُبْلُ
عجباً لكنه وَهـ
و عجبٌ قد حصلُ

عجباً والدهر لا يفـ
مفرقٌ شاب يُشـ
ني أعاجيب الحياة
بُ الحبِّ في قلب فتاة
شركٌ صاد - ولم أنـ
صبه - صيَاد البُرْاة
وقديماً كان إن دا
ر على الصيد نصل

لو لسانُ قاله لي
لم أصدّق ما يقولُ

مناجاة

غَيْرَ أَنَّ الشَّوْقَ فِي خَدِكَ يَسْرِي وَيَجُولُ
مزهراً بعد ذبول مشرقاً بعد أفول
قَسَمُ فَا هِ بِه قَلْبِي بِكَ بِلِ وَحِي نَزَلُ

أحوج الوحي إلى معجزة وحي عجاب
عند قلب كافر بالناس يغلو في ارتياب
يا رسول الحب آمنه وفي كفي الكتاب
طفلة تهفو إلى الشيب أجل ثم أجل!

حين لمحت تغايبك، ولي والله عذرت
وانثنى التلميح كالتصريح والشك مُصِرُّ
ثم طاش السر حتى كاد يسعى وهو جهر
وتلاقينا فماذا كان؟ بركان جفل

خَابَ شَكِّي وَأَنَا الْآبِ بِمَا خَابَ سَعِيدُ
وسعيدُ كلما خاب ببرهان جديد
بين حسن فيك يزدا وإقبال يزيد
وسلام شاع في نفسك كالليل شمل

يا فتاتي هو من ربك والله قَدَرُ
قدر أرحم ما حم على قلب بشر
أغمضي عينيك وامضي فيه أيان استقر
واطمأني ما قضى الله قضاءً فارتجل!

صاغه الله عجبًا ومحا عنه عجبًا
غير بدع أن يهيج الشـرر الحي لهيبا
إنما البدع لهيب يبتغي منا شبوبا
كله إن جل أو قل من الشمس وصل

* * *

نحن في الآفاق قربي بعضنا ينشد بعضا
ربما قيل رماد وهو ملء الأفق رمضا
إن في النور لقاحا صنوه بالصنو يرضى
رُبَّ نجمٍ منك لو لا شررٌ مني أفل

انتقام جيتي

يا صديقي القديم «جيتي» اعتذارًا
كنت أنعي عليك حبك في السـ
وأراني على ملامك من قبـ
فانتظرنى فقد يجيء اعتذارى
إن عشقنا كما عشقت وأوفىـ
لك من سوء ظننتى وملامي
تتين بنت العشرين، فاغفر ملامي
لُ حبِّ دون الثمانين دام
لك طوعًا في مقبل الأيام
عنا عليها انتقمت خير انتقام!

إلى الشفاه لا إلى الأذان

فيم أروي لك شعري؟ أنا أدري أنا أدري

* * *

أنا أدري يا فتاتي حيث ألقى بالأغاني
إن شعري سمعته شفتان ... شفتان!

مناجاة

ها هنا سربُ إلى القلبِ ب الذي أعنيه دان

رفَّ شعري حيث رفَّتْ بالأمانى قبلاتي
وتصفَّحت صداه قبسًا في الوجنات
هو من ثغر فتاتي وإلى ثغر فتاتي

فيم تسعى رحلتي بيد من المعاني وتطولُ
ها هنا الشعر وموحي الـ شعر يصغي ويقولُ
كل إصغاءٍ لعمرى بين هذين فضولُ

مزج

سمَّيتني باسم اللدات وبيننا عمرٌ كعمرِكَ أو يزيد قليلا
مزج الهوى العمرين في جيل فلا تقديم بينهما ولا تأجيلا
ومحا الفوارق كلهن فلم يدعُ غيرَ الهوى جيلاً لنا وقببلا

لفاع

لفاعك في عنقي كالوفا ء يطوِّق جيدَ السميع المجيب
مكان ذراعيك أولى به نسيج يديك السخي القشيب

إذا فاتني منك طيب العنا قِ فلسواي منه بديل قريب
فلا أُحَرِّمُ الدفاءَ عند اللقا ءِ ولا أحرمُ الدفاءَ عند المغيب

رأيت

رأيتُ النهرَ ظمآنَ إلى البیداءِ يرويها
رأيتُ الزهرَ مشتاقًا إلى الأطوادِ يُحليها
رأيتُ الليلةَ الليلاً ءَ والكوكبَ حاديها
رأيتُ الحانَ تنسابَ إلى أفواه حاسيها
رأيتُ العَجَبَ العاجِبَ ب في الدنيا وما فيها
شبابًا هام بالها مة قد شابت نواصيها
إخال الحب يستحـ حدث ترويحًا وترفيها
ألا فليَلُهُ ما شاء فما تفنى ملاهيها

من الأستاذ عماد

يا حزينَ النفسِ أُعطيتَ مناها فاعنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنغصُّها اختيارًا واكتناها إن من خاف من الجن يراها

* * *

... .. لا تقل يا وردتي شوكت أينا ما علينا منه فيها ما علينا؟
... .. إنها أخفته عنا فانتهينا حسبنا الوردة رفَّت في نداها

إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عهد صباها نصحك الصادق لو تُشَفَى شفاها
محنةٌ تبلغ في يومٍ مداها ما تراني صانعًا، أو ما تراها؟

مناجاة

* * *

ناصحي أنت بزهرى أنتشيه لا أبالي الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديقي أتقيه يخرق الدرغ وإن دقت عراها

* * *

وردتي يا صاحبي في الورد بدع! بدعها طبع وكل الورد طبع
طبعها كالفخ ينهك ويدعو وبلاء النفس في مس جناها

* * *

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا الجنى الكيد فهل نأمن كيذا؟
الجنى القيد فهل نحمد قيذا؟ الجنى، يا ويحها، أشهى أذاها!

* * *

وردتي أفتها فرط التحدي جاوزت في كل شيء كل حد
حسنها هيهات منه حسن ورد شوكتها أنفذ من شوك سواها

* * *

أتراني ناعبي والقلب دام وسعار الجرح يمشي في عظامي
لذة العيش بوشى ونظام وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

آه من برئى وآه من سقامي آه من صلحي، وآه من خصامي
آه من شمسي وآه من ظلامي آه من لذعة آه في جواها

* * *

لذعة النيران ينفثن دخانا ليضيء اللهب الخافي عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتدانى من قرار النفس يرتاد ذراها

* * *

أه من أهٍ لحاها الله جدًّا لا تزل خالدة في النار خلدا
من قلوبٍ تلتظي حبًّا وحقداً حرقت أهاتها أهًا فأها

* * *

أنا لا أطلقها حتى تذوبا في لظاها كلما شبت شبوبا
وأراني يا صديقي لن أتوبا فإذا تابت عرفنا منتهاها

مترجمات

فينوس على جثة أدونيس

معربة عن شكسبير

رأت شفّتيه والبكا يستجيشها
وجست يداً كانت نطاقاً لخصرها
ومالت على أذنيه حتى كأنه
وتفتح جفنيه لتبصر فيهما
سراجين كانا يجلوان لعينها
وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر
فقال برغمي إنك اليوم ميت
فما راعها إلا اصفرارُ عليهما
فلا رمقاً فيها تُحسُّ ولا دما
ليسمع منها شجوها والتندما
سراجين كانا يسطعان فأظلما
جمال محيّاها فواراهما العمى
فقد فجع الموت المحاسن فيهما
وإن الضحى لمّا يزل متبسّما

ألا أيُّ هذا الحبُّ إنك بعده
ستصبح أنى سرت ترعاك غيرة
ستقبل محمود الأوائل سائغاً
وإنك إمّا عن مرامك قاصر
عذابك بالصفو الذي فيك راجح
ستصبح داءً في الجوانح مسقما
بعين تريك الوهم صدقاً مجسّماً
وتدبر مشنوم العواقب مؤلماً
فتأسف أو مجتازه متهجماً
وماؤك ممزوجُ به الري والظما

بلى سوف تعدو أيها الحبُّ كاذبًا
يطير بعطفك النسيم إذا سرى
تطوف وما أحلاك يا حبُّ ساقياً
بكأس حوافيها نعيمٌ ولذَّةٌ
تهد قوى الثبت المريرة من جوى
وتنفخ في روع العييِّ فينبري
لجوجًا ملولًا جافياً متبرماً
وترمي بك الأنفاس في كلِّ مرتى
بكأسٍ تغر الحاذق المتوسما
وما ضمننت إلا سماً وعلقما
فتعرقه إلا مشاشاً وأعظما
فصيحاً ويغدو مدره القوم أبكما

* * *

ويا حب تعفو عن كبائرِ جمّةٍ
ويا حب تُضري من يدبُّ على العصا
وتبتزُّ أموال الغني وربما
عرامة مجنونٍ ورقة مائق
وقد يحلم الفتيان في ميعة الصبا
هيوبًا ولا شيء يُهابُ لقاءه
وترحم أحياناً وفيك قساوةٌ
وأخدع شيء أنت إن قيل منصفٌ
وإن شئت أزجيت الجبان فأقدما
وتضطغن الذنب اليسير تجرماً
فيضرى، وتتهى الضاري المتقهما
منحت كنوز المال من كان معدما
ويا ويح قلبٍ وامقٍ من كليهما
ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما
عسوفاً إذا ما الخوف قد كان أحزما
وأنت بأن تقسو جديرٌ وترحما
وأصعب شيء أنت إن قيل أسلما
ووسوست في قلب الجريء فأحجما

* * *

ألا أيها الحب الغوي ألا انطلقُ
ألا ولتفرّق والدًا عن وليده
وكم فتنه يا حب توري ضرامها
ألا وليكن أشقى الأنام بحبه
نبوءة ولهى رُوَعَتْ في حبيبها
على الناس سيلاً جارفاً أو جهنما
فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما
وترسلها شعواء في الأرض والسما
أحق امرئٍ فيه بأن يتنعما
وجار الردى الباغي عليها فصمما

العرض

معربة عن شكسبير

أرى الذكر للإنسان أنفسَ جوهرٍ
وما سارقي من يسرق المال إنني
تقلب في الأيدي فقبلك كاسبٌ
ولكن من يسلب من المرء عرضه
يضيع على المثلوب زينة نفسه
تزان به أعراضه ومناقبه
أرى المال من يظفر به فهو صاحبه
حواه وقد يحويه بعدك كاسبه
فذلك في شرع الحقيقة سالبه
وليس يفيد العرض من هو ثالبه

الوداع

معربة عن بيرنز

قبلةً بعدها يطول الفراق
سوف أبكيك والمحاجر شكُرى
سوف أدعوك في الدجى بأنين
كيف يشكو من عثرة الجد ظلمًا
بيد أنني درجت في ظلمة اليأ
لست ألقى على الهيام فؤادي
من رآها فكيف يسلو هواها
آه لولا صبا بةً وغرامٌ
ما غدونا ولي فؤاد كسير
فسلامًا يا قرة العين والقلـ
حاطك الله بالسعادة والحب
قبلةً بعدها يطول التناهي
وعناقٌ وليس بعدُ عناق
بدموع من الفؤاد تراق
وزفير في الصدر منه احتراق
من محياك نجمه الألاق
سِ فحولي من الظلام نطاق
قَدَرُ الحب دفعه لا يطاق
يعشق القلب إذ ترى الأحداق
قد شربناه والكئوس دهاق
وجبينُ سيماءه الإطراق
بِ وأحلى من صور الخلاق
ورواك ماؤه الرقراق
وعناقٌ أوَاه! ثم افتراق

لا طلع الصباح

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجولييت

كأن الدهر شيمته السماح	أمتعدُّ وما اقترب الصباح
فخلت الليل ينعاه الصباح	أراذك صائح الطير المغني
فليس عليك من رفق جناح	ترفق لا عدمتك من حبيب
فيطربه كما شاء النواح	فذاك البلبل المسكين يبكي
على رمان دوحتنا جناح	يرف له وجنح الليل داج
لقد والله جد بك المزاح	أكنت حسبتها الورقاء هبت
قُبَيْلَ الفجرِ لا طلع الصباح	قليلًا ما أقمت فقف مليًا

الوردة

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزي وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندي قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشعر الرقيق):

مبللة الأوراق باكية السن	أتتني بها من خدها مثل لونها
إليها وقد يجني على الورد من يجني	جنتها لها تربُّ حسانٌ تزفها
فراقٌ ووريدات صغارٍ على الغصن	كأنَّ نديَّ الطل دمعٌ أطله
لتنشط من خوف وتبسم من حزن	فأمسكتها خجلي المحيا أهزها
وطرت بدادًا في التراب إلى الدفن	فما كان أقساني لقد فاض روحها
كما شئت من عطر وما شئت من حسن	ولو لطفت كفي لفاحت وأزهرت
حوى بلسماً يشفي الجريح من الطعن	كذاك يكون اللوم طعنًا وربما
ألا إنَّ بعض العذل يضني ولا يثنى	وكم راح تعنيف الشجي بروحه
تجول مكان الدمع من جانب العين	ولو لمت في رفقٍ رأيت ابتسامه

القدر

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزي

عن عيون الخلق رب العالمين
صفحة الحاضر حيناً بعد حين

إنما الغيب كتابٌ صانه
ليس يبدو منه للناس سوى

لامرتين على جبل الكرمل

ففيك قرأت الحسن سطرًا منمًا
فجلًاك كالمرآة تلمع أزرقا
صموتًا كمن يصغي إليها محدًا
يظل إلى معشوقه متشوقا
بمصطفق الأذي أبلج مشرقا
حكى الدر أو عشب هنالك أورقا
إلى الأفق بل يستوضح الماء مطرقا
روى الماء عن ليلاي فيك فأصدقا
من الزهر ينمو في حوافيك مونقا
تضاحك فيه دره وتألقا
فجال على أوراقه وترقرقا
على أنه كالغصن مال على النقى
يكلل منه الزهر فودًا ومفرقا
تحلى بأحلى معصم حين أحدقا

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى
حباك الفضاء اللازوردي لونه
أراك وقد فيأت «ليلي» عشية
تمثل منها وجهها — فعل عاشق —
فتطلعه كالبدر يبدو مثاله
فما حفلت عين بما فيك من حصي
وما ينظر الرائي السماء مصعدًا
لك الله كم حسنا حويت ورونقا
فعينان أبهى زرقه وملاحه
وحسبك من در البحار بمبسم
وثغر كأن الورد باكره الندى
وجيد كمثل العاج أبلج ناصعا
وفرع كخفق الموج فيك خفوقه
وفيك من المرجان يا حوض دملج

* * *

مخافة ذاك الظل أن يترنقا
إذا ما مددت الكف درًا منسقا
جلا الحسن عذبًا في حواشيه ريقا

رفعت يدي دون النسيم وقد سرى
أحدث نفسي أنني منك لاقط
وأرشف من ماء هنالك ريق

* * *

على أن ليلى خَلَّفْتُ وَأَجْفَلْتُ إلى أمها تعطو لديها تَأْنُقَا
فإني لأدلي فيك طرفي فلا أرى سوى الماء أمسى راكد الحس ضيقا
تذوقت منه قطرةً بعد قطرةٍ فألفيت ما لا يستطاب تذوقا
وكنت أرى حسناً فما لي لا أرى سوى حشراتٍ أو نباتٍ تفرقا

* * *

حَنَانِيكَ يَا بِنْتَ الْمَشَارِقِ إِنَّ لِي فُؤَادًا بِرَبَّاتِ الْجَمَالِ تَعَلَّقَا
لِحُسْنِكَ سِرٌّ فِي الْفُؤَادِ كَسِرِّهِ على الماء لَمَّا أَنْ حَكَكَ فِدَقَا
فقد رسمت فيه لحاظك صورةً مدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقا
عذيري من تلك اللحاظ كأنما هي النجم في عرض السماء تَأَلَّقَا
إذا رمقت فالصبح أو حال دونها خمارٌ فهذا ليلٌ مَنْ قَدْ تَعَشَّقَا

حديقة الحيوان

مسودات الحياة

تأملُ تَرَ الأحياءَ عَجْمًا كأنها
ويا رَبِّ سرٌّ في كلامٍ مسودٍ
أراها كإخوانٍ تفاوت حظهم
فمن حائزٌ نَعْمَى أبية وأمه
ومن يلقيهم يلقي الحياة كأنها
مسودةٌ للخلق لَمَّا تُنقَحِ
يعود فيخفى في الكلام المصححِ
وميراثهم، من سابقين ورزحِ
ومن خاسر رفديهما أو مطرَحِ
حَبَّتْ طفلة من مهدها المترجِحِ

رأْيُ واحدٍ

في وضعين مختلفين

زعموا الإنسانَ قردًا
وأناس يزعمون الـ
هو رأْيُ نقلـ
قد ترقى وتحلَّى
قرد إنسانًا تدلَّى
به علوًا وسفلا

خنزير أعجف

فيه خنزيرية ظاهرة ما نفاها عنه ذاك العجفُ
هو خنزيرٌ ولكن شأنه جسدٌ في وضعه منحرفُ

خمارويه وحارسه

(كان لخمارويه بن أحمد بن طولون أسد عَوْدُهُ أن يجلس بين يديه إذا أكل، وأن يسهر إذا نام، وقد سافر مرة وتركه بمصر فقتل في دمشق، فَأَعْجِبَ لرجل حرسه السباع واغتاله الناس!)

ركنتَ إلى السباع خمارويه ولم تركز إلى أحدٍ سواها
تحوطك نائمًا وتبيت تخشى قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليثًا يذود رعيةً عمن رعاها
وأن يحمي ابن آدم من أخيه سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
وثقت بذى حفاظ ليس يرشى ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم وكم حفظ اليهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك في دمشق لضرَّجَ بالجناية مَنْ جناها

العقاب الهرم

يهم ويعييه النهوض فيجثم ويعزم إلا ريشه ليس يعزمُ
لقد رنق الصرصور وهو على الثرى مُكَبُّ وقد صاح القطأ وهو أبكم
يُلْمِمُ حدياء القدامى كأنها أضالع في أرماسها تتهشم
وأثقله حمل الجناحين بعدما أقلاه وهو الكاسر المتقحم
جناحين لو طارا لنصت فدومت شماريخ رضوى واستقل يَلْمَمُ

رجيم على عهد السموات يندم
مقضاً عليه أم بماضيه يحلم
توهمها صيداً له وهُوَ هيثم
يفر بغاثُ الطير عنها ويُهزمُ
لكل شبابٍ هيبَةٌ حين يهرم

ويلحظ أقطار السماء كأنه
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى
إذا أدفأته الشمس أغفى وربما
لعينيك يا شيخ الطيور مهابةٌ
وما عجزت عنك الغداة وإنما

عيش العصفور

أقلَّ من لمحة البصرُ
مرفرفاً قطُّ ما استقر
كك كأنما يلمس الإبر
مسابقاً لا إلى وطر
لكنها خفة العُمرُ
مَنْ خَوَّفَ الطائرَ الصِّدرُ؟
يبشر الروض بالمطر
بين الحيا العذب والشجر
بخافقيه فتُبْتَدِرُ
وأضعف الراكب الأشر
بين البساتين والغُدر
ولا خلا الروض من ثمر
ممن سقى الحب أو بذر
سله عن الملك والسُرُرُ
ولا دليلٌ ولا خبر
عليه يا أيها البشر
عليه واستخبروا الغير
عن صَوْلَةِ الصقر إن كسر

حطَّ على الغصن وانحدر
مغرداً قطُّ ما توانى
يلمس أيكاً بُعَيْدَ أيدٍ
مطارداً لا إلى طري
كخفة الطفل في صباه
وروده نغبة فأخرى
يقارب السُّحْبَ ثم يهوي
أصدق من سار في سرار
ويستحث الرياح ضرباً
لله ما أهول المطايا
طار وليداً شيحاً
لا أعين الماء ناضباتُ
أخْبِرْ بالنضج مقلتهاه
سَلُّهُ عن الجند والزمر
لم يأتته عنهم بلاغُ
هذا هو العيش فاغبطوه
هذا هو العيش فارحموه
فإن سألتم فسائلوه

وحيلة الدَّبِقِ في ثراه
هناك يَنْزُو له فؤادُ
لم يخف عن أعين الليالي
حبائل الدهر قانصات
من عاش يوماً أو بعض يوم
أليس هذي الحياة ذخرًا
وغيلة الحية الذكر
لا يجهل الريب والحدز
ولا توارى من الصغر
مَنْ طار أو غاص أو خطر
يعلم ما ضربة القدر
وحارس الذخر في خطر؟

الكروان

هل يسمعون سوى صدى الكروان
من كل سارٍ في الظلام كأنه
يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
ويشبُّ في الجو السحيق كأنه
عاف التجمُّل فَهَوَ في جلبابه
ما ضَرَّ مَنْ غَنَى بمثل غنائه
إن المزايا في الحياة كثيرةٌ
صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني
بعض الظلام تضله العينان
موج الدياجر دعوة الغرقان
يبغي النجاة إلى حمى كيوان
فان يرتل كالأبيل الفاني
أن ليس يبطشُ بطشة العقبان
الخوفُ فيها والسُّطَا سيَّان

* * *

يا محيي الليل البهيم تهجُّدًا
يحدو الكواكب وَهُوَ أخفى موضعًا
قل يا شبيهه النابغين إذا دعوا
كم صيحة لك في الظلام كأنها
هُنَّ اللغاتُ ولا لغات سوى التي
إن لم تقيدها الحروف فإنها
أغنى الكلامَ عَنِ المقاطعِ واللُّغَى
والطير آويةٌ إلى الأوكان
من نابغ في غمرة النسيان
والجهل يضرب حولهم بجران
دقات صدرٍ للدرجئة حان
رفعت بهن عقيرة الوجدان
كالوحي ناطقة بكل لسان
بثُّ الحزين وفرحة الجدلان
... ..

ما أحب الكروان

ما أحب الكروان!

هل سمعت الكروان؟!

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا
هاتفٌ يهتف بالأسماع وهنا
حيث كانت جيرةً أو حيث كنا
هو ذاك الكروان وهُوَ هذا الكروان!

الكراوين كثير أو قليل
تَمَّ صوتٌ عابِرٌ كلَّ سبيل
عندنا أو عندكم بين النخيل
هو صوت الكروان في سبيل الكروان
هو شاديك بلا ريب هناك
ذاك داعي الكروان هل أجبت الكروان؟
ساهرٌ لكنه ينعسنا
مفردٌ لكنه يؤنسنا
صدحت في نفسه أنفسنا
فتسامعنا سواء وسمعنا الكروان

واحدٌ أو مائة ترجعه
ذاك شيء واحد نسمعه
عندنا أو عندكم مطلعته
في أوان وبيان هو صوت الكروان

واحدٌ بين عصور وعصور
لم يفتنا غابر الدنيا الغُرُورُ
نحن نستحيي به تلك الدهور
في أوان الكروان، ما أحب الكروان

على الجناح الصاعد

يا أرض أصغي يا كواكب شاهدي!
يا أنسين بصحبة من وجدهم
نصوا المسامع للأئيس الواجد
حادي الظلام على جناح صاعد

ردوا التحية للفرید الساهد
منها نجی مغاور وفراقد
باللیل حنجرۃ المغنی الخالد
أبدًا وما هو آمنٌ لمساعد
لك أنت يا کروان فأمّن صائدي
في جنح هذا الليل أبعد باعد
صوتين منك على مكان واحد
في مسمعي وخواطري وقصائدي
سمعي سواك فهل تراك معاهدي؟
مُغْنِيَّ عن شادٍ سواه وشائد

يا ساهدين على انفراد في الدجى
المستعز بعمرسه وكأنه
لهجت طيورٌ بالضحي وتكفّلت
يحدو ويشدو لا مساعد حوله
أنا صائدٌ لصدك لستُ بصائدٍ
بيننا أقول هنا إذا بك من هنا
ووددت يا کروان لو ألقيت لي
إن كنت تشفق أن أراك فلا تزل
عاهدت هذا الصيف لستُ بواهب
من كان قد أغنى الطبيعة كلها

شدو لا نوح

هل يعبر الحزن بالشادي الصباحي؟
وفي غرام على الإلفين مطوي؟
كأنها أمنت فوت الأمانى
وتعتلي من ذراه كلّ علوي
ما بالها هل سبها حسن إنسي؟
هل تعرف الطير ما حسن الأناسي؟
زهر المباسم جنت بالأغاني
يأس الهوى بين إنسي و«طيري»
واسلم هنالك من باكٍ ومبكي
تسألهما عن جوى في القلب مخفي
من سلوة أن فيها شدو قمري

شدو القماري لا نوح القماري
أو الربيعي في أنس وفي أمل
يا حسنها من بشيرات على دعة
محببات إلى الإنسان تألفه
تهوى الديار وفي الأفاق مطلعها
وللأناسي حسنٌ لا أبوح به
غنت لزهر وسلسال ولو رشفت
أولى لقمرينا ألا يحوم على
غرّد على الدور يا قمري في دعة
واتل الرجاء على هذا وذاك ولا
حسب المغاني التي يبكي الحزين بها

شفاعة للغراب

حيا الغراب الفجر بالنعيب تحية التهليل والترحيب
وافترّ نور الفجر كالمجيب في غير ما لومٍ ولا تثريب
لهاتفٍ ناداه من قريب

* * *

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيي النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ألا تدين كلها بدين؟
فما له يعذل كالرقيب؟

* * *

شفاعة الأنوار والأحباب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصّدح الهاتفُ بالعجاب أصدق حبًّا لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعه والطير في أوان وقبله الصبح وقد ناجاني
صوت حبيبي بادي الحنان لذلك الموعود بالحرمان
وما له في الحسن من نصيب!

* * *

أمنتُ منه لوعةَ الفراقِ وكلّ (غاق) عنده وفاق
فلا يزل ينعم بالإشفاق من الرياض الفيح والآفاق
ومنك يا فجر ومن حبيبي

أسبوع فلورة

أو تكريم الكلاب

(لا أعني تكريم كلاب المجاز، فليس تكريم الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب! وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشي بين يديه السباع! فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب ونذالته وليست له نظرتة وإهانته، والناس تظلم الكلاب بحشره في زمرتها، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفقتها، وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه ... ولكني عنيت الكلاب ذات الأذنان وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها، والاحتفال بولادتها وتسميتها! وإن حقاً على الناس أن يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت، فهل نلام إذا نحن مجدناها في مخلوق من مخلوقات الله؟! اجتمعنا في رهط من الأدباء ليلة من الليالي، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مُضيَّ أسبوعٍ على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا، فقلت أبارك للنفساء وأحيي المولود!):

أعلنني «يا فلورة» الأفرحا	واملاً الأرض والسماء نباحا
ما حبا الدهر بنت كلبٍ بأعلى	من ذراريك عنصراً ولقاحا
أبشري دولة الكلاب بجرو	سوف ينفي عن جيله الأتراحا
ما تقضى الأسبوعُ إلا تمشى	يذرع الدار جيئة ورواحا
خلع الليل والنهار عليه	فتوارى عن العيون ولاحا
حَرَكَ الدهر ذيله حين وافى	وعوى الكون بهجةً وانشراحا!
سوف يدعى على الكلاب أميراً	يفزع الأسد وثبَّةً وصياحا
يلبس الطوق من نضارٍ ودرِّ	ويحوك الخزَّ الثمين وشاحا

* * *

وأراه يُعيدُ سيرةً قطـ	سمير وقاراً وفطنةً وصلاحا
لا أصابت عصا لئيمٍ قفاه	أو ثوى في الطريق ليل صباحا
لا ولا عضه من الجوع نابٌ	يُثخنُ الناس والسباع جراحا
أو ترامى على الموائد يوماً	يرقب العظم سائلاً ملحاحا

حديقة الحيوان

أو براه داء الكلاب فأخفى
كان إيواؤها حراماً فأضحى الـ
قد فرحنا في عيده وطربنا
يا كليباً أزرى بذكر «كليب»
ما مدحتُ الأنامَ يوماً وإني
أعجمُ الناسَ في الوداد وما زا
إن عِيَّ اللسانِ خيرٌ من النطـ
وسعارُ الكلابِ أهونُ شرّاً

بين جفنيه عسجداً لمأحا
يوم إيواؤها حلالاً مُباحا
وشربنا في نخبه الأقداحا
لا تظنن ما نقول مزاحا
لستُ ألك يا كليب امتداحا
ل بنو الكلب في الوداد فصاحا
قِ إذا كان للأداة سلاحا
من سعارٍ يمرق الأرواحا

أبو العيد

طائر يأكل دود القطن

أبا العيد لو جئتَ بينَ الأول
ولأتخذوك إلهًا لهم
وقالوا إلهٌ رحيمٌ بنا
وأبدلت من شرك بيعةً
وكان لعيدك في أرضهم

لصلّى إليك عباد الجعل
له ملة بين تلك الممل
فمن يدنُ منه بسوء قتيل
على الأرض شاهقة كالجبل
أبا العيد يوم عميمُ الجذل

وعل كردفان

بحديقة الحيوانات

يا ועل القفر كيف أسرى
سأقك يثنيها العوادي
سهوت عنا وعن أناس

إلى حماك العزيز أسرُ
والضأن عداءة تكررُ
يعجبهم سجنك الأمرُ

تذكر دارًا نأيت عنها
والأرض قد مَلَكْتِك فيها
تروُدُ منها سهلًا ووعرًا
لو فر من حتفه وليدٌ
هذي ديارٌ وتلك أخرى
وربما خلتها قريبًا
لو زحزحوا بابه قليلاً
تبلغها طفرة فأخرى
وكل ذي حاجةٍ جهولٌ
والعمر غض الإهاب نضر
ساقٌ لها كالرياح مر
يرضيك مرجٌ منها وقفر
لكنك في رحبها تفر
هيهات من كردفان مصر!
لها وراء الحديد عبر
حواك من كردفان عُقْرُ!
ولا يئود الوعول طفر
وكل راجي الخلاص غُرُ

* * *

قضاؤك الحتم فاحتمله
أنت بحسن العزاء أحجى
تَرْبُكَ تسليك والروابي
ألفت زأر الأسود فيها
وكنك إن همهمت تَمْشَى
أَمْنِك الذلُّ وهو خوفٌ
عش مفرد القيد إنَّ أصلًا
وما وجدنا الإنسان إلا
للضيم فيه وفي ذويه
نحنُ بني آدم أسارى
واصبر وإن لم يُفدَكَ صبر
وبعض حسن العزاء كبر
حولك رفاقة تسر
وكان للسمع منه وقر
قلبٌ بجنبك مقشعر
وحاطك الأسر وهو شر
نماك بين الأصول حر
مضاعف القيد لا يقر
حز بفوديه مستسر
لنا بوشم الإسار فخر

الطير المهاجر

عَلَّمْتَنِي مواسمُ الروض أنَّ الط
أتراني لا أسمع الطير إلا
رُبَّ شادٍ في هجرةٍ يتغنى
ير شتى: مهاجرٌ ومقيمٌ
في رياضي معشًا لا يريم؟
وعليه السلام والتسليم

حديقة الحيوان

من جنوبٍ إلى شمالٍ وحيناً
من شمالٍ إلى جنوبٍ يحوم
فله حين يستقلُّ وداعُ
وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كل يوم جديداً
فسواءً جديدهُ والقديم
كم مؤلِّ وصفوه لا يولي
ومقيمٍ وصفوه لا يقيم!

حديقة حيوانات آدمية

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون، سُمِّي كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات، وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف، فتقبل عليه من كل فصيلة، وهي لا تشعر بخوف أو تهمة بعدوان):

أورفيوس الفن سَوَّى بينها
فتلاقى الدُّبُّ فيها والقروُدُ
وتَغَنَّى فرسُ البحر بها
يا له من فرسٍ طَلَّقَ النشيدُ!
ومشى الأرنب والحوت لها
صاحبا القاعين من لُجٍ وبيد
وتأخى الجدي والضبع وما
بين هذين سوى الثَّار اللدود
وجرى «السيسيُّ» فيها شوطه
وهو ناهيك بسيسي عنيذ
ولغا «البطريق» فيها لغوه
وهو من قطب جنوبي بعيد
وكأنني بالزَّرَافى اجتمعت
وحمير الوحش منها في صعيد
وأوى السنور والجرو إلى
نمر فيها على غير الوصيد
والسُّلحفاة تجاري عندها
أرنب البيداء والكلب الصَّيود
فُتحت أفضصها واختلطت
لا سدود لا قيود لا حدود
حيواناتٌ نماها آدم
وهي من أبنائه نسلٌ فريد
حيواناتٌ ولكن بينها
كلُّ ذي لبٍّ سماويٍّ رشيد
أورفيوس الفن سَوَّى بينها
فاستوى المنشد فيها والمعيد

رثاء كلب

حزنًا على كلب طاهرٍ
تشابها في خليقةٍ
وربما عَيَّ طاهرٌ
فليس يوفيه حقه
إلا إذا بات نابحًا
عَوْعَوْ، عَوْوَوُوْ، بلا وبى
فإنه طاهرُ الكلابِ!
واتفقا؛ شيمة الصباح
وكلبه حاضر الجواب
من اكتئاب أو انتحاب
نبح المساعير في الخراب
ولا انقطاع ولا اقتضاب

* * *

لا تسألوا رحمةً له
لعله مات قانطًا
منتحرًا في شبابه
أراحه الله من ضنِّي
فليحمد الله ربه
قد رحم الله واستجاب
من «أزمة» الأكل والشراب
وهكذا يفعل الشباب
أنقذه القبر من عذاب
من جاع فليرض بالتراب

كلبٌ ضائعٌ

أو ديوجين الكلبى

أمست كلابك شتى
كلبٌ نجا وهو حي
ما بين تارك دنيا
قل لي بربك ماذا
حتى «ديوجين» قل لي
والله ما كان يابى
أو جُدَّتْ يومًا عليه
وأنت يا صاح أنتا
وآخرُ فرٌّ ميتا
وتارك لك بيتا
على الكلاب جنيتا
يا شيخ ماذا صنعتا؟
لو صادف الخبز بحتا
فصادف الأذم زيتا

من قومه الغر بنتا	زعمته راح يهوى
من الصيام تأتي	لا تلزم الحب ذنبًا
في أي صوبٍ نظرنا	فاحمل رغيًا تجده
فلا تُضَع فيه وقتا	مصباحه ليس يجدي
إلى ديوجين مَتًا	أُنْعِم به من حكيم
ومن رأى الحق أفتى	رأى السلامة حقًا

أمام قفص الجيبون

في حديقة الحيوان

(القرود العليا هي الشمبانزي و«الأرانغ أتانغ» و«الغورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده في رأي كثير من النشويين؛ لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف. ومن هذه القرود العليا ما يصلح — من الوجهة الشعرية — أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزي»؛ لتأمله، وسكونه، واشمئزاه من الحياة! ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع وهو «الغوريلا»؛ لبطشه، وهياجه، وقوة عضله.

ولكن «الجيبون» وحده هو الذي يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين؛ لأنه لعب، طروب، رشيق الحركة، خفيف الوثوب، يقضي الكثير من أوقاته في الرقص والمناوشة، ويحب أن يعرض للناس ألعيبه وبدواته، وإذا صعد أو هبط في مثل ملح البصر فإنما يصعد ويهبط في حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ في مساواة الوقت ولا في مضاهاة المسافة، فإذا شهدته فاسأل نفسك:

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو في «سلم الرقي»، ولم يأت على درجات السلم كلها صعودًا ووثبًا في بضعة ملايين من السنين؟! هذا سؤال، وسؤال آخر تعود فتسأله: ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد؟ الطعام المطبوخ؟ هو يأكل طعامه الآن نينًا وذلك أنفع، أو يأكله مطبوخًا على يد غيره، وذلك أدنى إلى الراحة! أو يفيد العلم؟ قصاره إذن أن يقول: «لست أدري». كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود.

أو يفيد وزن الشعر؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض، وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب؛ لتستعيض منه بترقيص الكلمات وتوقيع المعاني، وهو قاعد حسير! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات):

يا هذا الجيبون أنعم سلامًا يا أبا العبقري والبهلوان
كيف يرضى لك البنون مقامًا مُزْرِيًا في حديقة الحيوان؟

* * *

العب الآن وانتظر بعد حقبًا ترق في «سلم الرقي» وتعل
كيف لم تصعد السلالم وثبًا أيها الصاعد الذي لا يملُّ

* * *

يا عميد الفنون صبرًا ومهلاً وارض حظَّ الهتاف والتهليل
مرحبًا مرحبًا وأهلاً وسهلاً والهدايا ما بين لب وفول

* * *

انتظر يا صديقُ شيئًا فشيئًا تطبخ القوت كله بيديكا
غير أنني إخال ما كان نبيًا منه أجدى في الحالتين عليك

* * *

انتظر يا صديقُ مليون عامٍ أو ملايين لست والله أدري!
إن تدانيت بعدها من مقامي فقصارى المطاف أن لست تدري

* * *

واصطبر إن عناك نثر ونظم سوف تتلو نثرًا وتنظم شعرا
وغدًا يطفر الخيال ويسمو والذراعان لا تطيقان طفرا

* * *

حديقة الحيوان

وجمال الوجوه سوف تراه في المرايا بعد الطواف الطويل
سوف تحلو في ناظريك حلاه فتهيأ للضم والتقبيل!
وإذا ما درست أوزانَ رقصٍ بعد لأبي فالرقص فيك انطباع
هل تنال الكمال من بعد نقصٍ إن أقلتكَ فكرةٌ لا ذراع؟

* * *

قفصٌ أنت فيه أرحب جدًّا من فضاءٍ نقيم فيه أسارى
قد ضللنا فيها وهيئات نهدي ونجوم السماء فيه حيارى

* * *

قفصٌ أنت فيه أرحب جدًّا من فضاءٍ نقيم فيه أسارى
قد ضللنا فيها وهيئات نهدي ونجوم السماء فيه حيارى

* * *

انتظر سوف تفهم الشيء باسمٍ بعد رسمٍ وغابرٍ بعد حال
فإنما ما طلبت باطن فهمٍ يا صديقي طلبت أي محال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتدأنا والتقينا بآدم في الطريقِ
قد بلغنا فأين تبلغ أينا حين تمضي وراءنا يا صديقي؟

* * *

اللهُ والعب وضحك كما شئت منا أنت طفل الزمان والطفل غرُّ
سوف تبكي حزنًا وتضحك حزنًا حين يمضي دهرٌ ويقبل دهرُ

عتب على الجيبون

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو في تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة، كأنه هو الذي يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألعيبه، وفي الأبيات التالية رجاء لذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء في مدحه وتقريظه):

أيها الجيبون لا تفـ	ضخ تقاريطي وشكري
أنت بعد اليوم محسو	بُ على نقدي وشعري
أنت إن لم تحسن الرقـ	ص فمن يحسن عذري
أنت إن قصرت قالوا	شاعرُ بالزور يطري
ما لِدَا العقادِ والتقريـ	د و«التقريظ» يغري
إنه يهرف بالمد	ح ولكن ليس يدري
فاملأ الأقفاص يا جيـ	بون طفرًا أي طفر
وقل العقادُ لا يخطـ	ئ في تعريف قدر

بيجو

رثاء

حزنًا على بيجو تفيض الدموعُ
حزنًا على بيجو تنثور الضلوعُ
حزنًا عليه جهد ما أستطيعُ
وإنَّ حزنًا بعد ذاك الولوعُ
والله يا بيجو لحزنٌ وجيعُ

حديقة الحيوان

حزناً عليه كلُّما لاح لي
بالليل في ناحية المنزل
مسامري حيناً ومستقبلي
وسابقي حيناً إلى مدخلي
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحف
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبني من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف
ذلك خيرٌ من فؤادٍ صديق

* * *

حزني عليه كلما عزّني
صدق ذوي الألباب والألسن
وكلما فوجئت في مأمني
وكلما اطمأنت في مسكني
مستغنياً أو غانياً بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسيا
بيجو ولم أبصر به آتيا
مداعباً مبتهجا صاغيا
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدق فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا بل ليتني قد نسيتُ

ديوان من دواوين

أحسبني ذاكره ما حييت
لو جاءني نسيانه ما رضيت
بيجو معزي إذا ما أسيت
بيجو مناجيَّ الأمين الوديعُ

* * *

بيجو الذي أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذي يزعجني بالصياح
لو نبحةً منه وأين النباح؟
ضيَعْتُ فيها اليومَ ما لا يضيعُ

* * *

خطوته يا برحها من ألم
يخدش بابي وهو زاوي القدم
مستنجدًا بي ويح ذاك البكم!
بنظرةً أنطق من كل فم
يا طول ما ينظر هذا فظيع!

* * *

نم لا أرى النوم لعيني يطيب
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قطمير هواكم عجيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
تنقضي الدنيا ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يُحد

حديقة الحيوان

عيناي في ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل والنجم وشعب خليع!

* * *

أبكيتك أبكيك وقلَّ الجزءاء
يا واهبَ الود بمحض السَّخاء
يكذب من قال طعامٌ وماء
لو صح هذا ما محضت الوفاء
لغائبٍ عنك وطفلٍ رضيع

قصص وأماثل

سباق الشياطين

يا شياطين الدجى حيّ هلا
أيكم في الناس أعلى منزلاً
وتغنّي الآن بالفعل الذميمة
فله عندي مقاليد الجحيم

* * *

رَنّ في الندوة صوت الكبرياء
قال إني أنا داء الأعلياء
رائع الصيحة مرهوب الصدى
أنا داء لهم فيه الردى
تارك النابه فيهم أوحدا
منهج الفتنة والشر العميم
مطلع النجم كما يذري الهشيم
ماليّ بالغيظ قلب الضعفاء
رُبّ خير بتُّ أجريه على
ووضيع رحمت أذروه إلى

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد
شاحب السحنة مهضوم الجسد
مشية الأفعى إلى وكر القطا
خائفاً في جبنه قد أفرطا
منكم السابق وإن جدّ الخطا
بينهم قربي سهيم من سهيم
حائل بينهما كيدي العظيم
أجدر الناس بأن يتصلا
بذوي القربي ولوعي والألى

* * *

وانبرى للقول يأسُ معضل كلما هم تولّاه الضجر
قال ما لليأس فيكم مأمل لا ولا يرجو مقاليد سقر
بيد أني قاتل لا يعقل ومن القتل حياةً للبشر
أنا إن أيأست من ورد حلا فكما ييأس من ثدي فطيم
فدروني كيف أبغي موئلا بين خناسٍ ووسواسٍ رجيم؟

* * *

ثم أبدى الليل شيطان الندم ضارعًا يفرق من خفق الهواء
أخرس المقول من غير بكم ولقد ينطق حينًا بالبكاء
يمقت الإثم ويغري من أثم بذنوبٍ ما له منها وقاء
يمقت الإثم ويغري بالطلا وهو بالشارب ينبو والنديم
يغفر الموتور للجاني ولا يرحم الجاني من وخز أليم

* * *

ومشى من جانب الحب أنين كشواظ النار يرمي بالشرار
لفح القوم فهبوا صارخين وهم في الخلق من مارج نار
أنا شيطان الهوى أفرى الوتين كل من أغشاه مسلوب القرار
أنا للبعض سبيلٌ والقلى وسبيلٌ للرزايا والهموم
ليس في الكون مكانٌ قد خلا من صراعٍ أنا موحيه القديم

* * *

ودعا الداعي بشيطان الكسل فتمطى ساعةً لا ينطق
قال لو راودت نجمًا لأقل وثوى في أفقه لا يشرق
آفة القول جميعًا والعمل وبلاد الله فيما يخلق
ورأى وجه الرياء المقبلًا فتنحى خلفه وهو كظيم
مذ رأوه هتفوا ما أجملًا وهو يزوي عنهم الوجه الدميم

قال إني أنا شيطان الرياء
ألبس الأعداء جلباب الإخاء
وأميت النفس في طي الخفاء
أنا فيما أبتلى صنو البلى
ميتٌ من عاش يوماً مبدلاً

صاحب الوجهين أملودُ اليد
وأعير العبد وجه السيد
فهي تحيا كالرفات الملحد
أبدل الأحياء إبدال الرميم
ومسيخٌ وجهه وهو وسيم

* * *

أنصت الجمع ولم يبق سوى
رجع الأمر إليه فاستوى
ثم نادى بالرياء المجتوى
قال تابها ولولاك انجلى
دونك الدنيا اتخذها منزلاً

حكم إبليس بسبق السابق
يلحظ الرهط بعيني حاذق
فأبى الخب إباء الماذق
عَيْهَبُ الأرض فكانت كالنعيم
وتولَّ اليومَ أبوابَ الجحيمِ

كولمب في الأوقيانوس

من لكولمب والمخاوف تثنيـه
هام بالعالم الجديد كما ها
ما ابتغى جيرةً هناك ولا أهـ
أي أهل وجيرةٍ لهمام
من له فاتحاً وما فاتح المجـ
ضارباً في حشا خضارة تعلقـ
يعتلي سهوة الخضم خضماً
بين سخطين من صحاب غضاب
يذرع الليل والفضاء بطرف
ويضل الفجاج في الصبح حتى
فإذا النجم كالسفينة ركب
من لكولمب لا السموات تهديـه

هـ وتزجيه خادعات الغرور
مَ تقيُّ بالعالم المستور
لأ ولا عاذ عنده بنصير
أُوحدني المنى قليل النظير؟
هول يوماً كفاتح المنظور
هـ سماءً عميقةً التدوير
لم يوطأ، كالأبد المذعور
أين يمضي وعيلم تيهور؟
شاخص لحظه ووجه وقور
يسبل الليل خيمة الديجور
ليس يدري هناك عقبى المسير
هـ ولا النور في دجاه بنور

يسأل السحب أين مسراك غربًا
أين ترمين بالحيا المسجور؟
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحـ
ييين منه الثرى بصوب غزير؟
إنما يزجر السحاب وما كا
ن سحاب بالطائر المزجور
لو نعيب الغراب يسمع لاعتد
نعيب الغراب صوت بشير
في سماءٍ ما قط حوم فيها
غير غادي سحابها من طيور
كل يوم يرى بساطًا من المو
ج شبيه المطوي بالمنشور
فيرى الراكبه أن لن يزالوا
راسيًا فلکهم رسوً ثبير
تظهر الشمس كل يوم ولا يآ
نن للأرض حاجبٌ بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راخًا
مدها الله من وراء البحور

* * *

غرضٌ كان لم يصب منه خيرًا
وتولّى وليس بالمشكور
نلكم آدم الذي أورث النا
س كميراث آدم المعمور!

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولًا
إن قلب العظيم بحرٌ زخورٌ
إنما الهول من مطايا الكبير
فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلالٍ في اليم أرهب منه
صراعات الضلال في التفكير!

الأثواب الثلاثة

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك؛ بل هو في الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير، فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأي نفس أخرى، فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه، ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمني والعمل، وهذا مثل تقسيم الأثواب في القصيدة التالية؛ فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحدًا منها، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه، فكيف كان الإنسان إذن

يرضى عن نصيبه؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط،
أو إذا تساوى الناس في كل شيء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر.
ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطيع إرضاء الناس جميعاً إلا بما فيه خراب الكون.)

فاكتسى بالجديد كل وليدٍ	ليلة العيد أقبلت بالسعود
لبست جدّة الجمالِ الفريد	واكتست بالجديد كل فتاةٍ
تُ ثلاثُ فُتِنَ بالتقليد	وتواصت على الثيابِ أخياً
كلُّ أختٍ بحسن وجهٍ وجيد	يتسترن بالإخاء وتُزهى
في كساءٍ من الطراز الجديد	لا تجل (العذراء) إن لم تجدها
غاليات من زاهيات البرود	قمن يقسمن بينهن شفوفاً
واختلاف الألوانِ جدُّ شديد	لاحقات الأثمان بعضاً ببعضٍ
كل أخت بريبة المزهود	فتنازعنها ملياً وولت
ثم تُغرى بثوبها المردود	تنتقي الثوب ثم تزهد فيه
لا ولا كان همُّها في المزيد	لم يكن غيرُه بأخْلَبَ وشياً
رآه الفتى بعين حسود	حسداً والضمئيل يبدو جليلاً إن

في حظوظٍ مقدورةٍ وجدود	هكذا الخلقُ في الحياةِ تعادوا
ل لما كان عندهم بسديد	ظلموا دهرهم ولو بلغوا السؤ
دَل من همُّه بهمَّ العميد	لا تظنوا الشريد يرضى بأن يُب
لَع فوق العروش نفس الشريد	لو تمنى العروش لم يرض أن يخ
نَ أحبَّ الحظوظَ حظُّ البعيد	وأحبُّ النفوسِ نفسُك لكد

غادة أثينا

حدثني عن دولة الإسكندرية — در عروس الشعرِ واروي وانكري

كاعب كالظبي إلا أنها
علّمتها أمةً قد علمت
أمة حسب بنيتها سؤدداً
وغزاها فاتح الأرض كما
وابتلته بحنان صابرٍ
وسطا الجندُ عليها كالدِّبَّاءِ
راودَ الغادةَ منهم قائدٌ

دون نهديها جنانُ القسورِ
صنوها البأس وقور الضُّمرِ
أنهم رهطٌ عزيز العنصرِ
تحقق النار بوكر الأنسرِ
وابتلاها بالعديد الأكثرِ
بين ألفاف النبات المثمرِ
سيئُ الخيمِ غرِيّ المنظرِ

أيها الفاتكُ بالعرض الذي
أغمد السيف فهذي وقعةٌ
خضت حرباً ليس من آلتها
دون ذاك النصل سيفٌ لهذمٌ
دون ذاك السورِ سدُّ مُحكَّمٌ
دون ذاك الحصن قلبٌ مضمرٌ
تَبَّتِ الحربُ فما في غيرها

صانه الطهر ترفق واحذر
لم تصب فيها ولمّا تظفر
منصلُ العضبِ وسرْدُ المِغْفَرِ
من شبا اللحظِ وقد سُمهري
من عفافٍ واضحٍ للمبصر
كيف يُرمى حسنُ قلبٍ مضمرٌ؟
حلَّ للجيش حرامُ المنسَرِ

أيأسنته من رضاها فارتضى
قال أين المال قالت هاكه
دونك البستان فانزل بئره
إنني أحرزت فيها لأولواً
وأتى البئر فزجته يدٌ
فتردى فارعوت تقذفه
واحتوته البئر في أعماقها
إنَّ مَنْ كانت حضيضاً نفسه

من حلي الغيد حظُّ المشتري
ييم البستان وابتحث وانظر
والتمس فيها نفيس الجواهر
ليس يُلْفى مثله في الأبحر
بضةً بيضاء مثل المرمر
برجوم كالغمام الممطر
كاحتواء النفس سرّاً المنكر
لحقيقٌ بالحضيض الأكدِر

ورأها الجند فاجتازوا بها
لابس الغار عليه أخضرا
وقفت وقفة لا مستعظم
قال من أنت؟ فقالت إنني
أخت (ثيجين) فسل من قومكم
مات في الحرب التي أرثها
ناد عن أوطانه ثم افتدى
عند ذي القرنين هَوْلَ المحشر
وهو مُفْنٍ كُلِّ زرعٍ أخضر
عزة الملك ولا مستغفر
أخت (ثيجين) الأبِّي الشَّمري
عنه من لاقاه تحت العِثِيرِ
بغِي فيليب أبيك الغمشر
دوحة المجد بغصنٍ «مزهر»

قال ذو القرنين إنني باسطُ
وخذي مما وهبنا أو دعي
لك فيئاً فاسكني أو فاهجري
لن تُنالي بالأذى في عسكري

أورمزد وأهرما

أورمزد يا مخلف آمالي
إذا تجهمت لأهل الثرى
وتمسح الأدمع من عينها
الآن فلأحجبك عن أعين
يا مخلقاً جدّة سربالي
مزقت بالأضواء أوصالي
حتى يبيت الصبُّ كالسالي
أحييتها في الزمن الخالي

مقالة فاه بها أهرما
لاقي بها الشمس وقد صدها
يضحك بالرعد ويبيدي لها
فالتفتت في برجها لفتة
قالت وهل يحجبني شانيُّ
تحجبني حيناً ولكنني
لو علم الناسُ مصيرَ الأذى
لنافسوا في الشر بالمال
ثم مشى مشية مختال
بالغيم عن سهلٍ وأجبال
بالبرق عن أنياب أغوال
وابتسمت هادئة البال
لولاي لم يلحق بأذيالي؟
أزجيك للخيرات والنال
لنافسوا في الشر بالمال

ما بالها تطفر كالغزال
 هيفاء من أوانس الأندلس
 قد أسفرت حاليّة بالنُّورِ
 من كل زهرٍ ناضر الرواءِ
 ثم استوت في مجلسٍ هناكا
 أمامها المرأةُ فيها يظهزُّ
 تمثالها في صفحة البلور
 ساحرةً بالتيه والجمال؟
 ذات جبين كالنهار المشمس
 في وجنةٍ ومقليةٍ وثغر
 والزهر لا ينضر في الشتاء
 تمدُّ للخلائق الشِّباكَا
 ما ليس في غير المرائي تبصر
 مرتسمًا بريشةٍ من نور

* * *

وكان يرعاها أريبٌ كيّسُ
 وصوبَ الطرفِ إلى الرذيلة
 كمن يهاب الشمس في السماء
 وساءها حتى إلى الطيف النظر
 الحسن إن ضنَّ به المليح
 والزهر إذ يزكو لغير ناشق
 فأقبلت غضبي إلى قرينها
 قالت ألا تنظر للمغرور
 ما زال يرنو نحوها بالطرفِ
 فأوماً القرين للحلاق
 وقال قل للصاحب الصديق
 من يكثر اللمخ لها بالليل
 فقرَّ في موضعه لا ينبس
 يرمقُ تلك الصورة الجميلة
 فيرتضي بقرصها في الماء
 أهكذا تبخل ربّات الخفر؟
 كالمال إذ يدفنه الشحيح
 والبدر إذ يبدو لغير رامق
 وأومات سخرًا إلى مجنونها!
 حدّق في المرأة كالمسحور
 حتى لقد أخجل فيها طيفي
 يبتسم ابتسامة الإشفاق
 لا يكسر المرأة بالتحديق
 قد يعتريه خبلٌ في العقل

* * *

فأطرق الأديب كالمستعتب
 ما في المرايا ثم من شيطان
 لكنّ فيها ملكًا مكملاً
 وقال «عفوًا» يا قرين الكوكب
 يُخافُ منه المسُّ للإنسان
 يوحي لنا الحسن كما تنزلا

ملكته منه الذات واستأثرتا ففقرُ بها مغتبطاً هنئتا
ودع لنا هذا الخيال مغنما ليس الخيال حرماً أو محرماً

أمننا الأرض

(مغزى هذه القصيدة أن الخوالج التي تحرك الأطفال هي الخوالج التي تتصرف بالرجال، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادون بالحيل التي تخدع بها الأطفال وهم لاعبون، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون.)

أسائلُ أمننا الأرضاً سؤال الطفل للأُم
فتخبرني بما أفضى إلى إدراكه علمي

* * *

جزاها اللهُ من أم إذا ما أنجبت تئد
تعذيّ الجسمَ بالجسم وتأكل لحم ما تلد

* * *

ألا يا أم كم طلعا عليك الشمس والقمر
وكم أسنى وكم وضعا على أرجائك القدر

* * *

أقاموا أمس وانصرفوا فليس لفلّهم شمل
فأيّن نفس من سلفوا وأيّن يكون من يتلو؟

* * *

فقالته في ملامحكم يبينُ الجدُّ والخلفُ
فجوسوا في جوانحكُم فتمَّ يجوس من سلفوا

* * *

وأين عظام من نبها من الماضين في السير؟
فقال: قد صنعت بها لكم حلوى من الثمر!

* * *

وما المجد الذي أضرى قلوب بنيك فاشتجروا؟
فقال حلة كبرى يراها القلب لا البصر

* * *

فقلت لها فما العمل؟ فقلت خادم الحلم
وما الأحلام والأمل؟ فقلت حيلة الأم

* * *

وقد يُحتالُ للطفل على خير له مُجد
ألا ينبو عن الأكل إذا لم يُغَرَ بالوعد؟

* * *

فقلت لها وما السقم وما الآلام والبلوى
وما الآفات تخترم شباب الأحور الأحوى؟

* * *

فقال: إنما البلوى عقاب الطيش والنهم
فإن جُرُتُم على الحلوى هزرتُ لكم عصا الألم

* * *

وقلت لها فما الذهب وفيه طويته عنا؟
فماج الناس واضطربوا فلا عطفاً ولا أمناً
فقال: لست أحسبه سوى ضربٍ من الحجر
وإن الطفل مطلبه أشدُّ لكل مستتر

* * *

يَجِدُّ الطِّفْلُ مَفْتَتِنًا بما لم يبده العَلنُ
ويحسب جهده ثَمْنًا لشيء ما له ثمن!

* * *

لَزِدْتُ بِقَوْلِهَا حُبْرًا وزدت بقولها جهلاً
فَمَا أَلْفَيْتُهُ وَعَرًّا وما أَلْفَيْتُهُ سهلاً

* * *

وَصَحَّتْ بِهَا إِلَى أَيْنَا إلى أين المصير بنا؟
فَغَضَّتْ عَيْنَهَا الْجَفْنَا وصدت عني الأذنا

* * *

بَنِي الدُّنْيَا لِعَابِ بِهَا ففي الأبواب قصائدُ
لَكُمْ يَوْمَ بَمَلْعَبِهَا وتحت الأرض آباد
لَهَا مَلْهَى تَكَرَّرَ إذا ما انفضَّ لم يُعقد
نِغَادِيهِ فَنَنْظُرُهُ ويوصد بابه السَّرْمَدُ

سيان

يا شمس ما ضَرَكِ لو لم تشرقي يا روض ما ضَرَكِ لو لم تعبقي
يا قلب ما ضرك لو لم تخفقي سيان في هذا الوجود الأحمق
من كان مخلوقاً ومن لم يُخْلَقِ

المعري وابنه

قال المعري:

وإذا أردتم بالبنيين كرامةً فالحزم أجمع تركهم في الأظهر

(فهو والد رءوف صد أبناءه عن الحياة؛ رحمةً بهم! فيا لها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للأبَاء؟! والقصيدة الآتية محاوراة بين المعري وابن له في الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يزوده عنها وينصح له بالبقاء في عالم العدم.)

يا أبي طال في الظلام قعودي فمتى أنت مخرجي للوجود؟
طال شوقي إليك فاحلل قيودي
يا أبي عالم الظلام مخيفٌ ليس يقوى عليه طفلاً ضعيف
فأجزني من ظله المسدود
حدّثونا عن الحياة العجائبِ فلهجنا بحسنها الخلاب
وظمئنا لحوضها المورد
حدثونا عن الدجى كيف يسطو وعن الصبح بعده كيف يعطو
وعن النحس فيهما والسعود
حدثونا عن دارها وبنيها وجهاد يمني به القوم فيها
وعن الموت بعدها والخلود
أرني الجهر يا أبي والخفاء أي شيء ذاك المسمى شقاء؟
أي سر يراد بالمولود؟
ما الوجوه الحسان؟ ما النوار؟ ما الدراري ما الفلا ما البحار؟
إنّ دأب الوليد حبُّ الجديد
لي جدودٌ وليس لي أبوان ولئن شئت أن فيكم أواني
وتملّيت قسمتي في الوجود

قصص وأماثل

ولدي إنني أبوك الرحيم أنا بالعيش يا بني عليم
لا تصدق مقالة من بعيد
ما حياة تشقى وتسعد فيها تتعنى لكن بما يعنيها
في عظيم تُبلى به أو زهيد
يحسب الحي جهده لهواه جهل الحي جهده لسواه
إنما المرء آلة للجدود
إن غنم الحياة من لم يجده لم يُمتّع به، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود
شرها يا بني ثقيلٌ خيرها يا بني خيرٌ قليل
أهلها يا بني أهل حقود
زعموها إلى الخلود تؤدي ما رأينا سوى فناءٍ ولحد
فيه مُود على تجاليد مُودي
قف بباب الحياة لا تدخلنها واعتصم يا بني ما اسطعت منها
سوف ألقاك — فانتظر — بالوصيد

هكذا أقنع المعري الوليدا فتنحى عن الحياة بعيدا
والتقى الشيخ وابنه في اللحد

بين الشاعر

وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالي وكذبت أحلامي وأشمت عذالي
إذا ما وعدت الوعد أخلفت في غدٍ وهيهات لا تبقين يوماً على حال
يظل غريراً من أعارك سمعه وإن عاش أجيالاً عفت بعد أجيال

كفى يا صديق العهد هيجت بلبالي
ملامك فيه الحق أو فيه بعضه
إذا قلت زورًا فهو من صدق شيمتي
إذا هزلت أُمي الحياة فهل ترى
بحسبك من عذري إذا ما عدلتني
وما أنت بالسالي هواي ولا القالي
وما غاب عن ظني ولا بان عن بالي
ومن يصف الدنيا يصف خيمَ ختالٍ
من الصدق ألا يطرق الهزل أقوالي؟
أمانة تمثيلٍ وروعة تمثال!

حانوت القيود

(الحياة كالمرأة إذا أحببت امرءًا قيدته بأحابيلها، وعلقت بهواها، فمن كان حي النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائر والأهواء، ولا تضعف هذه الغرائز والأهواء في الإنسان حتى يكون منبوءًا من الحياة، كأنه عاشق لها مملول لا تبالي هي أن تطلق له القيد وترسله حرًا متى شاء، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود، ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها؛ لأن قيودها تلك هي الأزمة التي تقودنا بها إلى حيث تريد.)

جزى الله حانوت القيود فإنه
تزود منه الناس في كل حقبة
يصيحون فيه بالقيون كأنهم
فمن قائل عجل بقيدي فإنني
إذا أخطأ الأغلال قطب وجهه
يطوفون بالمغلول طوفة عاطلٍ
فهذا إلى قيد من العقل ناظر
يخفّض من أهوائه كل ناهضٍ
يمشي بأغلال التجارب معجبًا
وهذا إلى قيد من الحب شاخص
ينادي أنلني القيد يا من تصوغه
أدره على قلبي وعقلي ومهجتي
مناط الأمانى من بعيد ومكثبٍ
وحجوا إليه موكبًا بعد موكب
سراحين في وإٍ من الأرض مجذب
طليق ومن عان كثير التقلب
كئيبًا وإن أثقلته لم يقطب
فقير بموشي الطيالس معجب
وما العقل إلا من عقال مؤرّب
ويغلب من آماله كل أغلب
على غبطة منه لمن لم يجرب
وفي الحب قيد الجامح المتوثب
ففي القيد من سجن الطلاقة مهربي
وطوق به كفي وجيدي ومنكبي

ورصَّعه بالحسن المسوِّم واجله
 عزيز علينا العيش حرًّا وحولنا
 ورب رخيِّ الببالٍ تمت حظوظه
 أمانِيَّ يقفوها فتربط خطوه
 وآخر أضنته الملاله باسط
 إذا ما رأى المكدود يمقت عيشه
 وكم طامع في الجاه والجاه عصمة
 يصد العِدَى عن ربه ويصده
 وربَّ عقيمٍ حطم العقم قيده
 إذا منَّت الدنيا عليه أجابها
 يرى أن حال المفتدى من إساره
 ومن لم تعلِّقه الحياة بقيدها
 بني آدم لا تنكروها فإنها
 فما تكروهون القيد إلا لأنكم
 أعزكم من لا مزيد لوقره
 وقد زعموا أن القياد قيادة

بكل سعيد في المناظر طيِّب
 أسارى الهوى من فائز ومخيِّب
 يقيّد دنياه بعنقاء مغرب
 رباط الدياجي خطوة المتنكب
 يديه إلى الأعمال في غير مأرب
 تمنى على الأيام شقوة متعب
 ولكنه كالمعقل المتأشب
 عن الناس صد المحجم المترقب
 يحن إلى القيد الثقيل على الأب
 بلعنة موتور وعولة مترب
 لديها كحال المجتوى المتجنب
 فيا سوء ما اختارت له من تقرُّب
 مياسُم من أرواحكم لم تُغَيِّب
 تنوءون منه بالثقل المشعب
 ولا فضل في أغلاله لمعقب
 لمن كان يمشي في مجاهلٍ غيهب

أكاروس

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة في الأساطير اليونانية القديمة، وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها؛ لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية، وهذه هي خلاصتها: ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة في الصناعة وحسن الحيلة في تذليل المصاعب والخروج من المأزق، وزعموا أنه غار من ابن أخته الذي كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب في البلاد برًّا وبحرًا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقي عنده كرامة وحسن وفادة، وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته في تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام.

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورا في الأساطير «منطور» فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه في غفلة من زوجها المخدوع، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبني لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة، فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب؛ مخافة من دسياسة الزوجة واطمئنانا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب، ولكن الملك علم به فثارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة، ونصح الحكيم الصانع ولده ألا يعلو في السماء فتذيب الشمس لحم جناحه ولا يهبط على الماء فيبيلهما الرشاش الكثير، ولكن الولد نسي النصيحة وهو في نشوة الطيران والوثوب، فعلا مصعدا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه؛ إذ سقط هالكا على صخرة في البحر يبكيه من حولها بنات الماء! فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح.)

وتلك المهاوي من حُضارة فاجنبِ
ونادى فنحَى جنده كلُّ مركبِ
متى حيل ما بين السماء وكوكبِ!
أنيسٌ ولا جنٌّ ولا ذاتِ مِخلبِ
على سنة الطير التي لم تهذبِ
على أهبةٍ في جوها المتقلبِ
إلى الأوج فاحفظه لشوطِ مغيبِ
ولكن سبيل الأوج ليس بمقربِ
فلا تجعل العقبي إلى شر مهربِ
ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلبِ
جناحاك أو تبتلَّ بالماء ترسبِ
لريشك وهي من رشاشِ مرطبِ
ومن خبرتي نخر الصنّاع المجربِ
صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبي
يخنك جناح الرأي يوما فتعطبِ

أكاروس هذا مسبح الطير فاركبِ
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه
وظنَّ بنا عجزا، فيا سوء رأيه
أدر مركب الريش الذي ما استقله
وטר نلتمس عبر الشمال ورتحل
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها
ألا وأدخر عزمًا يقودك شرخه
وسرُّ قُدُما إن المطار لواحدُ
أكاروس إنا هاربان من الردى
توسّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدًا
فإنك إن تغتَرَّ بالشمس ينخذلُ
هنا لافح يوهي اللحم وها هنا
أكاروس إني باذل لك من يدي
تذكر عظامي واعلم اليوم أنه
ولا تتخذ ريشي وتنس نصيحتي

عديلان من رأي كأغلال متعب
أمانة روح لم يصنها لمأرب
فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيب
فتى صالحًا يجني الفناء على أب
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب
سبيلٌ إلى تكراره لمعقب
وللأرض منا لهفة المتغرب
وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب
ونعم الموصي من حكيم مدرب
من العجز إن قيست بها لم تُركب
لتقبس من سر الحياة المحجب
أكفًا وأعضاءًا إلى كل منكب
قدير على فعل الأعاجيب معجب!
وخلسة ثعبانٍ وحيلة ثعلب
وبيتٌ لأجبالٍ وزينٌ لمنصب
وقد يحمل الغيران أوزار مذنب
ولم يرع حق الأخت في ابن محب
وواراه لم يندم ولم يتحوب
فضاء أثينا من مقيم ومُعزب
وهذا مزجي دونها كالمترب
نكاءٌ يريك النجم في جنح غيهب
وكانت منازًا بين شرق ومغرب
تصعد أثناء الذرى بالتصوب
على خير أهل في حماها ومرحب
فحصنه «مينو» بملك مؤشب
معاقلٌ يبنيتها ليوم عاصب

جناحك من ريش إذا لم يُعنهما
أقلُّ من الصخر امرؤٌ ضم جسمه
ولي فيك أعمارٌ طوال وللدنى
حياتك من بعدي معادي ولن ترى
وللأمس شوقٌ أن يرى الغد طالعا
بنيي استمع قولي فما بعد نسيه
إلى الجو هذا يا بني وداعنا
فإما لقاءً بعدٌ فوق صعيدها
وصاةٌ لديدالوس وصي بها ابنه
صناعٌ له كفٌ كأن أكفنا
عليمٌ بأسرار الفنون وإنها
ومن يؤت تصريف الجماد يصب به
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة
يعيرك من يمانه صولة قشعم
ويبني فمبناه عمادٌ لأمة
ولكنه بئس الغيور على اسمه
تغيظٌ لما بزّه فرع صنوه
فأصماه لم يشفق عليه من الردى
وما كان إلا أن نبا بكليهما
فهذا مسجى في ثراها مترب
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره
ووارته من عين الغريم فنونه
وما زال يعرورى البلاد ويتقي
إلى أن تلقته «كريت» وربها
وأمل «مينو» منه حصنًا لملكه
وما ملكٌ إلا له من صناعة

يُخاف ويرجى للمخوف المؤرَّب
 وشكرٍ وغبٍّ اثنيهما غير طيب
 وأنجاهما في طيه سُمُّ عقرب
 من الناس لا بل من بهيمٍ مذنب
 وليس وليُّ العهد منه بمعجب!
 إلى شرٍّ وجهٍ آدميٍّ ومنكب
 سباهها فتى بالجسم لا الروح يستبي
 ويرعى مهاد الطفل رَعِي المؤدَّب؟!
 ومالكه حيرى فلم يتهيب
 تلمَس حرزًا من غوائل مُغضِب
 وضاجعَ أشجان المعنى المعدَّب
 ولا وائلٌ من سخطه المتلهَّب
 ضراوة مهتوكٍ وغيظ مخيَّب
 وخيف الأذى من حاضرينَ وعُيَّب
 يوقيه عرض البحر أو طول سبب
 فلباه فاستعلى به متن أشهب
 خوافق لوى بينها ألف لولب
 وأغرى لسان السخر بالمتعقَّب

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤُ
 تحيّر ديدالوس ما بين مُنكرٍ
 أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه
 غوت عرس مينو واشتهت ساء ما اشتتهت
 تحنُّ إلى ثور وتهوى اقترابه
 فأولدها طفلًا له مثل ظلفه
 ويا ربَّ أنثى تعشق الثور كلما
 فمَن غير ديدالوس يخفي شنارها
 أهابت به أمًّا وأنثى حريصةً
 بنى لسليل الثور حرزًا وليته
 غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه
 وأقسم لا واقٍ من الموت عنده
 وأهولُ من هول الخضارم في الدُجى
 فلما تنادى الجند وارتجتِ القرى
 وقالوا: أَمَنْ رُبُّ الجزيرة حربه
 أهاب الصنّاع العبقري بفته
 تسربل من ريش وسربل نجله
 فحلَّق مزهواً وفرَّ مظفراً

فتاه من البأس الذي فيه يختبي؟
 إلى الشمس في ثوب من النار مُذهب
 هواه بوجه صادق النور خَلَب
 لنصح نصيح أو لجزر مؤنَّب
 إلى الشمس حتى عزّه كل موثب
 من النار فليعتب فلا حين معتب

مضى ناجياً من بأس «مينو» فهل نجا
 بلى قد نجا لولا طماح سما به
 تعشّقها مفتونة فتقبلت
 وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى
 وما هي إلا وثبة بعد وثبة
 تعشّقها نارًا فإن جاءه الأذى

به في جناحي أرجوان مخضَّب
من العيلم الغضبان في غير مَغْضَب
ومن يرَ أنقاض الصبا الغضن يندب
سوى مدمع من أعين الحسن صيَّب
دموعُ ذراها الحزن من طرفِ أشيِب

علا بدمٍ حيٍّ وخرَّ مضمَّمًا
طريقًا على صخرٍ تُغشِّيه رغوَّةُ
وراحت بناتُ الماءِ يندبنَ حولَهُ
وما من عزاءٍ للشباب علمته
إذا جال في حسبانهِ هان عنده

كعبة الأصنام

بعد الزلزال

زينةً تأخذ قلب الصَّبِّ تيهها
والدمى مستعبداً صائغيها
أو تماثيلٌ تناجي عاشقيها
كاد من صلى إليها يزدريها
هها تداعى فبدا مسخاً كريها
فاحتوته ظلماتُ غاب فيها
هل ترى داعيهِ إلا سفيها؟!

كانت الكعبة والأصنام فيها
حلفت في كل ركنٍ بالدمى
هي أصنام لمن يعبدها
عظمت حيناً فلما زُلزلت
كان فيها صنم الحق نبيـ
نزع الزلزال عيني رأسه
وارتمت ساقاه في جانبه

* * *

صاغي السمع كما شئت نزيها
وسماتٍ تزدهي من يجتليها
ومضت كفٌ بلا كف تليها
هل ترى داعيهِ إلا سفيها؟!

كانت النخوة فيها صنماً
يخلب الطَّرفَ بحسن واضح
فارتمت أذناه في الأرض لقي
يطلبُ الغوثَ ولا غوثَ له

* * *

حيثُ لم أبصرُ له قط شبيها
واسعَ الصدرِ يحييك وجيها
عن حنايا صدره لا قلبَ فيها

والإخاء المحض كم أبصرتهُ
قائماً يفتترُّ عن مبسمِهِ
شقه الزلزالُ فانجابَ لنا

خيرُ ما في وجهه ظاهرُه
وتراءى الحبُّ فيها فتنَةً
ضرب الزلزال في أصنامه
ما الذي أبقاه من أشلائها
وهوى تمثالٌ مجدٍ لامع
ملاً الدارَ علينا جوهراً
وقشورًا لا تساوي وزنها
هي إن قامتَ جمالٌ فإذا
هل ترى داعيَه إلا سفيها؟
ما اجتواها زائرٌ من زائريها
فهوت أشلاؤها تنعى ذويها
سوأة يعرض عنه مشتئها؟
يخطفُ العين بنورِ يعتليها
زائفاً ينطق بالزيفِ بديها
من ترابٍ لن ترى من يشتريها
سقطت لم تكِد العينُ تعيها

* * *

هكذا أقوت زوايا كعبتي
غير أني طائفٌ من حولها
لا طوافَ المتملّي حسنُها
بل كمن نقب في جوف الثرى
من فراغ لا من الرغبة في
أو هي العادة كالطيف إذا
وثوت خاويةً من ساكنيها
لم أشأ أهجرها أو أبتنيها
أو طواف المهتدي من عابديها
يجمع الآثار في شتى سنيها
تلکم الآثار أمسى يقتنئها
هام بالأحداث يبكي نازليها

إبليس ينتحر

(الاستعباد هو الجو الذي تعيش فيه الشياطين؛ لأنه الخوف والإغراء، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء.)

هاتوا لي الخير والهدى جُرعا
حريةُ القوم أفسدت خُدعي
إن مُنعتُ لذة حفزتُ لها
لو حُجبتُ شهوة أزيئُها
إن طغى ظالمٌ له خنعوا
لو دام هذا البلاءُ واتَّسعتُ
أبجع نفسي حزناً كَمَنُ بخعا
لم تبق لي في الأنيس منخدعا!
فكيف حفزي من لم يكن منعا؟
فكيف تزيين ظاهر سطمعا؟
فكيف يطغى إن عَزَّ من خنعا
حريةُ القوم ضاق ما اتَّسعا

واستغنت الأرض والسماء معاً
ما حاجة الأرض للأباليس في
وكيف تغذوهم بلا عمل
وأين يأوونها إذا قشعت
أتى زمانٌ أموت فيه أنا
ودعت ملك الدنيا وودعني
هاتوا لي الخير جرعة فإذا
سأسبق الموت حين يتبعني
عن الشياطين فانطوا جزعا
عهد نضا الخوف عنه والجشعا؟
وهي على السعي شأنها اجتماعا؟
عنها ظلام الدهور فانقشعا؟
إبليس يأسا وفي يدي صنعا
ملك إذا هم قلمنا رجعا
ضعفت عنه شربته جُرعا
فإنه لاحق إذا تبعنا

بيت يتكلم

(كل بيت من البيوت التي تعاقب عليها السكان لو أقيمت عليه طلسم الخيال وأمرته
بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا
تسمع الأذان أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من
كثيره.)

جميع الناس سكاني
وما للناس من سر
حديثي عجب فيه
فكم قضيت أيامي
وكم أويت من بر
فإن أرضاكم سري
فهل تدرن عنواني؟
عدا آذان حيطاني
خفايا الإنس والجان
بأفراح وأحزان!
وكم أويت من جان!
فهاكم بعض إعلاني

بني الإنسان لن أحف
ألم أعرفكم طراً
أتاني أول السكين
وما أرهفت آذاناً
وأصغيت على مهل
ل في دهري بإنسان
فلم أسعد بعرفاني
وما استوفيت بنياني
ولم آنس بقطان
فطاشت كل آذاني

هما زوجان أو شيطا نةً لاذت بشيطان
وقد عاشا وفِيَّينِ بتقديرٍ وحسبان
وراحا هكذا يحكو نَ في روح وريحان
وما أبصرت من هذا ولا من تلك في آن
سوى خوانةٍ خر قاءَ تفري عرضِ خوان
إذا ما ضحكا يوماً على غش وبهتان
حسدت البيد والأطلا ل في غيظي وكتماني
وأشفقت من النقا مةً أن تهتز أركانِي

* * *

وجاء الساكن الثاني ويئس الساكن الثاني
يراه الناس ذا مالٍ وأفراسٍ وغيطان
وقد شوهني بخلاً وأعراني وأعياني
وقد صيرني سجنًا ومنه كان سجاني
فلما طال بي عهدًا ولم أسعد بهجران
وددتُ لَوْ أَنَّ لي في كل جحر ألفِ شعبان
بديلاً منه أرضاه وأحبوه بغفراني
وأنفث سمها أو يتد قبي شري ويخشاني
إلى أن آده أجري ولم يظفر بنقصان
فأخلاني ولن أنس سى سروري يوم أخلاني

* * *

وكان الساكن الثا لث ذا عزٍّ وسلطان
فما ارتبت بأن الع رزِّ والذلة سيان
وما ألفيته إلا لثيماً جدَّ غفلان
ضعيفاً يستر الضع فَ بطغيان وعدوان
وكم أذعن للطاغي عليه شرٌّ إذعان
إذا ما لقي النا س بكبر منه طنان

فما أصغرَ ما ألقى ساه منه بين جدرانِي

وأما رابع القوم فذو علم وتبيان
حشا بالورق اليا بس والأخضر حيشاني
فما لي موضعٌ في الأر ض أو من فوق عمدان
وما لي مطبخ أو مخد ع أو بهو ضيفان
ولا زاوية إلا وفيها الكتب تلقاني
أبى للنفس دعاها ولم يسمع لجثمان
فلا سهرة أحباب ولا جلسة ندمان
فما أجهله بالحق ذاك العالم العاني!
أبين الناس يحتا جُ إلى علم وبرهان؟
وهم عميان ظلماء سَرُوا في إثر عميان؟
كثيرٌ لك يا إنسا نُ في دنياك عينان!

وأما الخامس الجاني فناهيك بشهوان
فما زودني إلا بأثداء وأعكان
وهتافٌ بألحان وسُمَّار على الحان
إذا أمسيتُ مسَّاني بأشكالٍ وألوان
على الأبواب ما يرضي لك من حسن وإحسان
ومن صونٍ لأسماع ومن غَضٍّ لأجفان
فلا تنظرهم ثم ة وانظر بين أحضانِي
فيا لله كم في الأر ض من غيٍّ وغيان
وكم في القوم من مخدو ع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار وخلان وأخدان
لَو أنِّي قلت ما أدري لهدُّوا كل أركانِي
فنعم الصمتُ والحكم ة يا صخري وصواني!

* * *

وكم صاحبت من أصـ	حـاب آداب وأديان
تجافوا وصمة العاصي	وعافوا شهوة الزاني
وباتوا بينَ قرباتٍ	وترتيل لقرآن
ولم يأسوا من الدنـ	يا على غبنٍ وحرمان
إذا ما شرفتنني زمـ	رةً منهم بصحبان
حسبت الأرض تجفوني	فأنساها وتنساني
وقالوا الجان لا تقر	ب من مجلس فرقان
فقد ألفتُ بعضَ الإنـ	س في العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما أويـ	ت في لؤمٍ وعصيان
رياء الخائن العادي	على أهلٍ وأوطان
تلقاهم بتمويه	ولاقوه بإيمان
وفي حجرة أسراري	وفي ظلمة أوكاني
يبيع الحوزة الكبرى	بربع أو ببستان
ويعطي الحق والذمـ	ة والفتيا بأثمان
ويفني أمة تحييـ	ه وهو الزائل الفاني
ويمشي بين قتلاه	رفيع الذكر والشان

* * *

ولم أحمد من الضيـ	فان ضيفاً مثل فنان
تولاني بإبداع	من الفن وإتقان
وغطى كل جدراني	بمنصور ومزدان
وأوحى الحسن واستو	حاه من جنات رضوان
فحيناً حسن مكسو	وحياناً حسن عريان
بريئاً في سماء الفـ	ن من عبث وأدران

وفتاناً على الحا لين لكن أي فتان!
كما تفتنك الزهـ رةً في أعطاف أغصان

* * *

جموعٌ لست أحصيها ولو دونت ديواني
ومثلي كل جاراتي ومثلي كل جيراني
عرفت الناس أشتاتاً بلا عد وحسبان
فلم أعرف أ أعداء هم أم جمع أقران؟
إذا ما اختلفوا في سيد مةً تبدو وشغلان
فهم في الموت أشباه وفي سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا بكى حيناً وأبكاني
مساكينٌ فلا تحفل من الناس بإنسان
ولا تحسد فتى منهم على بأس وإمكان
فأعلاهم وأدناهم أمام الغيب صنوان

* * *

نزيل المنزل الخالي ألا تعرف عنواني؟
إذا ما طفت حويليه فثق أنك تلقاني
فما من منزلٍ إلا وفيه بعض ألواني
تأمل في نواحيه وراقبه بإمعان
ولا يخدعك صمتٌ فيه ه أو تفتيح بيبان
ولا تحسبه خلواً من مغاليق وأكنان
إذا ما كنت مستحضر أرواح وحدثان
فقف في المنزل الخالي وأرهف سمع يقظان
وأغمض فيه أجفا نك وانظر غير وسان
ترَ الأطياف أفواجاً وتسمع موج طوفان
وتجمع كل ما يُجمعُ من ربح وخسران
ولا يخطئك تاريخُ ولا دارس أزمان

بعد صلاة الجمعة

على الوجوه سيمة القلوبِ فانظر إلى المسجد من قريب
وقف لديه وقفة اللبيب في ظهر يوم الجمعة المحبوب
إنك في حشدٍ هنا عجيب

* * *

هذا الذي يمشي ألا تراه كأنما قد حملت يده
سفتجة صاحبها الإله ذاك هو الدَّين وقد وفاه
فليس للدائن بالمطلوب

* * *

وذلك المبتسم الرصين كأنه بسره ضنين
أصغى إليه سامع أمين فهو إذا صلى كمن يكون
في خلوة النجوى مع الحبيب

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال في حلة ضافية الأذيال
أكان في حضرة ذي الجلال أم كان في عرضٍ أو احتفال؟
يُرهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مصلاً خافت الدعاء كأنما نصَّ إلى السماء
رسالة في عالم الخفاء فلا يني يبدو لعين الرائي
كالمترجي أوبة المكتوب

* * *

ورب شيخٍ من ذوي الخلاق فرحان بالجمع وبالتلاقي
كأنه التلميذ في انطلاق بين تلاميذ له رفاق

قصص وأمثال

عادوا إليه عودةً الغريب

تجمّعوا في بيته تعالى وافترقوا في جمعهم أحوالا
وهل نسوا في أرضه النضالا فيحتويهم بيته أمثالا
على اختلاف السّمْتِ والنصيب؟

لعلمهم صلوا له ارتجالا فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا صب على رءوسهم وبالا
والحق المخطئ بالمصيبِ

الدينار

في طريقه المرسوم

لما بدا الدينار من باب الخزانة في السماء
نادى الموكّل ثم بالأر زاق: أين ترى الثواء؟
قال انطلق في الخافيي من إلى فتى جمّ الشقاء
قد بات ممنوع الغذاء ء وراح مقطوع الكساء
فأذهب إليه ومَنِّه بعض السعادة والرجاء

فأجابه الدينار وهـ و يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدع نني أستطيب هنا البقاء
سيطول بحثي عنه في وادي الخمول ولا لقاء

قال الموكَّل ثم بالأر زاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقـ ير ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ ض كما تشاء لمن تشاء

* * *

فاستقبل الدينار وجهـ ته وهمّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعـ لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريقُ على اقتحا م كالطريق على اهتداء

نداء طفل

أرسلت إلى عروسين:

سرى إلى الأذان في غفوة الوسنان
نداء طفل جريء مستعجل لهفان
عجبت منه صغيراً يقولُ طلق اللسان
أبي كريمٌ وأمي كريمة في الحسان
كلاهما في رواء من الصبا وازديان
كلاهما ذو فؤادٍ مجملٍ بالحنان
كلاهما يتمنّى بين الصغار مكاني
فلي أحق رجاء في عالم الإنسان
وفي ولادة يمنٍ تزف بالمهرجان
وفي احتفال ختان وفي احتفال قران
وفي احتفال نجاح يجوزُ كلَّ امتحان
هيا ادعواني سريعاً إليكما واهدياني
وقربا لي ضياء الشـ موس والأكوان

* * *

قالوا انتظر قال لا لا
قالوا تعقل قليلاً
فَكُلُّ شَيْءٍ لَدِينَا
أَتَحْسَبُ الْعَيْشَ رَهْنًا
وقال في عنفوان
فصاح صيحةً سخِطِ
ما لي أنا ما لي؟
أَتَأْبِيانَ لِقَائِي
هيهات لست بوان
يا أعقلَ الفتیان
موكلٌ بأوان
بما قضى الأبوان؟
هيا ادعواني ادعواني
ما أنتما منصفان!

* * *

لا تعذلوه إذا ما
فالطفل غير صبورٍ
والطفل هيهات يدري
فاستمهلاه برفقٍ
ولا تطيلا عليه
فكلنا نترجى
أطال في الهذيان
على الحجى والبيان
يومًا بحكم الزمان
وحيلةٍ وافتنان
في الغيب عد الثواني
قدومه في أمان

جواب جميل

قال جميل بن معمر صاحب بثينة:

ألا أيها النؤومُ ويحكمُ هبُّوا
أسألكم هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ؟

وأجيب بلسان أحد النوام:

وسل راقيدي الأحداث عنهم فإنهم
مجيبيك عن علمٍ بمن قتلَ الحبُّ!
وبرك دعنا راقيدين فلو درى
بنا الحب لم يرقد لنا أبدًا جنبُ

وقد سأل جميل بلسان الحال:

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ؟

وقد أجيب بذلك اللسان:

أفُق مزعج الموتى فلو كنت قادرًا على أن تهبَّ اليومَ من صرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصورُ سامعًا هنا سر مقتولٍ يبوحُ به صبُّ!

جنة الخيام

رغيف خبزٍ ووجهٌ حلوٌ وكأسٌ مدام
وتلك جنة عدنٍ في مذهب الخيام

* * *

قالوا ونودي يومًا ما تشتهي في يديكا؟
دع مطلبًا منه فردًا والباقيان لديكا

* * *

فحار بين رغيفٍ إن فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منيرٍ إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع مناهها أفاق وهو غبين

* * *

طال التردد فيها فمال عنها كظيما
سألت جنة خلدٍ وما سألت جحيما

* * *

قالوا فناداه صوتٌ يقول في غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق

* * *

«أتلك جنة خلدٍ تهذي بها يا حكيم
بمطلب إن عداها ترتدُّ وهي جحيمٌ؟»

مادي يعلل الربيع

رفيق أول:

إن الربيع جميلٌ

رفيق ثان:

صه! ذاك قولٌ دخيلٌ
بيعَ شيءٌ ثقيل
للغش فيه أصول
ألست تعلمُ أن الر
وأنه من صنيع

رفيق أول:

من غشه يا صديقي؟

رفيق ثان:

حقاً لأنت جهولٌ
مستأثرون القليل
لهم وظل ظليل؟
قد غشه الأغنياء الـ
أليس فيه متاع

رفيق أول:

لكن بعيشك قل لي
بأي برهان صدق
قد أقنعوا الأرض حتى
وذاك مني فضول
وأي شرح يطول
باتت إليهم تميل؟

رفيق ثان:

حقاً لأنت عجيبٌ
برشوة دفنتها
ألا ترى التبرّ فيها
فافهم إذن يا صديقي
وأيدته شهوؤُ
الأرض والشمس والنا
لهم ضمائرٌ سوءٍ
بذاك «ماركس» أفتى
فيما أراك تقول!
في جوفها يا زميل
منها إليها يئول؟
فقد أتاك الدليل
وأكدته عقول
س والدعاة العدل
مرضى وطبعٌ وبيلُ
ونقضه مستحيل!

عيد ميلاد في الجحيم

(دخل شقي الجحيم فحسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده):

صُفُّوا الموائدَ واملئوا الأكوابا
قولوا مضى عامٌ ليوم هبوطه
وبلا المقام فراح يحمد شرّاً ما
هذا الجحيمُ أحبُّ لي من عالم
الشرُّ ثمةً كان شرّاً كاسمه
يشقى بنوه ليعمره ويحشموا
وادعوا الصحاب وبشّروا الأحبابا
هذا الجحيم فقرّ فيه وطابا
فيه وآدب باسمه إيدابا
ما كان لي إلا رجاءً خابا
والخير كان كما علمت سرايا
فيه الشقاء ليرجعوه خرابا

لا يعرفون الحق إن سمعوا به
أهون بصاب في الجحيم أذوقه
صاباً إذا ارتوت الشفاه شربته
ولرب وجه يومذاك شهدته
وجه اللئيم إذا استهل ومثله
ورضا الظلوم وحيرة المظلوم في
إلا ليلقوا في الحقوق عذابا
قد كان ثمة كل شيء صابا
بالناظرين وساء ذاك شرابا
فكأن سماً في العيون انسابا
وجه الكريم إذا اضمحل وذابا
بلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صحبُ حيوا النار في ويلاتها
ما كان في حُسن هناك فجهده
أو كان من فضل هناك فحسبه
يا صحبُ هاتوا من علاقمها لنا
من عاش عامًا في الجحيم فلا انتهى
واحثوا على ذاك التراب ترابا
أن يخذع الأبصار والألبابا
أن يملأ الدنيا عليك صعابا
وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

ترجمة شيطان

ترجمة شيطان

(نظمت هذه القصيدة في أعقاب الحرب العالمية الأولى وهي تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق، وإن شيطاناً يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير؛ لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى في هذه التجربة، ولكن الشيطان الذي يزيغ الحق بيديه، ثم يكفر بالشر يخبط في حياة ليس لها معنى على الحالين، ويمضي غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين، وغير مكترث لهم ولا لنفسه في هداية ولا ضلالة.)

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم غسَقَ الظلماء في قاعِ سَقَرِ
ورمى الأرضَ به رمي الرجيم عبرةً فاسمع أعاجيب العِبَرِ

خُلِقَتْ شَاءَ لها الله الكنودُ وأبى منها وفاء الشاكرِ
قدر السوء لها قبل الوجود وتعالى من عليهم قادرِ

قال كوني محنةً للأبرياء فأطاعت يا لها من فاجرة!
ولو اسطاعت خلافاً للقضاء لاستحققت منه لعن الآخرة

* * *

سُنَّةٌ لِّلَّهِ فَاقْفُوا إِثْرَهَا عَصَبَةُ السَّوَّاسِ وَامضُوا رَاشِدِينَ
عَلَّمَ الْأَقْيَالَ قَدَمًا سَرَهَا فَأَقَامُوا دِينَهُ فِي الْعَالَمِينَ

* * *

سَنَةَ اللَّهِ وَمَا أوسعَهَا رَحْمَةً مِنْهُ بِجِبَارِيِّ الْأُمَمِ
وَيَحْتَمُّ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَبَدَعَهَا كَيْفَ يَدْرُونَ بِأَسْرَارِ النَّقَمِ؟

* * *

فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا فَفَقَهُوا مِنْ دَهَاءِ الْمَلِكِ وَالْكَيْدِ الْحَزِزِ
فَإِذَا رَامُوا نِكَالًا شَبَّهُوا مِنْ أَرَادُوهُ بِشَيْطَانٍ قَزِزِ

* * *

قَالَ كَوْنِي مَحَنَةً لِلْأَبْرِيَاءِ وَاخْسِئِي أَيَّتَهَا النَّفْسِ الْعَقِيمِ
أَيُّهَا الشَّيْطَانُ أَضِلُّ مِنْ تَشَاءِ سَوْفَ تَأْوِيكَ وَتَأْوِيهِ الْجَحِيمِ

* * *

فَهَوَى الشَّيْطَانُ صَفْرَ الرَّاحَتَيْنِ خَاوِي الزَّادِ وَيَا بئْسَ السَّفَرِ
أَيْنَ يَمْضِي أَيْنَ أَفْقُ الْأَرْضِ أَيْنَ فَرِحَابِ الْكُونِ مَلَأَى بِالْأَكْرُ؟

* * *

بِيدَ أَنْ الشَّرَّ مَا زَالَ أَرِيبًا وَسَبِيلِ الْغَيِّ مَمْهُودِ الْجَنَابِ
لَنْ تَرَاهُ حَيْثُ تَلْقَاهُ غَرِيبًا أَبَدِ الدَّهْرِ وَلَا نَزَرَ الصَّحَابِ

* * *

هَبِطَ الشَّيْطَانُ فِي وَادِي الْقُرُودِ أَوْ هُمُ الزَّنْجُ كَمَا قَدْ خُلِقُوا
أُمَّةً مِنْ صَنَعَةِ الْخَلْقِ سَوْدِ أَخْطَأُوا الصَّبْغَةَ أَوْ قَدْ حَرَقُوا

ترجمة شيطان

* * *

أرضهم أنجبُ من أبنائها وحصاد الزرع فيها دائم
لا ينام الظل في أرجائها وهُمُ ظِلٌّ عليها قائم

* * *

واستوى بين رباها والحوافي فإذا سمت بها سمت السباع
سيدُ القوم كسيد القفر حافي وهما بعد سواء في المتاع

* * *

وإذا الكعبة في الأرض الشرى ورسول العلم ضاريتها الشرود
بين قنصٍ أو هراشٍ أو كرى يذهب التاريخ فيها ويعود

* * *

ولقد همَّ وما أعجله يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادي الوحش لو أصغى له ألكم في القوم صهرٌ وبنون؟

* * *

سخرَ الشيطانُ من قسمته ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجسُ في محنته ألهذا تُستذلُّ الكبرياء؟

* * *

إن يكن أغوائِي الزنج لزاما فمن العُجم الضواري عجبي
ما له يأنف أن يغوي حاما ذلك الغاوي نوات الذنب؟

* * *

ومشى ينغم في غير طرب نغم الغبطة باليوم العيوس
نغمًا يرصد من خلف الحقب يوم تندكُ على الأرض الشمس

* * *

لا نطيلُ القولَ فالخطب يسير وحياة الإنس والجن هدر
خرج الشيطان في الأرض يسير ومن الله إلى الله الصذرُ

* * *

لمحةً جازت به مشرقها ثم ردت حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقاماً رغداً حول بحر الروم أو بحر العجم
يتلهى في مغانيها سدىً أو لأمر خفيت فيه الحكم

* * *

ورمى أول فسخ فأصابا ودعاه الحق واستلقى فنام
وأناب الحق عنه فاستجابا فإذا الحق لجاج واختصام

* * *

وإذا الحق طلاء الخبثا رسن الواهن سيف المعتدي
ضلة الجهال لغز الحكما ذلة العبد عرام السيد

* * *

وإذا الحق طعماً ووكون وإذا الحق بريق الذهب
لو يموت الناس أو لو يشبعون ذهب الحق زهاب السغب

* * *

يا لها من لفظية زوقها آض فرضاً بعدها الفعل الذميم
ويحه في نامةٍ أطلقها غلب النحس ولم يُغنِ النعيم!

ترجمة شيطان

نام لما صنع الحق وأغضى ولو اختار لأغضى أبدا
غير أن الشرَّ لا يألفُ غمضا ربحت صفقته أو قد فقدا

فأطارت سنةً في هدبه بهجة الزرع الذي كان بذر
كاد أن يشكر نعمى ربه لو يسيغ الشكر شيطان كفرا!

وتمادى بعدُ في شرِّته كلما أنبت زرعًا ينعا
فرأى الشوكةً في دولِّته وجنى الوفرةً مما زرعاً

ألف جيل بعد ألف غيرت صاحب الآباء فيها والبنين
ورأى منها فنونًا ورأت منه في صحبته أيَّ فنون

أتلفته مثلما أتلفها عجبًا لا بل علام العجب؟
أترى الشيطان يدري ضعفها وهو من ذاك بريء أجنب؟

فاشتهى الخمر ورنات المثاني وأحب الغيد عذريَّ الهوى!
لعبًا ينهل أنا بعد أن نُهلًا منهمن ينعشن القوى

لا نطيل القول فالقول هذر وحياة الإنس والجن هباء
إن يدم للناس سلطان القدر فعليهم بل على الكون العفاء!

* * *

أَنفَ الشَّيْطَانِ مِنْ فِتْنَتِهِ أَمَّا يَأْنِفُ مِنْ إِهْلَاكِهَا
وَرَأَى الْفَاجِرَ مِنْ زَمْرَتِهِ كَعْفِيفِ الذَّيْلِ مِنْ نُسَّاكِهَا

* * *

مَا لَهُ يَفْسِدُ خَلْقًا عَدَمُوا آيَةَ الرَّشْدِ وَهَبَّهْمُ رَشَدُوا؟
وَعَلَامَ السَّلْبِ مِمَّا غَنَمُوا وَهُمْ لَوْ غَنَمُوا لَمْ يُحْسَدُوا؟

* * *

كُلُّهُمْ طَالِبُ قُوْتٍ وَالثَّرَى نَلَّ قَوْمٌ أَوْ تَعَالَوْا مَخْصَبِ
وَقَصَارَى الْأَمْرِ فِي هَذَا الْوَرَى رَاسِبٌ يَطْفُو وَطَافٌ يَرْسَبِ
مَذْرَأَى الشَّيْطَانِ عَقْبَى شَرِّهِ كَفَرَ الْمَسْكِينِ بِالشَّرِّ الْعَقِيمِ
وَأَرَاهَا بَدْعَةَ مَنْ كَفَرَهُ دُونَمَا الْكُفْرَانَ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ

* * *

يَا إِلَهَ الْكُونِ يَا خَيْرَ إِلَهٍ أَيْنَ مِنْ قَدْرِكَ أَصْنَامَ الْقَدَمِ
مَنْ كَرَّبَ الْكُونِ لَا بِلَ مَنْ سِوَاهِ عَادِلٌ فِي الْخَلْقِ بَرٌّ بِالْأُمَّمِ؟

* * *

أَنْتَ يَا رَبَّ لَطِيفٌ فِي الْقَضَاءِ فَاصْعَقِ اللَّهُمَّ مِنْ يَجِدُ لَطْفَكَ
قَسْمًا بِاسْمِكَ يَا رَبَّ السَّمَاءِ مَا رَأَى فِي النَّاسِ مِنْ يَدْرِكَ وَصْفَكَ

* * *

يَكْفُرُ الشَّيْطَانُ بِالشَّرِّ الْعِقَامِ فَتَعَدُّ الْكُفْرَ مِنْهُ نَدْمًا
وَتَنْجِيهِهِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَقَدِيمًا قَلْتَ لَا يَغْشَى الْحَمَى

* * *

فَضْلِكَ اللَّهُمَّ مِنْ غَيْرِ حِسَابِ وَكَذَا اللَّهُمَّ آلاءَ الْعَلِيمِ

ترجمة شيطان

فاعجبوا من نعمة الله العجاب وانظروا كيف تلقاها الرجيم

نزل الشيطان من جنّته ومنزلاً يرضى به الفن الجميل
ومشى فاختر في مشيته هضبةً عند مصب السلسبيل

هضبة فيها نخيلٌ وثمر وبراكينٌ خبا منها الضرام!
وحلاها دون أنماط الصور قالب الحسن كما شاء التمام

قالب الصنع الذي ينقل عنه كل ذي فن أعاجيب الفنون
شركٌ لا تفلت الأبواب منه حفظته روضةً تسبي العيون

كملت زينتها من كل فن وكساها الزهو ولدان وحوور
وعلى أحواضها الطير تغني يا كريمٌ يا حليمٌ يا غفور

وحواليها على رحب المدى زُمر الأملاك من خلف زمر
كلما راح عليها أو غدا شيعته بنشيدٍ مُبتَكِر

ونُفيضُ الوصف لولا أننا نصِفُ الدار لكم يا داخلِها
فاصبروا فالصبر مفتاح المنى واسمعوا كيف غوى الشيطان فيها

أزفت ساعته ذات شتاء أو على قول مضت حين مضى
وإذا حدثت في أمر السماء فاترك التاريخ سطرًا أبيضًا

* * *

وَقُبَيْلَ الصَّبْحِ أَوْ نَحْوَ الْأَصِيلِ عِنْدَ بَابِ الْقُدْسِ أَوْ بَابِ الْحَرَمِ!
رَكِبَ الشَّيْطَانَ فَوْقَ السَّلْسَبِيلِ مَرْكَبًا يَزْجِيهِ سَلْسَالُ النَّغَمِ

* * *

وَفَشَتْ حَوْلِيهِ أَرْوَاحُ السَّلَامِ كُلُّ زَهْرٍ بَاعَتْ مِنْهُ شَذَاهُ
سَارِيَاتٍ مِثْلَمَا تَسْرِي الْمَدَامِ أَوْ كَمَا رَفَّتْ عَلَى الْخَدِّ الشَّفَاهُ

* * *

وَهُوَ مَا بَيْنَ وَصَيْفٍ وَمَلِكٍ فِي رَوَاقٍ مِنْ رَضًا لَوْ كَانَ يَرْضَى
سَبَّحُوا اللَّهَ وَقَالُوا الْمَلِكُ لَكَ وَهُوَ يَزِيدُكَ عَلَى التَّسْبِيحِ قَبْضًا

* * *

نَظَرْتُ صَحْبَتَهُ الْوَجْهَ الْعَبُوسَ فَرَأَوْنَا فِي الْخَلْدِ شَيْئًا عَجَبًا
مَا رَأَوْا مِنْ قَبْلُ مَا لَوْنُ النُّحُوسِ لَا وَلَا يَدْرُونَ إِلَّا الطَّرْبَا

* * *

وَالْتَقَتْ أَعْيُنُهُمْ فَايْتَسَمَوْا كَابْتَسَامَ الْوَلَدُ فِي مَهْدِ الرَّخَاءِ
وَتَمَادَى الْأَمْرُ حَتَّى سَأَمُوا فَتَمَشَّتْ فِي الْخَلِيْطِ الثُّؤْبَاءُ

* * *

قَالَ أَدْنَاهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَغْلَظَا
مَا لِمَوْلَايَ أَرَى فِي نَفْسِهِ بَعْضَ مَا خُبِّرْتُ عَنْ وَاوِي اللَّظَى؟

* * *

أَتَرَى الْوَيْلَ إِذْنَ وَالشَّجْنَآ فَتَرَةً تُطَبِّقُ أَهْدَابَ الرِّقُودِ؟
أَكْذَا الْوَادِي الَّذِي قِيلَ لَنَا فِي صَبَانَا إِنَّهُ مَرَعَى الْجَحُودِ؟

ترجمة شيطان

* * *

فانثنى العابسُ وقَّادَ الجبينِ صارخاً صرخةً مقضيَّ الهلاكِ
أَيُّ وادٍ؟ قال وادي الكافرينِ قال دع هذا فما أنتِ وذاك؟

* * *

قل لنا كيف ترانا ها هنا؟ قال: ماذا إننا للفائزون؟
قال: لكني أَرانا كلنا وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

* * *

أيها القارئُ وقَّيتَ العثارَ وبلغت الخلدَ موفورَ القدمِ
هل شهدت الجيشَ في هول الفرارِ أو رأيت الطيرَ راعتها الدَّيْمَ؟

* * *

إن تكن لم ترها فارصد لها تدر ما فزعة أملاك السماءِ
فزعةٌ لله ما أجملها صانها الرحمن عن سفك الدماءِ

* * *

ساءهم في الخلدِ ألا يُحسدوا ومن الحسَّادِ من تطلبه
راعهم في الخلدِ أن لا يسعدوا منكر السعدِ كمن يسلبه

* * *

ولقد علمهم شيطانهُ علمَ ما لم يعلموا من غضبِ
ما لهم قد فاتهم شكرانهُ أوليس الغيظُ بالمكتسبِ؟

* * *

لو تراخى خطبُهم لاحتملوا عُدد الرجمِ لذاك المعتركِ
لطف الله فلو قد عجلوا لخلا من نجمه هذا الفلكِ

مننٌ لله لا يحصرُها صيرفِي رُوِّضت أَعْداده
خفراتٌ لم يزل يظهرها كلما هام بها عباده

هو أوحى الوحي في جنته فسرى في الملاء الأعلى الصدى
حين نادى قرَّ في وقفته كلُّ غضبان ولبَّى واهتدى

فإذا الجنة أمنٌ وسكون كسكون الليل في ضوء القمر
خشعت حتى الشوادي في الغضون وصغت حتى وريقات الشجر

ساعةٌ ثم انجلى موقفُها عن جلال الله فردًا في علاه
غابت الأملاك لا تعرفها وبدا الشيطان معروفًا تراه

وبدا الشيطان معروفًا ترى كبرياء الكفر في وقفته
عالي الجبهة يأبى القهقري وتوجُّ النار من نظرته

وتنحَّى كلُّ مشهودٍ فما ثمَّ إلا الله والطاغي المرید
ويكاد الكون ما بينهما يغلب الشكُّ عليه فيبيد

ساعة أخرى وقد حُمَّ القضاء وانقضى العفوُّ وحق الغضب
ساعة للنحس حلت والبلاء ومتى حلت فأين المهرب؟

ترجمة شيطان

حَاقَتْ اللَعْنَةُ حَاقَتْ كُلَّهَا وَقَضَاهَا الْمُنْعَمُ الْمُنْتَقِمُ
وَجَنَاهَا وَهُوَ لَا يَجْهَلُهَا ذَلِكَ الْجَانِي الَّذِي لَا يَنْدُمُ

هَاتِفٌ فِي الْخَلْدِ لِمَا هَتَفَا نَفَذَ السَّهْمَ فَمَنْ ذَا الْهَاتِفِ؟
أَهُوَ الرَّحْمَنُ لَا وَ أَسْفَا بَلْ هُوَ الرُّوحُ الْعَصِيُّ الْعَاصِفِ

هُوَ رُوحٌ يَحْسُدُ اللّٰهَ وَمَا أَعْجَبَ الْحَاسِدَ لِلّٰهِ الصَّمْدُ
كَلِمَا أَبْصَرَهُ مُحْتَكَمًا أَصْغَرَ الْكُونَ وَأَزْرَى بِالْأَبْدُ

هُوَ نَاعٍ سَمَجَتْ فِي عَيْنِهِ نَعَمُ اللّٰهَ فَاْمَسَى يَجْتَوِيهَا
حَبَّةٌ يَزْرَعُهَا فِي كُونِهِ تَلَكُمُ النِّعْمَى فَاَيْنَ الْجُودُ فِيهَا؟

هُوَ طَاغٍ يَأْنِفُ الصَّغْوَ إِلَى سَائِلٍ يَسْأَلُهُ عَمَّا جَنَى
يَحْسَبُ الصَّغْوَ عِقَابًا قَدْ غَلَا كَيْفَ لَوْ أَعْذَرَ أَوْ لَوْ أُنْعَنَا؟

فَرَمَى بِالْهَجْرِ لَا يَحْفَلُهُ حَيْثُ لَا يَبْدَأُ خَلْقَ الْكَلَامِ
وَيَجِدُّ الْقَوْلَ أَوْ يَهْزِلُهُ وَلِعَيْنِيهِ وَمِيضٌ وَابْتِسَامِ

قَالَ سُبْحَانَكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي وَتَعَالَيْتَ وَلِسْنَا نَعْتَلِي!
لَا سَلَامَ الْيَوْمَ يَقْرِيهِ مَقَالِي أَيُّهَا الْمَوْلَى فَهَلْ تَغْفِرُ لِي؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاء ويُعَزِّي سَيِّدُ يَفْقَدُ عبدا
فاقد العبدان أولى بالرثاء من فتى يَأْلَمُ للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على عبدك العاصي إذا لم تُرْضِهِ
عبد سوء رفض الخلد فلا تَبْلُ بالجود قصارى رفضه!

* * *

لا تعالجني بلوم إنني قائم عنك بلومي وانتقادي
أنا من ينصف من يقرفني وَنَجِيُّ الذم مني لا يُصَادِي

* * *

لائمي أنت على كفر النعم وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتني ذاك الكفور المتهم إنما الكفر أخو الخير القديم

* * *

أخذي أنت بقومٍ شكروا بعض ما قيضت لي من نعم
كذب لا يشكو قوم ذكروا لك بالحمد حلول النقم

* * *

تهب العشبَ لآسادِ الشرى وتعدُّ الجوع منهن كنودا
فازت الشاء فلا غرو ترى أنها تبلغ بالأكل الخلودا

* * *

كم عهدنا عاهلاً في ملكه يحكم الناس بما لا يفقهون
يوبقُ السائلَ عن مسلكه ويبيح الأمن من لا يسألون

ترجمة شيطان

* * *

هكذا ملكك يا رب القضاء دولة تحمي على الطرف النَّظَرُ
حظ مَنْ يدنو من الستر الشقاء وسعيدٌ من لها عما استتر

* * *

فاغن بالراضين عن أقدارها إنهم نعم عتاد المالكين
واجعل الفردوس من أقطارها حيث يرضون وما هم ساخطين

* * *

وإذا ما رثمَ الضبُّ الكدى فقل الكدية فردوس السماء
أوليس الخلدُ يا ربَّ الهدى منزلًا لا يتخطاه الرجاء؟

* * *

لا تعاجلني فقد لا يتقي سيد الكون لسانًا يكذب
إن يكن وزر ضلالي مزهقي آخر الأمر فحتفي مكثب

* * *

لا لعمرى بل هو الصدق وما أجمل الصدق بشيطان غوى
إنما الصدق نباتٌ ما نما قط بالخير وقد ينمو الهوى
إنما الصدق وبالٌ يُفترى وأحقُّ الحقُّ ما يوحى الرجيمُ
أبطل الباطل لا يؤذي الورى وأحقُّ الحقُّ يودي بالصميم

* * *

أمجيبني أنت أم عند الصدى أبد الدهر سؤالي والجواب
أهي الراحة في الخلد سدى ثمر الكون جميعًا واللباب؟

* * *

كيف يرضى خالدٌ يفصله أمدٌ بينكما لا يُعبر؟

أيعاف الشأو أم يجهله أم يرجيه فلا يقتدر؟

عفوك اللهم لا خلد هنا ومتى كان خلودٌ في قيود؟
سيظلُّ الخلدُ وسواسَ المنى وصدى الليل وأحلام الرقود

وسيبقى الكون في جوهره أبداً شيئين مهما اقتربا
خالقٌ قام على عنصره ومخاليق رأوه احتجبا

صانعٌ يحيي البرايا منعماً وبرايا صنّعها من وجود
وكلا هذين موجودٌ فما أبعد البون لعمرى في الوجود!
أيها الفنانون في هذي الدنى خلدكم يا قوم آجال توالى
تحسبون الخلد في نيل المنى قد خدعتم فاشكروا الله تعالى

قد خدعتم فاسألوا الدود أما يبلغ المأمول من شهوته
واغبطوه فهو أرقى سلماً أو ما يوغل في حماته؟

اسألوا يا قوم أن لا تسألوا وتمنوا للأمانى الكمالا
وإذا أعجزكم أن تفعلوا فاشكروا من يحرم الخلق السؤالاً

عفوك اللهم أو لا عفوا لي طال بي حلمك فابعث وجلك
أنت لا تخطر لي في أمني لا تكن توبة نفسي أملك

ترجمة شيطان

وادع في خلقك يسجد من رجا خلدك الأعلى فما نحن سجود
لنكوننَّ إذا صح الحجا حجرًا صلداً ولا هذا الوجود

لا نطيل القول أما المنتهى فقريبٌ وجرى ما قد جرى
السَّنى أظلم والنجمُ سها ولهيبُ النارِ أمسى حجرا

لا انتقاماً حبطت فتنتهُ حاشَ لله ولا الحلم نَفدُ
إن تَكُنْ قد خمدت جذوتهُ فمن الرحمة بالخلق خَمَدُ

حين جارت فتنة الغاوي على عصمة الأملاك في غرَّتْها
عَجَل الله به ما أَجَّلَا وحمى الدولة في بيضتها
قال كن عبيد فلما أن أبى قال كن صخرًا كما شئت فكان
لهبٌ طار فلولا أن خبا لتغشَى الكونَ نارٌ ودخان

ولقد قال أناسٌ شهدوا مصرع الشيطان هل طبعُ يزول؟
ناره تخبو فلا تتقد وهو في الصخرة يستهوي العقول

فإذا أبصرت من صخرته دُميَّةٌ ساحرة أو صنما
فابتعد منه ومن رقيته واتق الله وحوقل ندما

وتعجَّب من شواظِ رَدِّه طارق اليأس صفاةً جلمدا
وتدبَّر كيف أبقى كيده ومحا روحًا وأفنى جسدا

* * *

ولقد أسمع فيما زعموا نبأً من نحو إبليس أتى
قال لا تأسوا ولا تنتقموا معشر الجن فما برّ الفتى

* * *

ما أرى هذا الفتى من دمننا ومتى استغوى الشياطين الشَّرْكُ؟
أتري شيطانةً من قومنا أغوتِ الأملاكُ فهو ابنُ مَلَكْ!
ذاك أو كيف أطاشت فمه غيرة منه على القول الصراح
أكبا الثرثار أم أسقمه أرْجُ الجنة أم ملَّ الكفاح؟

* * *

فتلاحي القومُ ثم استضحكوا ودعا مازحهم شرَّ دعاء
قال فلتسلكه فيمن سلكوا أيها المولى سبيل الشهداء!

* * *

وتقضت بينهم سيرته ومضى كالطيف أو رجع الصدى
باء بالسخط فلا شيعته رضيت عنه ولا أرض العِدَى

* * *

وكذا العهد بمشبوب القلى عارم الفطنة جياش الفؤادُ
أبدًا يهتفُ بالقولِ فلا يعجبُ الغيِّ ولا يرضى الرشادُ

قوميات

هيكل إدفو

... ..
وصيانة بين البنى وجمالا
بالشامخات يحيلها أطلالا
جيلان يبنيك الملوك وصالا
إلا استزادوه علًا وكمالا
وتلاحقوا عمًا إليك وخالا
بين العباد ثوابتًا ونزالا!
فيك السلاح أسنة ونبالا!
زلفى لديه وقوة ونوالا؟
أنَّ الأوائل دونهم أفعالا
كونين من حكم الطبيعة حالا
فيها الذئاب الضاريات سخالا
فيها وننسى الخوف والآملا
تذر القلوب فوارغًا أغفالا
عند الكريهة إن جفا أو مالا
ربًا يُعين الصيد والأنذالا
ويذيق خصمك ذلة ونكالا

... ..
يا دار بطليموس حسبك رفعةً
حرص الزمان عليك وهو موكل
أبقاك في فك الزمان مصونة
لم يبصروا بك موضعًا لزيادة
غدروا ذوي القربى ودكّوا دورهم
واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا
وضعوك أم رفعوك لما صوروا
وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا
ضلّ الذين تطاولوا فتوهموا
حسبوا المعابد أرضها وسماءها
هبطت من الملاء العليّ فأصبحت
ننسى العداوة والصدقة والهوى
كذبوا فما تغني الأنام عبادةً
لا ربّ إلا من يمالئ شعبه
لا تعبدنّ إذا أردت سيادةً
واعبدنّ إلها يصطفيك بعونه

من ظن أن ولاته كعداته عند الإله فكيف يسعد حالاً؟

* * *

والدهر يغتال القويَّ ضعيفهم
قهار كل القاهرين تقاصرت
ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم
مَلَكُ الفراعنةُ الحماة وخلفوا
وخلأ الأكاسرة البغاة كأنهم
ومضى البطالسة الكماة وهذه
تتقوُّ الأوطان وهي كدأبها
عهدٌ على الله القدير وذمة
فتجنبوا فيها القنوطَ وأجزلوا
إننا لنرجوها ونوقن أنه
وستستقل فلا تقولوا إنها
والدهر يغتال الفتى المغتالا
عنه مكائدٌ من طغى واحتالا
أسفًا وما نقص الثرى مثقالا
للملك أعلامًا بمصرَ طوالا
عبروا بمدرجة الزمان رمالا
مصرٌ يزيد شبابها إقبالا
من عهد نوح تربةً ورجالا
ألا تضيم لها الكوارث ألا
قسط البنين معارفًا وخصالا
ما كان يومًا لا يكون محالا
صمدُ الهوانُ بها فلا استقلالا

تمثال رمسيس

رمسيسُ أين جنودك البُسلَاءُ
وبشائرُ بك كلما طال المدى
والجيش حولك كالغمام فوقهم
متهللين غداة أطفأ شوقهم
فني الجنودُ فهم أمامك عثِيرُ
متخير الصحراء دار إقامة
وتكنفتك من الخلود مسافةً
... ..
رمسيس أية صخرة بين الصفا
رجحت بها التبر السبيك نفاسةً
ومواكبُ لك في البلاد وضاءُ؟
وتقدّمتُ بإيابك الأنبياء
للملِكِ والفتح المبين لواء
نيلٌ أتوه وهم إليك ظماء
سافٍ وأنت جلامدٌ صماء
إن الليوثَ ديارُها الصحراء
لا يستبيحُ نمارها الأحياءُ
... ..
قد شرفتها هذه السيماء
ما التبر والذكر المقيم سواء

حفظت سماتك بيننا وتطلعت
تبغي علاك فعازها الأجواء
وشكت مواقفه الزمان ولم يكن
يعروك أنت بموقفٍ إعياء

إلى متطوعي مشروع القرش

... ..
يا فتيةَ القرشِ وروادَهُ
خذوا هباتِ الجودِ حتى إذا
طوفوا على الدور ولا تتركوا
وحاصروا الراكب في ركبهِ
وراقبوا الجوّ ولا تتقوا
وعلموا من ضن بالقرش أن
فمن أبى قرشاً على أمةٍ
على سواء المنهج الواضح
فرغتم من فيضها النافح
باباً قد استعصى على فاتح
واسطوا على السانح والبارح
غوصاً وراء الغائص السابح
يخجل من عدوانه الفاضح
فذاك كالجاني وكالجارح

عيد الاستقلال السوري

ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة
١٩٣٠.

ربعَ الشّامِ أعامرُ أم خالٍ
إني لأرجع بالسؤال أطيله
سكنوا وأفقرت المنازل منهم
بوركت من وطنٍ يُجلُّ شهيدهِ
وطنٍ تضيق الأرض عن أبنائه
يستبدلون الخافقين ببضعة
ذهبوا بأفئدةٍ تفرّق شملها
اليوم عيدك عيدُ الاستقلالِ
لو يملك الشهداء رجع سؤالي
إلا منازل من صوى ورمال
في حيثما ألقى عصا الترحال
وإليه موئلهم مع الآمال
منه وما قنعوا بالاستبدال
شيئاً وما فيهم فؤادٌ سالٍ

* * *

يرتاد راحلهم وخلف ركابه
يصحو على «الشاغور» من لبنانه
وتهزه من «عشتروت» خميلة
وتليه من وادي العرائش نسمة
أنى استقرّ وحيثُ سار هفا به
أين السلو ولا سلو لعابر
هذي مواطنكم وتلك قلوبكم
ما في المدامع من شعار كنيسة
فيم اختلافُ مصفدين تضمهم
أمنازعون على السماء وأرضكم
كونوا ولا نصحْ لجيل نبوة
من بعلبك خذوا المثالَ لرأيكم
فيها لموسى والمسيح وأحمد

حُلمٌ يبت به مع الحُلال
وينام من «بردى» على السلسال
تلتفُ بين جداول ودوال
سكرى الضحى رفاةُ الأصال
همسٌ من الجبل الأشمّ العالي
فيه فكيف بمولد وفصال؟
وُشجتُ على الأهواء والأهوال
يوم الحنين ولا شعار هلال
قبل الوفاء سلاسلُ الأغلال
نهبٌ لكلّ منازع ومُوال؟
في العالمين هداية الأجيال
يوم الخلاف وتلك خير مثال
أثرٌ وللوثن القديم البالي

* * *

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه
ماضٍ بأمثال التجارب حافلٍ
نعم البشير لكم بالاستقبال
ومن التجارب حكمة الأمثال

النشيد القومي

قد رفعنا العلمَ للعلا والفدى
في ضمان السماء
حيّ أرضَ الهرمِ حيّ مهد الهدى
حيّ أمّ البقاء

قوميات

كم بَنَتَ للبنين مصر أمُّ البِنَاءِ
من عريق الجدود

أمة الخالدين من يهبها الحياة
وهبته الخلود

تحت أصفى سماء فوق أغنى صعيد
شعبُ مصرٍ مقيم

قد حوى ما يشاء من زمانٍ مجيد
ومكانٍ كريم

نيلنا خير ماء كوثرٌ من نعيم
فاض بالسلسبيل

في العروق الدماء شعلَةٌ من حميم
للعدوِّ الدخيل

إنْ يَكُنْ أمْسُنَا في حمى الأولين
فَلَنَعِشْ للغدِ

لا ترى شمسنا غير فتح مبین
ما يَدُمُّ يَزِدُّ

فارخصي يا نفوس كلُّ غالٍ يهونُ
كلُّ شيءٍ حسنٌ

إن رَفَعْنَا الرءوسَ فليكن ما يكونُ
ولتَعِشْ يا وطنُ

يوم الجهاد

أجل هو يوم الفدى والذمِّم
ويوم الذين دعوا أمة
ويومٌ له غَدُهُ المُرْتَجَى
هنا حرمٌ في جوار الزما
هنا فليقم عهده من أقام
ويستقبل الهول من راضه
تعزُّ الصفوفُ بنبذ الجبا
وتحمى الحقوقُ بدفع الضعيف
فليست تصان الحقوقُ التي
وهيها تعلقو لنا شوكة
إذا كرمت أمةً لم تكن
إذا استرحمت أمةً خصمها

ويوم الجهاد ويوم القسم
ونادوا بدعوتها في الأمم
ويومٌ له سرُّه في القدم
ن فحيوا الزمان وحيوا الحرم
ويعزم على أمره من عزم
ويرتد من خافه فانهزم
ن كعزتها بشجاع هجم
ف كدفعك عن حوضها من ظلم
حمى جانبها ضعاف الهمم
بشكوى الذليل ونجوى السأم
كرامتها من هبات الكرم
فلا رجمتها عوادي النقم

* * *

كفى لعباً أيها الهازلو نَ فقد ملأَ الخطبُ مصرًا وطم
لئن أسأمتكم كبارُ الأمو ر لقد أسأمتنا صغارُ اللمم
وقد أسأمتنا رعاةً تسا قُ فأين الرعاة وأين الغنم؟
أصنام باغين تبغونها وأنتم تذلون ذل الخدم؟

* * *

أطلب حريّةً للعبيد وألقي بحرّيتي عن رجم؟!
فماذا أقول لهذا الجبين وما عابه عائبٌ أو وصم؟
ومذا أقول لهذي اليميد بن وإني بها قد صنعت الصنم؟
معاذ الفتوة أنى لكم على رصدٍ ساهرٌ لم ينم
هو الحق ما دام قلبي معي وما دام في اليد هذا القلم

عيد بنك مصر

ألقيت في الاحتفال بمضي خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر.

بلغت الشبابَ فِعشَ وازدد وأوح التهانئ للمنشد
نما بك جدك في المعجزا ت فيا لك من معجز مفردا!
أفي السن كاليافع المرتجى وفي المجد كالهرم المخلد؟
وما هرم الصخر في مجده نظيرك يا هرم العسجد
وما بنية حرة في الرضا تقام كبنية مستعبد
بنو مصر في كل عهد لهم بناءً على سُنّة الموعد
فحينًا معابد فوق الذرى وحينًا مصارف كالمعبد
بهذا وهذا نجاري الزما نَ ونسبق في شوطه الأبعد
وندرك في يومنا أمسنا ونرفع شأويهما في الغد

* * *

... ..
فيما قائمين على (حصن مص
إذا قيل (بنك) فقد قيلَ حصن
ومن قال يا أمّتي وفّري
هنيئًا لكم قادةً زادةً
هنيئًا لكم (حربكم) إنه
لكم راية النصر مرفوعة
تعود لكم كل أعيادكم
رَ) سعدتم برضوانها الأسعد
نجا بالعتادِ وبالمُعْتَدِ
فقد قال يا أمّتي جندي
يصولون صولة مستشهد
من الحرب في وصفها الأحمد
على ساحة الزمن السرمد
بأجملَ مما به تبتدي

دار العمال

ألقيت في دار العمال عند افتتاحها في صيف سنة ١٩٣٥.

حَيِّ «دار العمال» بالإقبال
وانتظر رافعي الدعائم حتى
رفعوا أمس ما علا من صروح
ولهم في غد من الأمر قسطُ
أيها العاملون لبيكم اليوم
نعم جيش السلام أنتم إذا ما
لكم العدة التي ما استطاعت
ولكم أذرعُ شدادٍ وأيدٍ
ولكم في اتحادكم رأسُ مالٍ
ولكم صيحةٌ يهاب صداها
فابلغوا بالوئام والصبر ما لا
لا يسخرُكم المسخرُ جهلاً
وترقّب لها بلوغ الكمال
يرفعوا بينهم عزيز المثال
ولهم في غدٍ صروحُ عوال
من يكن مؤمناً به لا يغالي
م ولبيكم غداً في المجال
جرد البغي جيشه لاغتيال
أمةً قطُّ تركها في نزال
من حديدٍ وأظهُرُ من جبال
إن فقدتم ذخائر الأموال
سادةً في نفوسهم كالموالي
يبلغ المرجفون بالأهوال
وانبذوا كلَّ عاطلٍ مكسالٍ

* * *

... ..
من فتورٍ ومن صَنَى أو كلال
قوةً في يمنها والشمال
حة والبأس والحجى والخصال
ر فأنتم لكم نصيبٌ تال
صاح فيها: ما للبلاد وما لي؟
في بلادٍ تموج بالعمالِ
أجرَ بخسٍ وخدعةٍ ومطال
سطوةً أشعبية الإيغال
مستغل الجهود والآمال
ثمر الماء والثرى والرجال
جمعتهم جوامع الأغلال
فقصاراهما إلى استغلال
بعدُ إلا قضيةَ العمالِ

... ..
أيها المنقذونَ بِنِيَّةِ مصرِ
أنتمُ الكفُّ والذراعُ وأنتمُ
حظُّكم حظُّها من العلم والصـ
كلما نالها نصيبٌ من الخيدِ
أعجبُ الناسِ عاملٌ في بلادٍ
لا تقولوا العمالِ حَسْبُ وأنتمُ
إن مصرًا تنالُ من غاصبيها
وهي أرضٌ للواغليين عليها
كل من في جوانب النيلِ عانِ
كلهم غارسٌ لآخرٍ يجني
وإذا ما تفرقوا طبقات
وإذا قيل موسرٌ وفقيرٌ
حققوا الأمرَ ما قضيةُ مصرِ

عيد الجهاد

(٣١ نوفمبر) بعد ربع قرن

بجهادٍ على المدى في ازديادٍ
يوم كان استقلال هذي البلاد
سدي انطلاقُ الأيدي من الأصفاد
قد تكونُ الأعيادُ لاستعداد
من قضايا الخصام بين الأعادي
أسلمونا أمانة القوَاد

جددوا آل مصرَ عيدَ الجهادِ
إنما قُدِّرَ الجهادُ عليكم
والذي أوجب الحراك على الأيـ
ليس كُلُّ الأعيادِ ندحة لهو
وقضايا السلام أطول عهدًا
قادنا معشرٌ فلما تولَّوا

ما إخال الرواد قد سرحونا بعدهم نحن معشر الأجناد
سبقونا ممهدين وقالوا دونكم فانهضوا بغير وقاد
قد حملنا وديعة الأجداد فاحملوها أنتم إلى الأحفاد

* * *

صدقوني فرب صدق نذير حاط قومًا من صادق الإيعاد
لغد فارقبوه أحوج منا لاجتهاد في أمرنا واتحاد
قد بدا حولنا مدى الحرب فينا ومدى السلم حولنا غير باد
إنما الهول في غد فاتقوه واستعدوا له بأطيب زاد
ما الوغى والسيوف مشتجرات كالوغى والسيوف في الأعماد
من حروب على اللسان صراح وحروب مكنونة في الفؤاد

* * *

وأباطيل فتنه وضلال وعقابيل محنة وفساد
كم تلاقون في غد من دعاوى صبغوا لونها بكل حداد
ووباء الأخلاق من كل فج وبلاء الأرزاق في كل واد
قسم للحطام في غير عدل وأدخار له بغير سداد
بين كظان أثقلت جانبيه تخم جمة وجوعان صاد
إن وقيتم بلادكم من أذاها فانعموا بعدها بعقبى الجهاد

عيد النيروز

أهلاً بنيروز وليد أهلاً بميلاد سعيد
يوم جديد قلت بل عهد على مصر جديد
عهد تصان كرامة فيه وتتبعها جهود
لا تستذل ولا تسا م على الهوى سوم العبيد
وغدا ستنقشع الغيو م فلا بروق ولا رعود

قوميات

ما كان غير الصالحين من لهم قرار في الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة
لا تلبث الأصنام في
كم ذا أراد بها الأذى
يمضي يعدد ما يريد
حوض له من قومه
إن لم يزد أبناؤه
سمرٌ وسودٌ أين من
شتان ما هم في الأصو
قرت على حصن وطيذ
ها أن تنكس أو تميد
باغ وكاد لها حسود
والله يفعل ما يريد
ورد وما أحلى الورود
عنه فمن عنه يذوذ؟
صبغيهما حمر الجلود
ل وفي المهود وفي اللهود

* * *

يا صحبة التوفيق وُفِّ
حييتم النيل المبا
عيد الوفاء إذا استعيد
عيد له في نمة التا
عيد الأوائل والأوا
العالمية وصفه ال
من فارس عنوانه
كم صان مصريون ذك
وترنمت فيه العرو
ما بين شعر البحتر
أمم يؤلف بينها
ما أحوج الدنيا إذا اخ
حتم إلى النهج السديد
رك واحتفيتم بالصعيد
د فم وفاء المستعيد
ريخ توفيق حميد
خر والخمائل والورود
معهود في كل العهود
وصداه في الدنيا بعيد
راه وحياه هنود
ب بالقصيد وبالنشيد
ي وبين نثر ابن العميد
من حيث فرقتها الجدود
تلفت إلى عيد وحيد

* * *

في كل عام تحتفو
بالنيل غير مقسم
ن بمولد اليوم الجديد
فرد له ملك فريد

ملكُ على دين الإخا ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه يسا د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنُّه ألا يضيع ولا يبديد

* * *

يا مصرُ يا بنتَ الخلود يا معقل المجد التليد
أين الذين جَزَوْكِ جا زية الخيانة والكنود؟
من كل مسخ هازل في زيِّ جبارٍ عنيد
يحكي الأسود تَجَبُّراً وكذلك عريدة القرود
طاغ عليك ومنك لا منه الصوالج والبنود
وكأنما في جوفه نارٌ تُلظَّى بالوقود
أبدًا تنادي كلما أطعمتها هل من مزيد
لا نصح يجدي في هذا يته ولا عتبٌ يفيد
أين القرار به وأين اليوم موكبه المجيد؟!
ولَّى وولَّى صحبه لا غائبين ولا شهود
من كلِّ مغلوبٍ على كمدٍ ومنبوذٍ شريد
الله أقوى قوة من كل شيطانٍ مريد
كم ذا استعزَّ ببأسه فأذله البأس الشديد
بأس الجنود العامليـن من يقودهم ربُّ الجنود

* * *

الذيل أقبل من بعيد وكأنه حبل الوريد
متدفقٌ بين السدود د ولا حدود ولا قيود
فيضٌ من السودان مو رده وقبلته رشيد
متجددٌ في كل عا مٍ عند موعدة يعود

...
إِذَا نَفَدَ الدَّهْرَ لَا تَنْفَدُ	رِيسَعْفَهُ أَبَدًا مَوْرِدُ	وَأَبْنَاءُ مِصْرَ وَمَا جَدُّوْا	فِرْضَوَانُهُمْ أَنَّهَا تَخْلُدُ	مِنَ الْعَوْدِ مِنْ مِثْلِهِمْ أَحْمَدُ	وَيَنْبِضُ فِي جَوْفِهَا الْجَلْمَدُ
حِجْنَ جُنُودٌ بِسَاحَتِهَا اسْتَشْهَدُوا	كَمَاءٌ عَلَى صَخْرِهَا وَسُدُّوْا	عَ إِذَا مَا دَعَا الْمَجْدَ وَالسُّؤْدُ
...
وَأَجَلُ هِيَ مِصْرُ الَّتِي نَعَهْدُ	لَهَا مَوْرِدٌ مِنْ حِمَاةِ الدِّمَاءِ	فَلِلَّهِ مِصْرٌ وَمَا جَدَّدَتْ	إِذَا مَا ارْتَضَى الْمَوْتَ أَبْطَالُهَا	أَعَادُوا لَهَا سِيرَةَ الْأَوْلِيَاءِ	تَحَنُّ الرَّمَالِ الَّتِي خَضَّبُوهَا
وَكَمْ قَبْلَ ذَاكَ لِرَمْسِيْسِهَا	مَعُودَةٌ أَنْ تَجِيْبَ الدَّعَا	بِیَوْمٍ مَجِیدٍ، لِأَمْسٍ مَجِیدٍ

وَفِي الْحَقِّ وَالْخَيْرِ مَا أَعْتَدُوا	إِذَا مَا اعْتَدَى الْبَأْسَ لَمْ يَعْتَدُوا	وَفِيهِمْ لِكُلِّ أَخٍ مَنْجِدٌ	رَمَاهَا بِهَا الزَّمَنُ الْأَنْكَدُ
بَنُو مِصْرَ لِلَّهِ مَا جَاهَدُوا	أُولُو الْبَأْسِ لَكُنْهُمْ عَصْبَةٌ	وَمِنْهُمْ لِكُلِّ ضَعِيفٍ حَمِيٌّ	أَغَاثُوا الْعَرُوبَةَ فِي مَحْنَةٍ

تقدير

شكسبير

بين الطبيعة والناس

ماذا أفادك صدقُ العلم في الأمم؟
هذا نصيبك من دنياك فاغتنم!
يا للعجائب من أضحوكة القسم
فاعجب من الناس لا تعجب من البهم
ترى الحجى رؤيةَ الأسوارِ والأطم؟
رقابهم دون أدنى تلکم القمم

أبا القوافي ورب الطرس والقلم
لم يعرفوك ولم تجهل لهم خلقاً
قضيت دهرک تلهيهم وتضحكهم
لا يوثق الهزُّ رثباً لا ليضحكه
هلا رأوك على قربٍ بناظرةٍ
ولو رأوك بتلك العين لانخلعت

* * *

يوم انقطعت عن الآفات والنعم
وليس ينفعه الأحياء في الرجم
في الغابرين ولا سرتك في الرمم
للمشمس هذا ضياء الكوكب العلم؟
أين الجهالة من برٍّ ومن ندم؟
أينظرونك إلا نظرة القدم؟
وأندر البرِّ بالأرواح والنسم

شرعت للناس ورداً لا انقطاع له
والميت قد ينفع الأحياء ما عمروا
إن يذكروك فما جاءتك ذكرتهم
أو يكبروك فماذا قول مسرجةٍ
أو يشكروك فما بروا ولا ندموا
ارجع إليهم وقل فيهم وغن لهم
ما أكثر البرِّ باسمٍ لا غناء به

لا يقدر الناس يوماً أجر سادتهم
وإنما يقدرون الأجر للخدم
أجر العظيم زَماعُ في جوانحه
يجزيه بالأمن أحياناً وبالأم

وصاحب لك أرخصت الفؤاد له
فرُدُّ من الناس لو شدَّ الوفاء به
فقدته هو موجودٌ على كُتُبٍ
لم يُغنِ قلبك عنه ما يزخرفه
بل زاد شجوك أن تلقى لها مثلاً
أغناه باللهو عمّا أنت ضامنُه
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد
هيئات لا تملك الألباب ما عرفت
أرض تراها ولم تملك مقالدها
والحب أقرب من إلٍّ ومن رحم
أهونتَ غدرَ جميعِ الناسِ بالذمم
يا موجدَ الحسنِ أسراباً من العدم
عن صورة الحسن في الأوصاف والشيم
حيّاً، على أنه في البعد كالحلم
من ليس يغنيك عنه بالنهي العمم
عرفتَ سرَّ قلوبِ الناسِ كلهم؟
أين المنجم من شهبٍ ومن رُجمٍ
لتلك أقصى لعمرى من ذرى إرم

أبا القريض وحسب القول معجزةً
لو فاخر الكون أكوأناً تناظره
ما الفخر للكون إلا بالحياة وما
لما رأت بك عمياء الحياة جلت
حتى الخرافات تزجيتها فنحسبها
نكاد إن لم يجدها الطرفُ ماثلةً
تقاربتَ عندك الأقدارُ والتهمتُ
فما احتفلت بأمرٍ هائلٍ جلل
مثل الطبيعة تُذكي الشمسَ ساطعةً
كم ترجمُ الناسَ عن فحوى حقائقها
بشكسبير وحسب العرب والعجم
كنت الفخار فأبدت ذلة العقم
من بضعة هي أحيا منك في الأدم
ما ليس يجلوه نور الصباح من ظلم
من خلقة الله لا من خلقة الوهم
في الأرض نقدحُ فيها قدحُ متهم
حياتك الخلق طراً كل ملتهم
صعب المرام ولا أزييت باللمم
في العلوِ إذكأها للنار في السلم
أنى تنقلها نصّاً إلى الفهم

أبا القريض ألا بوركتَ من رجلٍ
إن الرجولة في الأقال والهمم

إلا الذكيُّ الفؤاد الصادق الحكم
تلك الشخوص التي أنشأت بالقلم
تلهو بنا بيد هوجاء لا بقم
من الظلام بلا وري ولا نغم
أو غلها شللُ أخرى بذا البكم
بقيةً منك لم تُقرأ ولم تُشم؟
فأين أفلت ذاك في ذلك الضرم؟
تمسُّ منك بقايا الأين والسقم
وقد يمدُّ شقيقُ كف منتقم
بزمرة الصخر فانزل ثم في حرم
يا أبلغ الناس في صمتٍ وفي كلم

لقد خدعت خداعاً لن يضل به
وقد خلدت ولكن مثلما خلدت
هذا قصارك في الدنيا وأحسبها
مالت على القوس ترمينا على غرر
يا ليتها كلمتنا وهي راميةٌ
مجاورَ الموت هل ألقىت في يده
ألقىت في الأرض جمرًا لا ذكاء له
أمنتَ قربَ ثراها واتقيتَ يدًا
والأرض أمك والإنسان بعدُ أخُ
لقد لحقتَ وكم في ذاك من عجبٍ
ما أبلغ الموت في صمتٍ رماك به

ذكرى سيد درويش

في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

واحفظوا الذكر سرمدا
قد تغنى فأسعدا
يبتدئ مجده غدا

اذكروا اليوم سيديا
وتغنوا بحمد من
من يكن ذاك أمسه

كيف لا يملك الصدى؟
وسيحويه مُخلدا
قيل تاريخه شدا
ن مصابيح للهدى
جاوز الشمس مصعدا
ات لا يعرف الردى

كان للصوت مالگا
قد حوى السمع شاديا
أخلد الناس من إذا
عاش للفن والفتنو
مطلع النور نبعها
من يعيش في السماء هيهـ

جددوا اليوم ذكر من قد تغنَّى فجددا
الذي صوَّرَ الحيا هَتَافًا مرَدِّدا
عَلَّمَ النَّاسَ كيف يعنو ن باللحن مقصدا
ما ابتغوا قبله المعنا ني في القول مسندا
وانثنوا يعجبون للط ير لما تغرِّدا
ولهمس النسيم في الـ غصن لما تأوِّدا
والدراري والسننا والأزاهير والندى
سمعوا كل ما انطوى من سرارٍ وما بدا
سمعوا الكون بيِّنًا والمقادير شهدا
فُتِحَ البابُ كله بعد أن كان موصدا
ربما جاز فاتحُ في المدى ما تعمدا

إنما الفنُّ في الشعو بٍ شبابٌ له الفدى
فيض ما زاد من شعو ر وما هام مبعدا
سورة في عروقتها يَتَّقِي بِأَسْهَى العِدَى
لا أنينٌ ولا طنينٌ ولا ضجة سدى
أو نديم لشاربٍ بالطلا قد تزوِّدا
أو بكاء كما بكى سائل يطلُبُ الجدى
رحم الله سيِّدًا كان للفن سؤدا
ليت أحياءنا الألى سبقوا الموت موعدا
لحقوا - وهو في الثرى منه روحًا تمردا
وارتأوا مثل رأيه واقتدوا مثلما اقتدى
أكبر الظن أنه جاور البحر فاهتدى
مفلحٌ من يكون أستا ذه البحر مزيدا
إنما اللحن تُرجما نُّ عن النفس ما عدا

تقدير

مبدعٌ وهو ناقلٌ كلما قال أوجدنا
واصفٌ لن ترى له عاذلاً أو مفنّدا
هكذا كان سيّدٌ صادق الوصف مرشدا
ما سمعنا لشعب مصر رر على ما تعدّدا
واصفًا كان مثله مستجابًا مؤكّدا
كلُّ رهطٍ أعاره لحنه أسلم اليدا
وحبّاهُ بسرِّه ناطق الوسم منشدا
ليس من عاملٍ ولا عاطلٍ راح أو غدا
أو سرّيٍّ مجللٍ أو فقيرٍ تجردا
أو قويٍّ مزمجرٍ أو ضعيفٍ تنهّدا
أو دعاءٍ دعاه إلا عرفناه جيّدا
هكذا يسمع الخليل قة من يسمع الصدى

إنما اللحن منطوقٌ وحّد الكون إذ حدا
فيه لا في اللغات يب دو نظيمًا منضّدا
اسمعوا منه في الضما ثرٍ وحيًا مؤيدا
حيثما يقصر الكلا م ويمشي مقيدا
وارفعوا الفنّ واحذروا مهبطًا منه أو هدا
واجعلوا من تراث درويـ ش للفن معبدا
إنه مهد الخطى فابلغوا أنتم المدى
رحم الله سيّدًا كان في الفن سيّدا

تكريم عامر

بلدُ الشمس والجبال كيف لا تنجب الرجال؟
أنجبت مثل عامر وهو في الهمة المثال

الذي في جهاده سبق القول بالفعال
والذي كان أول الص ف في حومة النضال
عندما نودي الدفا ع بدا فارس المجال
وتلا مَنْ تلا وصا ل بنو النيل حيث صال
أشجعُ الناسِ بأذلُّ هزم الشح والمطال
كرم النفس كالشجا عة مِنْ أندر الخصال
...
كرّموا الذرّوة التي رفعت هامة الهلال
رفعت أرؤسًا وطا لت مع المجد حيث طال
واحمدوا في احتفالكم أجدر الناس باحتفال
العصامي في الغنى والعظامي في الخلال
والذي جد وحده فشأى عصابة الرجال
والذي كلُّ درهم في تجاراته حلال
زانه الله بالأما نة والصدق في المقال
والمضاء الذي يجدُّ ولا يعرف الكلال
والنظام السوي في غير ضيق ولا اختلال
يتبع المال صاغراً مَنْ له العزمُ رأس مال
لقبُ حازه وكم حاز من قبله ونال
لم يزد فضله به فهو ذو الفضل لا جدال

* * *

كرّموه تُكرّموا خيرَ دارٍ وخير آل
إن أسوان ما خلت قط من معدن الكمال
صخرها جوهر الخلو د وأنموذج الجمال
وبنوها وأنتمُ من بنيتها بخير حال
لكم المجد لا يزا ل من الأعصر الخوال
إنما المجد بالعلا لا جنوب ولا شمال

* * *

يا صديقي ويا ابن قو
أقرب القرب بيننا
شيمة النبل في استقا
شيمة العزة التي
إنها جيرة لها
لا تزل غانمًا بها
وحواليك دولة
تتلقاك نعمة

مي وجاري على اتصال
شيمة فيك لا تنال
مة طبع وفي اعتدال
لا يغالي بها اختيال
أبعد الناس مستمال
هانئًا في هدوء بال
من محبيك لا تدال
أبد الدهر في اقتبال

ثناءً على ماهر

ثناء الكرام على ماهر
على رجل زاهد في الثنا
على من يسير بأعماله
وَمَنْ كُلُّ أَيامه صالحا
فلا حيرة فيه للمحتفي
تجيء مدائح الصادقا
فسيان إحصاء أعماله

ثناءً على الرجل القادر
إلا من الأثر العاطر
فيقبل في جحفل زاهر
تُ لحفل بتكريمه عامر
ولا حيرة فيه للشاعر
ت عفو البديهة والخاطر
ونظم المقرظ والشاكر

بياناته مثل أرقامه
وأراؤه في ثنايا غد
وباطنه في مواعيده
له شدة الحق في بأسه
وإنصافه مأمّن للعدي
وإقدامه في قضاء الفرو
إذا ما اطمأن إلى واجب

حقائق للحاسب الحاصر
كرؤية عينيه للحاضر
كصفحة عنوانه الظاهر
تمازجها رقة الساخر
وإخلاصه عصمة الناصر
ض إقدام مستبسل صابر
فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولي الأمر طوبى لكم يومكم وطوبى لكم ذكره الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا مدى الحمد من وطنٍ قادر

الغزالي والخيام

نُكْرِمُهُ نُكْرِمُهُ وما نرويه نعلمه
ولم ننشئ له فضلاً ولكننا نترجمه
ومَنْ ذا مثلُ إبراهيمَ ذو فضلٍ نعظمه
وذو سمتٍ نوقره وذو رأيٍ نقومه
فتى تُرضى سجاياه ويصدق قلبه فمه
تساوت عند مطريه مزاياه وأنعمه
وحب الخير في دمه فكيف يخونه دمه؟
لهُ مجدٌ يؤثله بمسعاه ويدعمه
فقد يغنيه أحدثه وقد يغنيه أقدمه
ولكن ليس يستغني بحظٍّ لا يتممه
تكنى بالغزالي فلم يتعب منجمه
ولو مال إلى الخيا م لاقاه مخيمه
أديبٌ ينثر التبيا ن آيات وينظمه
عماد الجمع منبره وزين الطرس مرقمه
وللفنان في نادي ه مغناه ومغنمه
علت في السعد أنجمه وفي العلياء أسهمه

* * *

تعالى الله هاديه إلى النعمى وملهمه
ونعم الفضلُ فضل الله ه بالقسطاس يقسمه

في محراب المطران

يَوْمٌ تَأَلَّقَ واستضاء
يَوْمٌ أَطَلَّ على الحمى
هذا وفاء العارفيـ
«مطران» محراب القريـ
قدسٌ يزين وقاره
خلقان لم يتجمعا
يَوْمٌ تَعَطَّرَ بالثناء
والفضل مرفوع اللواء
نَ لشاعرٍ عَرَفَ الوفاء
ض، خليل ناديه الحميم
أنسٌ يهش له النديم
إلا لذي فضلٍ عميم

ماذا أعددُ من سجا
أدبًا وعرفانًا وآ
وإذا أطلتُ فغاية الإ
ياك الحسان وَهَنَ شَتَى؟
لاءً محبَّبةً وسمتا
طراء أنك أنت أنتا

نادك أبناء العرو
فألُّ تجده الطوا
الآن فاهناً بالعرو
بـة باسم شاعرها المجيد
لُعُ كلُّ يوم في سعود
بـة وهي «جامعة» تسود

أنطقت بالعربية الفصـ
ونقلتهم نقل الأما
بدلت في لغة اللسا
حتى أعاجم شكسبير
نة في الكبير وفي الصغير
ن ولم تبدل في الضمير

ودعمت للتمثيل كعد
صفرت فحين حللتها
لقنتهم فتلقنوا
وجمعت فحوى الاقتصا
بته فعاودها المزار
حفلت بحج واعتماد
منك التلاوة والحوار
د كما تنزل في كتاب

قلمٌ يَعْلَمُ عِلْمَهُ ويدُّ تجود بلا حساب
في العُرْفِ والعرْفان سا ثلك المؤمِّل مستجاب

* * *

ذمم اليراعِ قضيتَّها في كل ميدانٍ دعاك
ليس النظيم أو النثيـ ر قصار ما استرعى هواك
إن «الجوائب» و«المجـ لة» في الصحافة شاهدك

* * *

لما سبقتَ إلى الجد يدِ سبقتَ منه إلى كمال
أتعبتَ خَلْقَكَ مَنْ عدا في العدوتين على ضلال
لم يُدْرِكوك وإن جرؤا من بعد شوطك في المجال

* * *

حررتَ أوازنَ القصيـ دِ فزاد في الميزان وزنا
وتوسَّعتَ فيه البحو رُ فأرسلتَ دُرِّرا ومُزنا
هذي الثلاثيات حقـ ك من لدنك ومن لدنا

* * *

وأقمتَ في ديوانك العا لي أميرًا لا تُجاري
أولى الربوع بشاعري آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغي سكنًا سوا ها حيث حل ولا مدارا

* * *

والله لو وفَّوك بالتـ جديدِ حقِّكَ من ثواب
لم تُوفِّ عهدَ كهولةٍ إلا رددت إلى الشباب
متجدد الريعان في ظل الخلود المستطاب

* * *

تقدير

لكنَّ حَقَّكَ فِي الشَّبِيحِ بة شائِعُ بين القلوبِ
يدعو بشعركَ من شدا أو عنك في النجوى ينوب
هبةً قُضوك ديونها والحر سَدَّادٌ وهوب
أُنْعِمُ بِمَحْفَلِكَ الَّذِي وسع العروبة في مكان
كرمت بإكرام النُّهى وَعَلَّتْ بِإِعْلَاءِ الْبِيَانِ
هي ترجمت بك عن فضا بِلِهَا فنعم الترجمان

* * *

عيشا معًا متعاهديـ نِ وَأَبْلِغَا الْعَهْدَ التَّمَامِ
منها لك الأذانُ صا غيةً ومنك لها الكلام
متقابلين على الرِّضَا متلازمين على الدوامِ

كوكبُ الشَّرْقِ

هَلَّلَ الشَّرْقُ بِالِدَعَاءِ كوكبُ الشرق في السماء!
عاد في حلة الضياء ء وفي هالة البهاء
لم يَغِبْ هاجِرًا ولـ كن كما غرَّبت نكاء
لا تخافوا على مطا لعه سَطوَة المساء
واهب النور لا يدا ريه عن نوره عشاء
كوكب الشرق في أما نِ من الليل لا مرء

* * *

يا عروس السماع لبًّا كِ من يسمع الدعاء
وشفى أنفَسًا لعينيـ ك تسترخص الفداء
انظري في وجوههم تعرفني نضرة الوفاء
كلهم ود لو يغني من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشـ دو غلبناك بالغناء!
أم كلثوم يا بشيـ رًا من الله بالرجاء

أنت من وحيه وللـ	ه في الفن أنبياء
ذلك الصوت صوتك الـ	عذبٌ من عَرْشِهِ نداءٌ
فيه سرٌّ من جنّة الـ	خلدٍ لکنّه ضياءٌ
فيه ما يرفع الحجا	بًا! وما يكشفُ الغطاء
فيه أنسٌ لمن يشا	ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجي سلا	مٌ وللمشتكي عزاء
فيه حرزٌ من الهمو	م وعاونٌ على القضاء
أيُّ نفسٍ إذا ترنـ	مت لا تهزم الشقاء؟
إنه قوّةٌ إذا عز	من قوّةٍ نجاء
إنه من غنى إذا	حُسبَ الصوت من غناء
إنه ثروّةٌ لمصر	وما أجزل الثراء
مهرجانٌ لعيدها	حيثما رفرف اللواء
وعلى الجرح إن شكت	بلسمٌ ناجع الشفاء

أيُّها الكوكب الذي	أسعد الأرض باللقاء
ردي الطرف في الفضا	ء وما أرحب الفضاء
واسأليه سؤال من	يلحن الطير في الهواء
هل سرى فيه مثل صو	تك في الحسن والنقاء
في قديم من الزمان أعـ	ني وفي حاضرٍ سواء
لا أحاشي من الرجا	ل قبيلًا ولا النساء
لا تجيبني أنا المجيبـ	ب ولم أغلُ في الثناء
أنتِ كالشمس لا تُعدّ	دُ في هذه السماء

موسيقى خالد

أبناء مصرَ تَدَكَّرُوا وتَدَكَّرُوا	ما مصرُ خالدةٌ لمن لا يذكرُ
وإذا جرى ذكر الفنون فميّزوا	بالحمد فناً بالجمال يُبَشِّرُ

تقدير

زهب الزمانُ زمانٌ مَنْ لم ينعْتوا
إِنَّ الذي يعطي النفوس عزاها
ليس الغناء صدى ولا أنغامه
إن المغني إن علا استقلالكم
بالمجد إلا من يصول ويقهر
لأَحَقُّ بالذكر الجميل وأجدر
خفقات أصواتِ تمر وتعبّر
بين البناة مؤسسٌ ومعمار

له «سيدٌ» الذي غنى لكم
وصف ابن مصر فليس يدري سامعٌ
إن تسمع الحوزي منه رأيته
أو تسمع النوتي منه حسبته
أو تسمع الريفي منه لمحته
أو تسمع الجندي منه نظرتة
وإذا «المسارح» راجعت أيامها
لاذت بفردي منه لا يتكرر
زمنًا، فقال العارفون «مصور»
أصغى إليه أسامعُ أم مبصر
عجلًا فتيمن في الطريق وتيسر
في النيل يقبل بالشرع ويدبر
في الحقل يحصد في الأوان ويبذر
وعلى أسرته الشعار الأخضر
لاذت بفردي منه لا يتكرر

قالوا تفرنج بالغناء وإنما
عرف الأغاني واللحون كما جرت
أمم إذا غنت فليس غناؤها
هو مؤثرٌ في الفن لا متأثر
في عرف من نطقوا بهنَّ فعبروا
لغو المجانة بل معانٍ تؤثر

قل «سيدًا» فإذا زهبت مترجمًا
هي من مصادفة الحروف وربما
سمةً على كل اللغات سميها
علموا هنالك أنه «المايسترو»
سبق الحروف بها دليلٌ مضمّر
للسبق في الفن الجميل ميسر

يا نخبة قدروا الجميل لأهله
دوموا على عهد الوفاء وقدروا
... ..

تأبين

ذكرى الشهيد

رثاء محمد فريد

... ..
من غير طينتها نُصاغُ ونُخلَقُ
تعتاد حاسرة الوجوه وتبثق
ونتاجها الأبدى عنها مغلق
لا يُرْتَوَى منه ولكن يُغْرِق
ترجوه أن صداه قد لا يخفق

... ..
دنيا نزاولها ونحن كأننا
محجوبة المرمى فما لشورها
نمشي على الأبدى من أشواكها
وكأنما الدنيا سرابٌ سرمدٌ
سواك فيها حين يخفق عاملٌ

* * *

أبدأ ولا يبرح سلاحك يُمشق
الدهر حومة حربها لا الخندق
متجمّع في مدّه متفرق
والحق ببيرقه ونعم البيرق
جيشٌ بموت غزاته لا يمحق
شرعوا لهاذمه وبعذك فيلق
أضداده أسرى وإن لم يوثقوا

... ..
أفريدُ لا يلّم بسيرتك الردى
ما كان ذاك العمر إلا وقعةً
والناصرين الحقّ جيشٌ واحدٌ
الأنبياء الصالحون جنوده
لا يُيَسِّنُكَ أَنْ قَضَيْتَ فَإِنَّهُ
ما زال مطرّداً فقبلك فيلقُ
خير الجوانب أن تكون بجانبِ

... ..

ذكرى الأربعين

أَمْضَتْ بعد الرئيس الأربعون
 فترة «التيه» تَغَشَّتْ أُمَّةً
 كل يومٍ ينقضي نَفَقَدَه
 تكبر البلوى به حين مضت
 كيف ينسى الناس مَنْ لم يَنْسُهُمْ
 لم يزالوا كلما قيل لهم

 خرج المدفع يطوي مدفعًا
 ساكنًا بين يديهم بعد ما
 حوله من عسكرٍ أو عُزِّلِ

 ليس يبكي خطب سعدٍ يائسٌ
 إنما يخلق أن يبكيه
 لم يصب منه نصيبًا من هوى
 أي نذير الحق من وادي الردى

 ألقِ للتاريخ ما يكتبه
 صفحة سطرته أنت فما
 قل له والدهر يحني رأسه
 أنا مصرٌ وهي في سؤدها
 أنا نجيت لمصر نفسها
 أنا ألقيتُ على عاتقها
 فاسألوا عن صيدها أو غيدها
 وعن الموسر والعافي بها
 واسألوا عن عالمٍ أو جاهلٍ

عجبًا كيف إذن تمضي السنون؟
 غاب موساها على «طور سينين»
 وهو ملء الصدر من كل حزين
 والبلايا حينما تمضي تهون
 يوم تُنسى النفس والذخر الثمين
 ذهب الموت به يلتفتون

 الأساطيل اتَّقَتُهُ والحصون
 زلزلَ الشرقَ على المغتصبين
 جيشٌ أجنادٍ له مُتَّبِعُونَ

 أين من سعد ضعافٌ يائسون؟
 من أصابوا منه عزماً لا يلين
 خائن العزم فما كان يخون
 قم فأنذرهم عساهم يعلمون

 أنت لا يلقي عليك الكاتبون
 في ثناياها سطور يَمَّحِين
 والطوايا شاهداتٌ والعيون
 أنا مصرٌ وهي في الأسر سجين
 ضيَّعَتَهَا بين كفرانٍ ودين
 حملها المطروح بين الآخرين
 وعن القبط بها والمسلمين
 وعن الآباء فيها والبنين
 وأصيلٍ من بنيتها أو هجين

تجدوا مصرًا ولا تستمعوا
جُمِعَتْ فِي نَفوسِ فَوْقِ
... ..
غير مصرٍ في دعاءٍ وحنين
في النبيين الهداة المصلحين
... ..
يوم منفاك وهل كان سوى
ضربت مصر فكانت ضربةً
أيها الغادون بالقيد لها
الرحى دارت على أقطابها
بأسكم ما عهدت أحرارها
... ..
إنني بالشجو وحدي لَقَمِينُ
يشتهي الراوي ويبغي الدارسون
كان نعم الأب في رفقٍ ولين
ومقامي عنده العالي المصون
يا خدين الصحب يا نعم الخدين
ذلك الجبار في الدمع السخين
لك كالطير أظلتها الوكون
والأحاديث مع الليل شجون
إن غفونا أو غدونا مصبحين
... ..
يملأ الدنيا ويقضي ويدين
حجرًا يعلوه نوار الغصون!
وفتونًا ليس يبلى من فتون
أوسعُ ذلك القبرُ السدين؟
فيه رمز الموت أعلى الرامزين
بين عزم وخلالٍ يستبين
واخفضوا الصوتَ وحيوا خاشعين

إن بَكَتْ مِصرٌ عَلَيْهِ شِجْوَهَا
رزئته النفس واللب وما
لم يكن بالأب إلا أنه
كم سعى ساعٍ إليه ووَشَى
يا هدى الأمة يا نعم الهدى
أنا جبارك لا تعهدني
لست أنسى في «وصيف» سامرًا
إذ تُلاقينا على مهد الرضا
نحقر الداء وترعى أمرنا
... ..
يومٍ ودعتك ودعتُ أمرًا
وأحبيك لألقاك غدًا
عجبًا لا ينقضي من عجب
أوسعُ ذلك الثاوي هنا
عجبتُ بادرتي ثم وعت
هو صخرٌ ورياحين معًا
فاعرفوا في قبره تمثاله

فاز سعد

عرف النفي حياةً ومماتا وأصاب النصر روحًا ورُفاتا
كلما أقصوه عن دار له رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتًا وهو من كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبًا الخلدُ ثمارًا للذي غرس المجد ونماه نباتا
... ..

جيرةُ الأحياءِ أولى بالذي بعث الدنيا حياةً أن تبيد
معشر الأحياء أنتم لكم مدد من ذلك الميت مديد
مستعيدين رجاءً كلما جزتموه وهو منكم مستعيد
إنه في كل جيلٍ ذاكر من بنيه أهد الدهر وليد
تلك يا سعد مغانيك فما في سواها يسكن اللحد شهيد

أعبر القاهرة اليوم كما كنت تلقاها جموعًا ونظاما
ساعة في أرضها عابرة بين آبادٍ طوالٍ تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا تشبه الساعاتِ بدءًا وختاما
كل مَنْ شاهدتها زيدَ بها من معانيك جلالاً ودواما
قل لهم أبلغ ما قلت لهم أيها الواعظ صمتًا وكلاما

جردوا الأسياف من أغمادها ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
أرفعوا الرايات في آفاقها أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يُلقى الخلد بالحزن ولا يكتسي الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناهُ العدى بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيدًا واهتفوا فاز سعدٌ وهو في القبر رماد

تمثال سعد

الروح في وادي الكنانة حائم
 ما غاب منك سوى مثالٍ عارضٍ

 وجلال شخصك في النواظر قائم
 يمضي ويخلفه المثل الدائم

 تمثال سعدٍ في الجزيرة ساهراً
 النيل حولك لا يغيب هنيهةً
 شأنُ لربك في الحياة حكيته
 كم صام سعدٌ عن مناهلِ حوضه
 كما بات يرعاه وليس بمرتع
 كم غاب عنه ولم يغب عن همه
 هيهات يغفل منك لحظٌ صارم
 عن ناظريك وأنت عنه صائم
 فالظل للغصن الوريث موائم
 ويعبُّ مغتصبٌ وينهل غاشم
 من خيره ما يرتعيه الحاكم
 والبحر دون طريقه متلاطم

* * *

بك زادت الأهرام ركنًا والتقت
 تلك الصروح على اختلاف بنائها
 نهضت على استقلال مصر دلائلاً

 منها على بعد الزمان دعائم
 في الجيزة الفيحاء هنَّ توائمٌ
 يعيا بنقض بنائهنَّ الهادم

* * *

يا سعدُ هلَّا من لسانك قولةٌ
 يملك تومئ بالكلام فأين من
 عَجَبِي لِشَيْءٍ فِيهِ مِنْكَ مَلَامِحُ
 عَجَبِي لِشَيْءٍ فِيهِ مِنْكَ مَلَامِحُ
 أخذ الحديد الصلب منه عزيمة
 وتشابهت ثم الأسارير التي
 وتحجبت تلك الأفانين التي
 إن لم تصوّرها اليدان فربما
 إن لا تحدّثنا فكلُّ محدّث
 أو لا يكن لفظٌ فدون الوحي من
 يُروى بها هذا الزحامُ الهائمُ؟
 إيمائها الصوت القوي الناغم؟
 أَنْ لَيْسَ يُسْمَعُ مِنْهُ قَوْلٌ حَاسِمٌ!
 أَنْ لَيْسَ يَخْفِقُ فِيهِ قَلْبٌ عَالِمٌ!
 والصخر بأساً يتقيه الصادم
 قد شابتهك بمثلهنَّ ضياغم
 ضاق الصنّاعُ بها وعيَّ الراسم
 خفيت فصورها الضمير الراقم
 من فيض روحك نائرٌ أو ناظم
 معنك كلُّ اللافتين أعاجم

تحية زعيم راحل

أكبرتُ في غَيْبِ الزعيمِ مُحَمَّدٍ من كان يكبر حاضراً في المشهدِ
حجبَ الرَّدَىٰ عنا بشاشته ولم يحجب بشاشة ذكره المتجددِ
هيهات ينتقص الزمان مجادة للسيد ابن السيد ابن السيد
...

* * *

عز الكنانة فيه فهي فجيعةٌ تبلى الكنانة في الضمير وفي اليد
ما في مروءات الشعوب مروءةٌ إلا رعته بنظرة المتفقدِ
البرُّ والمشهودُ من آلائه بين المحافل دون ما لم يشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها وبين مزوِّدِ
وإغاثة الأدب اللهيف وإن تشأ سرداً فعدُّ ما بدا لك واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية للمهتدين وقدوة للمقتدي
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على مستغلق فيها ولا متأودِ
والعزة الشماء إلا أنها كالشاهق المخصرُّ لا كالجمدِ
وسياسة الوادي ولم يك رابحاً منها سوى الشجن المقيم المقعدِ
وعزيمة لا تكره الشورى وإن كانت لتكره حيرة المترددِ
شيمٌ وآءٌ إذا ما استفردت كالقطب عزَّت في ازدواج الفرقدِ

* * *

عزُّ الكنانة والعزاء ليعرب ما بين مُثْمَمِ قومه والمنجدِ
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد والشملُ بين مشرِّدٍ ومبددِ
...

* * *

سمحٌ على ما فيه من عصبيةٍ سهلٌ وإن أعيأ قوى المتشددِ
لا يستطاع على الخصام عناده وعليه تعويل الأخ المتوددِ

تأبين

من أكسfordَ ولو نمأه معشرُ
فيه محافظةٌ وفيه طرافةٌ
ورث الحميةَ كابرًا عن كابر
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما
فإذا بكتَ مصرٌ فغيرُ ملومةٍ
للأزهر المعمور لم تستعبد
وأراه في الحاليين غيرَ مقلد
والأريحية منجدًا عن منجد
سقياه من أصلية أعذبَ مَوردٍ
وإذا الحجاز بكى فغيرُ مُفندٍ

آه من التراب

أين في المحفل ميُّ يا صحاب؟
عرشها المنبر مرفوع الجناح
عودتنا ها هنا فصل الخطاب
مستجيبٌ حين يُدعى مستجاب
أين في المحفل ميُّ يا صحاب؟

سائلوا النخبة من رهط الندي
الحديث الحلو واللحن الشجي
أين ميُّ هل علمتم أين مي؟
والجبين الحر والوجه السني
أين ولي كوكباه أين غاب؟

أسف الفنُّ على تلك الفنون
كل ما ضمته منهن المنون
حصدتها وهي خضراء السنون
غصص ما هان منها لا يهون
وجراحاتٌ وبأسٌ وعذاب

شيمٌ غرُّ رضيَّاتٌ عذاب
وذكاءٌ ألمعيُّ كالشهاب
وحجى ينفذ بالرأي الصواب
وجمالٌ قدسيُّ لا يعاب
كلُّ هذا في التراب آه من هذا التراب

كل هذا خالدٌ في صفحاتِ عطرَاتٍ في رُبَاهَا مثمرَاتِ
إن نوت في الروض أوراق النبات رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطابُ

من جناها كُلُّ حسن تشتهيهِ متعة الألباب والأرواح فيه
سائغٌ مُيِّزٌ من كل شبيهه لم يزل يحسبه من يجتنيه
مفرد المنبت معزول السحاب

الأقاليم التي تنميه شتى كُلُّ نبتٍ يانعٍ ينبج نباتا
من لغات طوّفت في الأرض حتّى لم تدع في الشرق أو في الغرب سمتا
وحواها كلها اللبُّ العُجَابُ

يا لذاك اللب من ثروة خصبٍ نير يقبس من حس وقلبٍ
بين مرعى من ذوي الألباب رحبٍ وغنى فيه وجودٍ مستحبٍ
كلما جاد ازدهى حسنًا وطابُ

طلعه الناظر من شعرٍ ونثرٍ كرحيق النحل في مطلع فجر
قابل النور على شاطئٍ نهرٍ فله في العين سحرٌ أي سحر
وصدى في كُلِّ نَفْسٍ وجواب
حيّ «ميًا» إن من شيع ميًا منصفًا حيًا اللسانَ العربيًا
وجزى حواء حقًا سرمديا جزى ميًا جزاء أريحيًا
للذي أسدت إلى أم الكتابُ

للذي أسدت إلى الفصحى احتسابًا والذي صاغته طبعًا واكتسابًا

تأبين

والذي خالته في الدنيا سراياً والذي لاقت مصاباً فمصابا
من خطوطٍ قاسياتٍ وصعابٍ

أتراها بعد فقد الأبوين سلمت في الدهر من شجْوٍ وبَيْنِ
وأسى يظلمها ظلم الحسين ينطوي في الصمت عن سمعٍ وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

أتراها بعد صمتٍ وإباءً سلمت من حسدٍ أو من غباء
ووداد كل ما فيه رياء وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيِّ» خصالاً رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيِّ» فعلاً
رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيِّ» جمالاً رَحْمَةُ اللهِ عَلَى «مَيِّ» سجلاً
كلما سُجِّلَ في الطرس كتاب

تلکم الطلعة ما زلتُ أراها غصّة تنشر ألوان حلاها
بين آراءٍ أضاءت في سناها وفروعٍ تتهدى في دجاها
ثم شاب الفرع والأصل وغاب

غاب والزهرة تؤتي الثمرات ثمرات من تجاريب الحياة
خير ما يؤتي حصاد السنوات بعثرتها الرياح العاصفات
ورمتهنَّ تُراباً في خراب

رُدُّ ما عندك يا هذا التُّراب كل لبِّ عبقرِيٍّ أو شباب
في طواياك اغتصابٌ وانتهاب خُلقا للشمس أو شمَّ القباب
خلقا لا لانزواء واحتجاب

* * *

ويك ما أنت برادٌ ما لديك أضيع الآمال ما ضاع عليك
مَجْدُ «مَيِّ» غير موكول إليك مَجْدُ «مَيِّ» خالص من قبضتِكَ
ولها من فضلها ألف ثواب

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق في تاريخه الملبس الماضي لباس الحاضر
الناقد الأنبياء نقد صيارفِ الوازن الآراء وزن جواهر
المستعين على السياسة بالحجى والعلم والقلم القوي القاهر
والحجة العليا التي ما طأطأت يوماً لمنتقمٍ ولا لمناظر
... .. عرف الحقائق فاستراح جنانه
... .. ووعى عواقبها فلم يعِ صدره
... .. من سرعة الشاكي وبطء الشاكر
... .. بغضاً لمعتقدٍ ولا لمكابِر

* * *

علمي به علم المطالع زاده علمٌ على بعدٍ وعلم معاشر
كم مرَّ من يوم ضحكٍ بيننا أو مر من يوم عبوسٍ كاشر
خضنا الحياة معاً على علاتها متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معاً في حلبة عزَّت على غير الطمر الضامر
ذكراهُ والأيامُ عابرةٌ بنا نعم العتادُ لذاكرٍ ولعابِر

شهيد الوطن

أحمد ماهر

لم أصدِّقُ وقد رأيتُ بعيني
«ماهرٌ» في الندى يُجنى عليه
وأشبهُ الصدقِ بالأباطيل هذا
وسمعتُ الطَّلُقَ المريبَ بأذني
ويدُّ قيل من بني مصر تجني؟
ويكُ أمسِكُ جاوزت غاية ظني

* * *

لم أصدِّقُ وما لحيِّ دواؤُ
غير أن الكيد الذي كاده الجا
أيُّ رأس رمي وأي فؤادٍ
أفَيْرُمَى بِالْمَوْتِ أوسعُ صدر
أفَيْرُمَى بِالْمَوْتِ قلبٌ يحوطُ النا
أفَيْرُمَى بِالْمَوْتِ رأسٌ تولَّى
يُعْمَلُ الرَّأْيُ للبلاد وَيَلْقَى
يا ضلالَ الجدود في هذه الد
أمنتُ تلكمُ المقاتل لو يَأ
لو تردُّ النياتُ غرب سلاح

والمنايا تطوف في كل ركن
ني له الويل لا يطيف بذهن
نال منه وأي صدرٍ وحضن؟
لبني قومه وأمنع حصن؟
س حبًّا ولا يحيط بضغن؟
مجد مصرٍ برأيه المطمئن
معول الموت هادماً وهو بيني؟
نيا ويا سؤاَةً لذاك التجني!
منُ في الناس كلُّ صاحب أمن
ردَّ عنه السلاح ألفُ مجن

* * *

لم أصدِّقُ وقد رأيتُ بعيني
حزنت غير أنها ليس تدري
أعمق الصمت صمتها وهي حيرى
ترقبُ النعشَ قادماً يتأنى
أوجعُ الشكُّ شكُّ ساعة هولٍ
المسجى يا أيُّها الجمعُ هذا
إنه «أحمد» الذي كان فينا

أمَّةَ النيلِ في حدادٍ وحزن
ألقيا تجمَّعتُ أم لدفنٍ
بين صدق الأسى وهم التمني
وتمنَّت لو طال ذاك التأنى
في يقين يُدمي العيونَ ويضني
أفتدري منُ ذا يكون أجبني؟
مُنذُ يومِ رضوانٍ كلُّ مهني

من يصدق هذا يصدق عظيمًا من بلاء الدنيا يشيب ويفني

* * *

لم أصدّق والأربعون أمامي كم تمثّلته وأحسب أنني مقبلاً ضاحك الأسارير سمحاً فُجِعْتُ مصر فيه بالقائد الأسـ بالزعيم الأمين في كل رأيٍ والحسيب الموفى لكل حسابٍ والذي فارق المناصب جهراً والذي أنفق الشباب جهاداً والذي أجزل العطاء لمصرٍ والذي لا يسيء يوماً ويعفو والذي كان في «الندي» إماماً عز فينا دستور مصر بشرح لن يقول الصديق فيه مقالاً

كُلُّ ساعاتهن ساعة بين إن أحقق رأيته نصب عيني ثابت الجأش لا يُلِمُّ بوهن سبق والأوحد الذي لا يثنّي والوزير القدير في كل فن والخطيب الذي يقول ويعني بصريح من رأيه لا يكتفي في خطرٍ على الحياة وسجن هبةً منه لا تشابُ بضنٍّ عن مسيء إليه في غير من وَسَطَ العدل حين يُقْصِي ويُدني من هُداةٍ لا يستعاض بمتن يتأباه خصمه حين يُثني

الأستاذ الأكبر

مَنْ مثلاً نابغة النواذب مصطفى رجّاه والدّه الكريم لغاية ربّاه حبراً للديانة فاستوى ونماه في حجر العبادة مسلماً وأعدّه للعلم فاستوفى به وغذاه بالتبليان فانقادت له وهده للإحسان فهو وليه ورجاه للعلّماء فاستبق الخطى

في سابق من مجده أو لاحق حُسنى فوقأها وفاءً الواثق في نخبة الأبحار أسبق سابق فهدى الحجاج وحج كل منافق حطّ العليم الفيلسوف الحاذق غررُ اليراع بكل معنى شائق لمعاهد الإحسان غير مفارق سبق الكرام إلى المقام السامق

لا وانياً عنها ولا متعجلاً
وكأنه وعد الأمين وفى به
لو لم يكن قدراً قضاه لما قضى
إن المطالع لا يقرُّ قرارها
فيها تَعَجَّلَ مشفق من عائق
فطوى صحيفته كلمح البارق
كالنجم يرجع غادياً من شارق
بعد التمام ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخذاً من كل شيء صفوه
حتى الخمول بلغت غاية حظه
لم ألق قبلك من نبيه آمن
تلك المدامع ما امتزجن بدمعة
ولتلك من رضوان ربك آية
فادخل حظيرته بخير خلائق
ما الموتُ يا كشاف كل حقيقة
بوركت من ذي معجزات خارق
عجبا، وأنت من العلا في حالق
من شره الباغي وغيط الحانق
من كاذب في حزنه أو ما ذق
تَخَذَتْ من الإجماع أصدق ناطق
مرضيةً منه وخير علائق
إلا حقائق حُجِّبَتْ بحقائق

السيدة هدى

ربة البر والندى
لغدٍ كان سعيها
كل ما قدمت من الـ
ينطوي الدهر ما انطوى
هي ملء الضمير منـ
كنت في الشرق يا هدى
أين في المجد والعلا
غاية طاولت سما
إن علا محتدّ علو
أو علا سؤدد العوا
أو حدا الركب بالعزا
لم يَضِعْ سعيها سدى
وسيبقى لها غدا
خير باقٍ على المدى
منه صوتٌ ولا صدى
كم مغيباً ومشهدا
مثلاً كان أوحدا
أين في الجد والجدى؟
عك مرقي ومصعدا
ت إلى الأوج محتدا
رف بوركت سؤودا
ثم جاوزت من حدا

شرفٌ كلُّ عنصريه ه على المجد أسعدا
تم موروثه العريه ق بما قد تجدا
ذاك أو ذا كلاهما حسب من شاء مفردا

إنَّ من تذكرونها نكرها غالب الردي
قدوة الفضل للعقا ثل في كل منتدي
ولها السبق كلما حسن السبق موردا
سفرت والحجاب كاللي ل غيمان أسودا
والتقت باسم مصر والن يل جيشا مجندا
وأعانت على الزما ن مريضا ومجهدا
وضعيقا من اليتا مي وطفلا مشردا
وحمي عطفها فرا نس من ضل واعتدي
ورعت ناشئا عن ال علم والأهل مبعدا
وأجازت على البيا ن فأسدت له يدا
إن بكوا كلهم لنع يك لا غرو يا هدى
كلهم يفتديك لو يدفع الموت بالفدى
لا صديق ولا عدا ليس في الحق ما عدا
أمم الشرق كلُّها حمدت منك محمدا
توج التاج نكريا تك والشعب ردا
آية الله يا هدى ولك الخلد سرمدا

محب السلام

... ..
عزاء الزمالة في رزئه لقد كان نعم الزميل الهمام
حفي اللقاء، وفي الإخا عفيف اليراع عفيف الكلام

صبورًا على هفوات الطبّا
 حليمًا إذا طاش لبُّ الحليدِ
 ترى حوله الناسَ شَتَّى العقو
 فتحسبه عاملاً وحده
 كأن له خاطري مهجة
 طرائفه في ثنايا الحديدِ
 وأمثاله من عيون البيا
 وأراؤه حين تطغى الخطو
 وأقدرُ خلق على أن يُذبي
 فَمَا صِينَ سِرٌّ كَمَا صَانَهُ
 وأكثر ما استودعته النفو
 ع يغضي عن السيئات الجسام
 م رضىً إذا لجَّ داعي الخصام
 لِ شَتَّى المذاهبِ شَتَّى المرام
 وتحسبه قائلًا في الزحام
 لهذا مقامٌ وهذا مقام
 ث تنسي النديم كئوس المدام
 ن جواهر منثورة في نظام
 بُ معالم هادية في الظلام
 ح قد كان أقدرهم في اكتتام
 وَإِنْ عَزَّ فِي السَّرِّ رَاعِي الذَّمِّ
 سُ أودعه اليوم جوف الرِّغَامِ

* * *

مناقبُ أنطون لا تنقضي
 أحبُّ السلام ونادى به
 ولا يختم القول فيها ختام
 عليه مدى الدهر أزكى سلام

الشهيد الأمين

محمود فهمي النقراشي

أسفي أن يكون جهد رثائي
 ما رثاء الحزين غير تعلًا
 ليتني أحرص الفناء لساني
 ما وفاء بذل الدموع من الحز
 كلمٌ عابرٌ ورجع بكاء
 وما النوح غير نفث هواء
 قبل يومٍ أشقى له من فنائي
 ن على من وفى ببذل الدماء

* * *

إنَّ حزني على هذه الأنفـ
 نكستَ بينها الموازينُ نكسًا
 س ضللتَ فينا سبيل السواء
 واستحالت معالم الأشياء

كم رأينا غدرًا ولا من عُدَاةٍ وشهدنا حربًا ولا من عداة
ظلماتٌ تقودها خبطُ عشوا ءَ وويلٌ لخابطِ العشواء

* * *

أَتَصُمُّ الْأَذَانُ عَنْ صَادِقِ النَّصِ حِجِّ وَتَصْغِي طَوْعًا لِكُلِّ افْتِرَاءِ؟
أَمَةٌ فِي الشَّقَاءِ مِنْ مَعْتَدٍ فِيهِ هَا عَلَيْهَا وَمِنْ صَرِيحِ اعْتِدَاءِ
أَعْجَزُ الْعَاجِزِينَ يَقْوَى عَلَى إِيْذَا نَهَا غَايَةً مِنَ الْإِيْذَاءِ
وَالْقَدِيرُونَ يَشْتَكُونَ مِنَ الْعَجْ زِ إِذَا مَهَّدُوا لَهَا بِالْدَوَاءِ
كَيْفَ كَيْفَ النِّجَاءِ مِنْ هَذِهِ الْمَحْذِ ةِ بَلْ أَيْنَ أَيْنَ حَقُّ النِّجَاءِ؟

* * *

إِنْ حَزَنِي حَزُنٌ عَلَى هَذِهِ الْأَمِّ ةِ رَفَقًا بِهَا إِلَهَ السَّمَاءِ
قُلِّبْتُ آيَةَ الْحَقَائِقِ فِيهَا وَقَضَى سَفْلَهَا عَلَى الْعِظْمَاءِ
غِيلَةَ الْمَوْتِ لِلْغِيُورِ عَلَيْهَا وَقِضَاءِ الْحَيَاةِ لِلْجُهْلَاءِ
وَقِضَاءِ الْجَهْلِ أَوْخَمُ عَقْبِي مِنْ قِضَاءِ الْبَهِيمَةِ الْعِجْمَاءِ
فَتَنَةٌ تَعْمَهُ الْبِصَائِرُ فِيهَا وَتَضَلُّ الْعُقُولُ فِي تِيْهَاءِ
إِنْ أَبِينَا الْبِقَاءَ حَقًّا لِمَحْمُو دِ، فَمَنْ ذَا يَرْجَى لَطُولَ الْبِقَاءِ؟

* * *

نَبِئُونِي فَإِنِّي أَنَا وَاللَّ هِ عِرَانِي عِيٌّ عَنِ الْإِنْبَاءِ
أَيُّ سَهْمٍ تَرْمِي بِهِ يَدُ مِصْرٍ يُّ فِيهِ مَوْقَعًا لِرِمَاءِ
أَيُّ تِلْكَ الْخِصَالِ مَرْمَى اغْتِيَالٍ لِبْنِي مِصْرٍ بِلْ بِنِي حِوَاءِ
أَيُّغَالُ الْحِنَانُ فِيهِ حِنَانًا كَادَ يَحْصِي بِهِ مَعَ الضَّعْفَاءِ؟
أَمْ يُغَالُ الْحِفَافُ فِيهِ حِفَافًا يَتَحَدَى جِحَافِلَ الْأَقْوِيَاءِ؟
أَمْ يُغَالُ الْعِفَافُ أَصْدَقُ مَا كَا نَ عِفَافًا فِي مَسْتَسْرِ الْخِفَاءِ؟
أَمْ يُغَالُ الْإِنْصَافُ يَحْمِي عُدَاهُ حِينَ يَقْضِي مِنَ صَفْوَةِ الْأَصْفِيَاءِ؟
أَمْ يُغَالُ الذِّكَاةُ يَخْتَرِقُ الْحِجْ بِ، بِنُورٍ يَهْدِي كِنُوزَ نِكَاةِ؟
أَمْ يُغَالُ الزُّهْدُ الَّذِي حَارَ فِيهِ كَلْ مَغْرٍ مِنْ سَطْوَةِ وَثْرَاءِ؟

أَمْ تُغَالُ الخلائقُ الزُّهُرُ كادت
أَمْ يُغَالُ الصبرُ الطويلُ على الجهد
أَمْ يُغَالُ الجهادُ في حب مصر
إن محمودًا الذي فقدته
تترقَّى إلى ذرى الأنبياء؟
سد بلا منةٍ ولا إعياء؟
ويح مصر من تلکم النكراء؟
واحدٌ لا يقاس بالنظرَاء

يا أبا هاني وأعزز بأني
أنعزيه في مصابك لهفا
ومصاب الشعوب في الحق أقسى
خطبُ مصرٍ يسامحُ اللهُ مصرًا
عقها في اسمها وما تعرفُ الأقوا
يَرَحِمُ اللهُ مِصْرَ من فتنةٍ تط
يَرَحِمُ اللهُ مِصْرَ إنك يا محمو
لا يضيئُ الإلهُ قومًا بذنبٍ
لا أرى هانئًا ربيب هناء
ن ونحن الأحرى بطول العزاء
من مصاب الأبناء في الآباء
عقها في جدودها القدماء
مُ نخرًا أغلى من الأسماء
غى بجهالها على الحكماء
د في رحمة مع الشهداء
أنت فيه لهم من الشفعاء

فقيد اللغة والأدب

علي الجارم

... ..
لست أوفيه وصفه إنَّ وصفًا
علمُ في الديار صنَّاجة في الحف
وسراجُ في مفرق الرأي هادٍ
وزميلُ سمح الزمالة برُّ
ذلك الشاعر الذي ثكلته
لم تزل تسمع المراثي حتى
تتنزى على زعيم أمينٍ
لعلِّي يُغني غناء السمي
ل ركنُ في المجمع اللغوي
وجمال وبهجة في الندي
وأخ بالإخاء جد حفي
مصر في يوم ماتمٍ وطني
سمعت في الرثاء صوت نعي
وأديبٍ جزل البيان سري

* * *

لست أوفيه حقه إنه حـ وارث الأصمعي في لغة «الضا
وارث الأديب الذي له فطنة المصـ والمربي الذي تعهد جيلًا
وأخو النشاطين شرقًا وغربًا كم شهدناه في شواهد نصّ
وسطًا غير ممعن في وقوفٍ قائلًا ناقلًا سميعًا مجيبًا
ق بيان عن البيان غني د» وفي الشعر وارث البحترى
ي زانت سليقة البدوي عهد علم منه وعهد رقي
من قديم باق ومن عصري ورأيناه في معارض رأي
عند ماضٍ أو ممعن في مضي حسن تبيانہ كحسن الصغي

ذكري إبراهيم

أقيموا الوزن أو ميلوا فتي ميزانه بالقسـ له في كل تاريخٍ
فما (ابراهيم) مجهول ط عند الله مكفول من المجد أكاليل

* * *

سلوا الأوطان ينبئكم يحيي ناصر المصـ وأول رافع صوتًا
بما يعلمه النيل ي والمصري مخذول وسيف الحرب مسلول
على كل فم غول وللمحتل في مصرٍ له في برها جيش
وفي البحر أساطيل وفي الدنيا أباطيل إذا لم ينعه الأحياء
نعاه في العزيز ية مدفونٌ ومجدول ريخ لا يشبهه جيل
ريخ لا يشبهه جيل

* * *

سلوا الآداب ينبتكم به الصداحة القول
يردد ذكره في الشعـ ر تسبيح وترتيل
ويهتف باسمه في القو ل مطبوع ومنقول
ويحمد فضله في العز ب منسوب ومدخول
فلا الماضي بمنسي ولا الحاضر معزول
وراعي الشعر لا ينسا ه مرعى منه مطلول

* * *

سلوا الإحسان والإحسا نُ طبع فيه مجبول
وأقرب شأوه في الجو د مشروب ومأكول
وأيسر جوده بإد لمرأى العين مستؤل
وكم أعطى ولم يسأل وبعض السؤل ممطول
وبعض الناس قد يمحو نداء القال والقليل

* * *

سلوا الأحساب لا عز يدانيها ولا طول
وللاساد والأشبا ل من أعلامها غيل
ذووه من بني مصر هم الغر البهاليل
ومن أحسابه كسب بمسعاه وتحصيل
برأي زانه في القصـ د إجمالاً وتفصيل
وصبر راض دنياه وراضته العراقيل
سلوا سيرته الحفلى وللسيرة تسجيل
سلوا (الشلال) والمجرى من القطرين مفضول
لتم القرب لولا قا عد بالشرق مشلول

* * *

خِصَالٌ كُلُّهَا نُبِلُ
وَذَكَرَى كُلُّهَا حَمْدُ
فَقَدِنَاهُ وَنَادَى الرَّأْيَ
فَلَا يَبْعُدُ بِهِ الْمَثْوَى
لَهُ مِنْ بَرِّهِ أَنْسُ
وَمِنْ سِيرَتِهِ الْفِيحَا
لَهُ فِي مَنْزِلِ الرَّضْوَا
وَأَجْرٌ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ
وَأَفْضَالٌ وَتَفْضِيلُ
وَتَشْرِيفٌ وَتَبْجِيلُ
ي فِي الْقَطْرَيْنِ مَأْهُولُ
وَمَثْوَى الْخَيْرِ مَأْهُولُ
وَشَمْلٌ ثُمَّ مَشْمُولُ
ء تَرْوِيحٌ وَتَظْلِيلُ
ن تَسْلِيمٌ وَتَنْزِيلُ
عِنْدَ اللَّهِ مَقْبُولُ

شيخ الشيوخ

لا أحسب العام في أسوان يسعدني
هناك في الركن من مشتاه معتصماً
تباعدت شقة الدارين وامتنعت
«حسبُ الصديقين بُعدُ الأرض بينهما»
وا طولَ شوقي إلى يوم يقربني
يوماً بلقياه في قومي وفي سكني
على سجيته من غمرة المحن
على المطايا وأعيت حيلة السفن
على مدى راحةٍ من ظهرها الخشن
من راحة البال أو من راحة البدن

تلك المعاهد لا تنسى معمَّرها
يحجُّ سعياً إليها في أماكنها
منازل الوحي ما زالت مثابته
لم ينقطع قطُّ ماضيه وحاضره
قرباً من العهد أو قرباً من الدَّمنِ
أو ساعياً ممعناً في ساحة الزمن
في الطيبتين وفيما طاب من ظعن
ولا ونى عن فراغٍ بالنفوس يني

يا هيكل الحق كم أحييتَ من أثرٍ
ذكراك يا باعث الذكرى مخلدة
حقٌّ على ذمم التاريخ تحفظه
وكم نشرت وكم أبقيت من سنن
تبقى مع الذكريات الغر في قرن
لحافظ ذمم التاريخ مُؤْتَمَنِ

أحييت سيرة من يحيون منصفهم
هم الكرام وقد أحسنت مدحتهم
عش في صحابتهم من معشرٍ شرعوا
من كل عالٍ بتشديد العلامن
مكرّموك بحمد منهمُ حسن
للناس شرع وفاء السر والعلن

يا هيكل الفن كما أبدعت من صورٍ
وكم لمصر بما أرسلتها قصصًا
من القرى فيه ألوانٌ مشخصةٌ
من يلقها يلق تاريخًا لحاضرنا
يكاد يعجب رائيها على كثب
تلك التماثيل من خلق الحياة كما
وكم رفعت وكم نكّست من وثن
من متحفٍ عامر بالأهلين غني
كما عهدنا وألوانٌ من المدن
وحبّذا حاضر التاريخ للوطن
إني أراها فسلهما كيف لم ترني
يوحي بها وحي باريها إلى الفطن

يا هيكل البيعة العليا بعقوتها
قامت على بحرهما اللجّيّ تحسبها
تهب من فوقها هوج الرياح ولا
وأنت والسادنوها الصّيد في نفرٍ
تهزُّ كرسيّ فاروق وأنت ترى
تركتموه معرّي في مباله
يختال في طيلسان الظلم مزدهيًا
وما تعثر في عقبى مساوئه
ويا لها بيعة مهضومة الثمن
جسرًا على شاطئيه غير متزن
تقر في جوفها الأمواج كالقنن
حاروا بها بين مغلوبٍ ومضطغن
كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
كأنه جيفة في قبرها العفن
وإنما اختال قبل الموت في كفن
إلا ليوم له في الغيب مرتهن

يا هيكل الصحب كم ضمّت شمائله
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم
حاربت في الرأي أقوامًا على ثقة
ما كنت مختبرًا للسخط تضمره
وإنما الودّ طبع فيك ليس به
شمل الأقارب في الآراء والمهن
غداة فارقتهم في لوعة الحزن
وحاربوك وما بتم على دخن
إلا كخبرة فنان به طبن
سمت من الفن أو كبت على وهن

لك المآثر يبكيها ويحمرها
 قومٌ بماضيهمُ في الشرق قد حفلوا
 عش في صحابتهم من معشرٍ ورثوا
 من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمراً
 أنت الغني عن الذكرى وما غنيت
 لأنت من جنة العرفان في سعة
 من يحمد الفضل موفوراً بلا غبن
 والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
 عرفاً لهم من رعاه قط لم يخن
 كأنه في حساب القوم لم يكن
 جماعةً قط عن ذكرى ذوي المنن
 وأنت من جنة الرضوان في عدن

ذكرى حافظ

ارفعوا ذكره علياً مبينا
 حافظٌ في ثراه لم يفتقدنا
 من مضى في غنى عن الحيِّ والـ
 وإذا الحمد فات نابغ قوم
 إنما الذكر رفعة الذاكرينا
 وافتقدناه نحن حيناً فحيناً
 سي عن الذاهبين لا يغنيننا
 فهو موت الباقيين لا الذاهبينا

يا حميد المقال مدحاً وقدحاً
 خذ من الحمد بعض حقك منا
 طالما رددت جوانب مصر
 هاتفا بالرجاء يوماً ويوماً
 تعجب القوم أريحياً طروباً
 ما توانيت عن مقام وفاء
 وإذا ما اعتراك بالوهن خطب
 وإذا قام للضمائر سوق
 رب قوم تنقصوك مرأً
 خير أبطالنا الذين تخير
 الإمام «ابن عبده» من بني جـ
 لا تدانيهما بدعواك لكن
 ونقي الصحاف بيضاً وجونا
 لم تكن قط بالحقوق ضنينا
 صيحة منك تملأ العالمينا
 هاتفا بالعزاء تأسو العيوننا
 وتواسيهم شجياً حزيننا
 أو تواريت بالوفاء خئونا
 لم تكن فيه خانعاً أو مهينا
 لم تكن من تجارها النافقيننا
 ربحوا وانثنت أنت غبيننا
 ت من الأولين والتابعيننا
 لك وابن الخطاب في الأقدمينا
 باعتراف القصور دنيا وديننا

أنت أتقى ممن يجاهر بالتقـ
رُبَّ جمع تفيهق الغرُّ فيه
كُلما قال قولةً في رسول
احسبوني مع العجائز دينًا
رحم الله منك قلبًا سليمًا
سوى ويأبى في السر إلا مجونا
وتحدى بالظن منك اليقيننا
صحت يا رب أخزِ هذا اللعينا
ليس هذا الجدل إلا فتونا
وضميرًا برًا وروحًا أمينًا

* * *

نَمَّ قريراً صناجة العربِ الصيدِ
كُلما جدوا لذكراك عهدًا
حافظًا أنت كنت للضاد لما
أين في المنكرين مَنْ ليس يروي
ودليلاً على غناها إذا ما
بين شعرٍ له رنيئٌ ونثر
لم تكن حصتي من الحفل نظمًا
غير أن المزارَ شطً بحادٍ
وعجيبٌ إذ يشهد الفن ذك
وجميل إن صح عذرٌ لدينا
فخذ اليوم حق نفسك حمداً
وقليلٌ وفاء قومك يوماً
سد وعُد فيهم لسانًا مبينا
عاد عهد الفصحى جديداً مصونا
عقها أهلها وظنوا الظنونا
لك قولاً جزلاً ونسجاً متينا
سامها الفقر معشرٌ مفلسونا
يشبه الشعر في السماع رنينا
لا ولا قلته بوعدٍ مدينا
ودَّ لو كان حاضر الصوت فينا
راك من الشعر وحده أن يبينا
أن ترانا لديك معتذرينا
أنت بالحمد ما برحت قمينا
لامرئٍ دان بالوفاء سنيننا

أهرام الورق، وأهرام الحجر

خبر السباق للخبر
شغل السمار عن سمر
فاجئ كالعهد وا أسفا
صادق كالعهد وا أسفا
قليل في الأهرام مرثية
عض من أخبارنا الأخر
وطوى الآفاق في البكر
لم يكن يوماً بمنتظر
ليته من كاذب السير
قلت حق من فم القدر

قيل «جبرائيل» طاف به يومه في ضحوة العمر
صفحةً بيضاء تعلنها صفحةً سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت عبرةً من صادق العبر

* * *

إن بكاه الشرق لا عجبُ بعض ما أولاه من عُزْرِ
سار بالشرق الوئيد على خطو «أوروبا» ولم يَجْرِ
نحن إلا في صحافتنا دونهم في الخبر والخبر
فإذا عُدَّت صحافتنا لم ننكس رأس معتذر

* * *

رفع الأهرام فارتفعت في مدار الأنجم الزهر
لو غلبنا مثلما غلبوا نازعتهم كل منتشر
ولسارت في مغاربهم كمسير الشمس والقمر

* * *

رافعُ الأهرام من ورقٍ نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها في الثبات وإن سار بين البدو والحضر
كل يومٍ في الصباح له ظَفَرُ ناهيك من ظفر
في ركاب الشمس يشبهها في جلاء الشك والحير
يجمع الدنيا ويبسطها بين مد السمع والبصر
أممٌ شتى تحدثنا بلسان العرب من مضر
كلُّ قطرٍ فهو نائبه زائرًا أم حيث لم يزر
هو داعيه وكاتبه وملبيه على الأثر
سابق تلقاه منطلقًا في عنان الطول والقصر
تحسب القرطاس مختصرًا في يديه غير مختصر
فإذا امتدت صحائفه لم تدع شيئًا ولم تذر

* * *

تأبين

يا شريك العالمين له
فُسَمَاءُ الرَّأْيِ مَا اقْتَسَمُوا
أنت في الأعباء أكبرهم
من رآكم راح يسأل عن
تجزل الحسنى لمحسنهم
حزنهم والخطب يغلبهم
حجةً بيضاء أبلغ من
غير مبخوسين من صغر
باختيار منك في ضرر
ولهم ما شئت من كبر
أمر منكم ومؤتمر
وتسجّي طرف مغتفر
بين مرتاعٍ ومصطبر
مبلغ في القول مقتدر

* * *

وحي جبرائيل متّصلُ
ليس ينأى في السماء ولا
خلفاءُ منك مَنْ حملوا
خلفاءُ منك كلُّ فتى
وتوسّم في «بشارة» ما
إن هذي الغاب منجبةٌ
سوف تحيا باقي الأثر
بين حلّ منه أو سفر
في مدى الأحلام والفكر
عنك عبء السعي والسهر
قارئ من هذه الزمر
شئت من نخر لمدّخر
عَنَيْتِ بِالْأُسْدِ وَالشَّجَرِ
خالد الأعقاب والذُّكْر

رثاء وعزاء

رثاء طفلة

زهرةٌ كان وجهُها نور قلبي وناظري
حملتها يد الردى حملَ مَنْ لم يحاذر
فتوارت ولم يزل عَرَفُها ملءَ خاطري

* * *

يا ضياءَ تضمنتِ ه بطون الدياجر
قد أجنوك في الثرى يا جنين الضمائر
فالزمي الرمسَ حين لا حلم في عين باصر
فإذا أقبلَ الدُّجى وغفا كلُّ ساهر
فاطرقينا مع الكرى حلمًا غير نافر
وصلني عيشك الذي كان أحلام سادر
وامرحي في صدورنا واضحكي في السرائر
ثم عودي إذا الصبا ح تجلّى فباكري
إنَّ صعبًا على الصغا ر احتباس المقابر

عزاء الأستاذ وجدي في والده

أمولاي رزوك لا يُجهلُ
ومن كان يعلم كُنهُ الحيا
إذا كان كل امرئٍ راحلاً
وأدنى مصاب الفتى للعزا
وصبرك في الرزء لا يخذلُ
ة فالصبر من مثله أجملُ
فأفضلنا الراحل الأولُ
ء مصابٌ بكل امرئٍ ينزلُ

عزاء المازني

يا صديقي وما علمتُك إلا
إن تكن قد رزئت بنتاً فممًا
لا تبت أسفًا عليها وهبها
ربما عوفيت وأنت عليمٌ
راضياً بالأسى رضاء الجليد
قد تعوّضت من بنات الخلود
وردةً والربيع عمر الورد
من حياةٍ تودي بكل وليد

رثاء أخ

... ..
يا راحلاً صدع الحمام شبابه
إني لأحسبني أراك مجاهدًا
وأراك ترمقني وقد غلب الردى
في ساعةٍ ما كان أغفلَ خاطري
أمسيت رسمًا في التراب معطلًا
ويحي أترقد تحت أطباق الثرى
أتبيت رهن صفائحٍ وجنادلٍ
لو أنصفت أيامنا لبكيتني
... ..
فعلمت كيف تصدُع الأكباد
والنيل حولك دائم الإزباد
وأقام جند الموت بالمرصاد
عمًا عراك وفَتَّ في الأعضاء
وغدوت نصب روائح وغوادي
وأقيم بعدك هانئًا برقاد؟
وأبيت بين وسائدٍ ومهاد؟
لكنّها تجري بغير مرادي

... ..
 فذوت وأورق شوكتها بفؤادي
 سرّ الحياة كثيرة الأضداد
 فلقد عداك شقاؤها المتمادى

يا زهرةً شرقت بما تحيا به
 إنّ الحياة وما حييت لكي ترى
 فلئن عدوت من الحياة نعيمها

على قبر أخ

قصفته المنون قبل أوانه
 عاطرٍ ناضرٍ على أغصانه
 يبّ كسيرٍ يذوب في أشجانه
 سر وثوب العروس من أكفانه
 كلُّ حي موكلٌ بزمانه

أيها القبر فيك غصنٌ رطيب
 مثل ما تعبت السموم بزهر
 بنتٌ يا مصطفى وما بنتٌ عن قل
 كان أحرى بك الديار من القب
 سوف ألقاك في الثرى عن قريب

إلى الصديق الراحل

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعي» يوم وفاته.

ينتهي عندها مدى جثمانه
 وهو طاوي الطروس في تبيان
 مسمح النفس في الردى قبل أنه
 من صراع الحياة لهو رهانه
 من جنى دهره ومن إنسانه
 ضاحكًا من كرامه وهجانه
 رُّ فأودى بقلبه في افتتانه
 كان حيناً أقصى منى أقرانه
 بعض حزن الصحاب يوم احتجانه
 ي سليم الفؤاد في إعلانه

غايةً الحي ساعة من زمانه
 طويت صفحة السباعي فينا
 مسمح النفس في الحياة تولّى
 لم يطامن لصرعة الموت رأساً
 ذاقها صابراً وساغ مريراً
 وتأسى ومثله من تأسى
 فتنته غواية الأدب الح
 وثنى راحتيه عن خفض عيش
 ما أراه على الحياة حزيناً
 يا سليم الفؤاد في باطن الرأ

مرض الدهر فامض عنه معافئ
من أكاذيبه ومن أدرانه
أنت خدن الكتاب والموت سفرٌ
صدقه ظاهرٌ على عنوانه

على قبر حافظٍ يوم وفاته

أبكاءٌ وحافظٌ في مكان
كنت أنسًا فكيف أمسيت يا حا
كنت تتلو الرثاء مَعْنَى فَمَعْنَى
كنت أعلى الجموع صوتًا فهلا
وعزيبٌ على بلادك أن تذ
يومَ أُطَلِّقَتَ من أساركَ حرًّا
يوم أرسلتها على ظالمي الأو
ألهم الله مصر فيك عزاءً
كلنا صائرٌ كما صرت يومًا

تلك إحدى طوارق الحدثان؟
فظُ تدمي لذكرك العينان؟
كيف أمسيت بعض تلك المعاني؟!
نطق الآن صوت ذاك البيان؟
هب يوم انبريت للميدان
وأبيتَ الإسارَ للأوطان
طان طعانةً كَحَدِّ السنان
لا بل العُربَ في شفيح «اللسان»
والذي قد صنعتَ ليس بفانٍ

نصيب الحي والميت

يا صديقي لنا البكاء
عندنا النور والعناء
ليس يأسى أخو فناء
ولك الموت والسلام
عندك النوم والظلام!
بل أخٌ بعده أقام

* * *

أتبع الصَّحْبَ في القبور
أنا لو دام لي الشعور
عالمٌ كله غرور
ببكائي وما اهتديت
بعد موتي لما بكيت
عشت ما عشت أو قضيت
تستوي النفس والصفة
هالكٌ كل ما يكون

فلمن تحصد المنون ولمن تزرع الحياة؟
بدأت حكمة الجنون وانتهت حكمة الهداة

الأستاذ غانم

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضت عليه رحمه الله وهو في عنفوان أيامه، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعاتٍ.)

وهنأته بالعيد والعيدُ يسخر!
يرجؤون طول العمر والعمر مدبر
وقد رُوعوا في وكرهم حين بُشّروا
صياح يتامى في الحمى تتفطر؟
فيا هول ما نصغي إليه وننظر
لو أنّ نذيرًا بالمساكين يعبر
قليل التعزي سافرُ الحزن مضمّر
ومثلك من يبكي ويُرثى ويذكر
ومن أين والأخلاق في الناس تندر
أخًا في وغي الأيام لا يتقهقر
عليه إذا عز الوفاء لأقدر
كريمًا إذا خان الصحاب وقصروا
على الضر من ظلم الصديق لأصبر
مدبر أمرٍ أو أساء مقدر
صفيين لم يفرقهما ما يكدر
فليتك من يسهو ومن يتأخر
وحمد المعالي والثناء المعطر
صنيعٌ على الأيام يُروى ويشكرُ

أكان وداعًا يوم صافحتُ غانمًا
فيا ويح للداعين في غفلة المنى
ويا ويح للأبناء يا خير والدٍ
أذاك صباحُ العيد أم أنا سامعُ
تلاحق في تلك الثغور كلاهما
وددتُ وقد ضنّ البشير بصدقه
أغانمُ إنني في مصابك زاهلُ
بذلت دموعي في بكاك رخيصةً
أفي كل يوم تبصر العين غانمًا
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه
وفيا إذا شاع الوفاء وإنه
كريمًا إذا صال العداة وزمجروا
صبورًا على ضر الغريم وإنه
ضليعًا بأعباء الأمور إذا وني
أخوك «أمين» فرّق العام منكما
على موعد العام القصير التقيتما
سلام الخصال الصالحات عليكما
ولا زال في دار المعارف منكما

رفيقُ الصبا

وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وأذن فيك الحزن أن يتغلبا
وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا؟
ونطلب في كل الأحاديث مطلبا
على الأرض إلا كي يقول ويخطبا
وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
فأقرب منها أن أصافح كوكبا
وجدتُك رسمًا في التراب مغيبًا
وأذريت دمعا عند قبرك صيبا

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبأ
وأذن فيك الصبر أن لا يعينني
أللقاك عند النيل إن عدت في قنا
ونستنشد الأشعار في كل ليلةٍ
ونحسب أن الله لم يخلق امرءًا
ونحصي على الدهر البريء ذنوبه
أللقاك بل هيهات قد حالتِ المنى
إذا عدت أستحيي الشبابين في قنا
وساءلت عنك الصحب أين مزارُهُ

* * *

إلينا وقد كان التعجبُ أعجبا
وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
كما طوتِ الأسقامُ شيخًا معدبًا؟
وربَّ فتى في الردى فات أشيبا
على عصويه من عياءٍ ومَن حبا
وفاجأني الناعي فأجفلتُ مُكذبا
ولم يك إلا كاذب الظن مغربا

عجيبٌ لعمري موتٌ كلُّ محببٍ
حسينٌ عرفتُ الموت فيك غريبةً
أمن هو في ذكرى فتى العمر ينطوي
نعم ينطوي الشبان والشيب في الردى
وسيان في عقبى الطريقين من مشى
عهدتُك في شرخ الصبي ناضر الصبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره

* * *

فما يخطئ الباكي سجاياه مطنبا
وكان أمين السر والجهر طيبا
ولا يذكر الإخوان إلا تحببًا
وإن قصّر المسعى بديناه أو نبا
تحرَّج منها مُعرضًا وتحوُّبا
ولا صلفٍ منه إذا صدَّ أو صبا

رفاق حسينٍ أبَّنوه وأطنبوا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى
وكان على كنز القناعة آمنًا
إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفسُ
وكان عزيز النفس في غير جفوةٍ

رثاء وعزاء

وكان سميرًا يملك السمع كلما
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرةً
أليفاً وفياً لا يفارق صاحباً
أحبب قناً واستعذب العيش في قناً
لئن ذكر الوافون عهداً ولأته
تبسّط في أسماره وتشعباً
ويؤثر في الآداب من كان معرباً
ولا منزلاً إلا انثنى فتقرباً
فلم يُغْرِه عيشٌ وإن كان أعذباً
لما ذكروا إلا الوفي المهدباً

رفاق حسينٍ أسهبوا فيه واذكروا
على كذب منه اجتمعتم فليت لي
كأنني وقد فارقتُه قبل يومه
رفيقاً له يعتاده الحزن مسهباً
مكاناً من الجمع القنائي مكثباً
سمعتُ له نعيينِ يومٍ تغيباً

إذا ما رثى المحزونُ إلفَ شبابه
وودع من عهديه في العمر قبلةً
إذا جازها أودى بمختار عيشه
أليف الصبا لا تشكُّ في الموت وحشةً
تعاقبت الأجيالُ تحت لوائه
وما الزمنُ المحضورُ إلا بقيةً
عليك سلامُ الله حتى يظللنا
رثى قلبه شطراً من القلب مخصباً
أخفَّ على الروادِ زاداً وأرحباً
ولم يبقَ إلا ما اتقى وتهيباً
فما زال ركبُ الموتِ أحفل موكباً
وإن بعدوا داراً وعهداً ومأرباً
من الزمن الماضي تلاقى لتذهباً
سلامٌ أظللُ الناسَ شرقاً ومغرباً

نعي حافظ

كلُّ خطبٍ دار في خلدي
نعي من قد كنت أحسبه
حافظٌ ينعي إليّ لقد
ساء ذاك النعي من بدّل
غير خطب فتّ في عضدي
بعد يومي باقياً لغد
غلطت دنياي في العدد
كان من لقيه في بلدي

الشهيد معاوية

(... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ معاوية محمد نور، وقد لقي نصباً من سقامه وعوجل رحمه الله في ريعان صباه دون الثلاثين، بعد أن بشر العالم العربي بأمل كبير لم تنجزه المقادير.
وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة؛ لتلقى في يوم تأبينه، عَوْضَ الله الأَدَبَ فيه خيرَ العَوْضِ وعزَى الأَدباءِ أحسنَ العزاء.)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاوية
أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه
فما أقصر الدنيا التي طوّل الضنى
وما أضيّع الآمالَ آمالَ من رأوا
ومَنْ أيقنوا أنّ الهلال الذي بدا
بكائي عليه من فؤاد مفعج
بكائي على ذاك الشباب الذي ذوى
بكائي على ما أثمرت وهي غضة
فضائل منها نخبَةٌ أزهرت لنا
فيا لك من ذكرى على النفس قاسيةً
ولا يوم تكريم ودياه باقيه
أصائله فيها وأشقى لياليه
مطالعه في مشرق النور عاليه
على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه
ومن مقلّة ما شوهدت قطّ باكيه
وأغصانه تختال في الروض ناميه
وما وعدتنا وهي في الغيب ماضيه
لمأمًا وأخرى لم تزل فيه خافيه

تبينتُ فيه الخلد يوم رأيته
وما بان لي أنني أطالع سيرة
وأنّ اسمه الموعود في كل مقولٍ
أجل هذه ذكراه يا نفس فاذكري
أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفي
إذا قصّرت أيام من نرتجيهمُ
ويا طولَ حزن النفس وهي منيبةٌ
فيا يوم ذكراه سنلقاك كلّما
ويا عارفيه لا تظنوا بذكره
أعيروه بالتذكّار ما ضنّ دهره
وما بان لي أن المنية آتية
خواتيمها من بدئها جدُّ دانيه
سيسمعه الناعون من فم ناعيه
فجيعتنا فيه وما أنت ناسيه
عليه شأبيب المدامع داميه
فيا طولَ حزن النفس والنفسُ راجيه
إلى اليأس من عجز بها وهي آبيه
رجعت إلينا والضمائرُ صاغيه
ففي الذكر رجعى من يد الموت ناجيه
به عيشة في مقبل العمر راضيه

وزيدوا النفيس النزر من ثمراته
فإن لم تكن في العدِّ كثيرًا فباركوا
عليه سلامٌ لا يزالُ يعيدهُ
بتكرارها في القلبِ أولى وثانيه
معانيها حبًّا ووفوًا معانيه
ويبديه شادٍ في الديار وشاديه

يوم إبراهيم

عجبي لأحداث الزما
أولى الفجائع باتقا
ما دار في خلدي ولا
لما نعوه حسبته
يا يومَ إبراهيمِ حسـ
لم أنتظرك ولست أذ
لوددتُ أنك يا أخي
هل في البرية صاحب
ما بعد نعي النفس من
نِ وكم رأيتُ وكم رويتُ!
ئي لم يكن مما اتقيت
فكرت فيه ولا احتميت
في الأرض لم يسبقه ميت
بي من لقاءك ما التقيتُ
كر في غدٍ كيف انتهيت
في الناس آخر من رأيت
أبقي عليه وقد مضيت
حزنٍ يطاق وقد نعت

أخي إبراهيم

أميرٌ بلاغة وأمين نقد
وذو قلمٍ كغصن الروض يُهدي
أديبٌ راض أفذاذ المعاني
له لبُّ يترجم كلَّ لب
مليء القلب من ثقةٍ وحبِّ
أراح الحاسدين فإن تحدوا
إذا اقتتلوا على الجدوى رماهم
ورب رسالَةٍ وبشير عهد
جناه أو كحدِّ السهم يُردي
على ألفاظها ندًا لند
وينقل عنه ما يُخفي ويبيدي
بريء الصدر من حسدٍ وجقد
له فضلًا أعان على التحدي
بقول أبي علاءٍ «غيرُ مُجدٍ»

وتحسبه استراح إلى سباتٍ ويسبق غاية اليقظ المُجدِّ
فسل عنه شعاب «الضاد» تعلمُ مناهل فيضه في كل ورد
إذا عنَّ المصابُ به فويلٌ لفردٍ خصَّه بمصاب عد

* * *

وقالوا المازنيُّ قَضَى فَضَلَّتْ مقاصدُ قولهم أو ضلَّ رشدي
كأنَّ حديثَ ما زعموا خيالٌ بعيدٌ في الحقيقة أي بعد
إذا عينٌ عَفَّتْ فاعجبُ لأخرى من العينين عالقةٍ بسهد

* * *

صبحنا العمرَ عامًا بعد عامٍ على الحاليين من ضنكٍ ورغد
وبين تَعَهَّدٍ منه ومني وبين تبسطٍ منا وجد
وغيَّرتِ الحوادثُ كُلَّ عهدٍ سوى ما بيننا من عهدٍ ودِّ
إذا أخذتِ مذاهبنا وردَّتْ أمنا نحن من أخذٍ وردِّ
ونجمدُ في العشية ملتقانا إذا ذهب النهار بكل حمد
وأرحبُ ما تلقَّانا اجتماعُ على شملين من أدبٍ ونقد
هي الأفاقُ عاليةٌ ذراها على ما ضاق من غورٍ ونجد
رأينا كل صاعدة فزالَتْ أيصدعُ ما رأينا شقُّ لحد!

* * *

...
نميننا شعرنا صنوين حينًا فكيف رثاؤه بالشعر وحدي
وجاوزنا السهولَ معًا فماذا ستجدي في الوعود جهودُ فرد
إذا ثقلَ الشبابُ ولي زميلٌ فيا بؤس المشيب المستبد
حياةٌ إن تطلُّ فالويل ويلي وإن تقصُر فقد أبلغتُ قصدي
سلامًا أيها الدنيا سلامًا لأنت أحبُّ لي لو عاش بعدي

عزاء

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقي، فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات):

أخي منذ أعوامٍ تلاًماً مسكني وشاع به ضحكُ الرِّضا والتَّيْمُنِ
لقد كان عرسي يومذاك ومولدي بكونٍ جديدٍ من هوى وتحنن
أخي تلك أعيادي وأعياد زوجتي وما حلَّ منها العيد إلا ذكرتني
وأرسلتَ لي في كل عيدٍ مهنئاً وباركتَ لي في جنتي وغبطتني
مضت هذه الأعيادُ من غير رجعةٍ وهذي مراثي زوجتي اليوم فارثني

فأرسل إليه صاحبُ الديوان هذه الأبياتَ معزياً:

أخي ما عَزَّائِي أن أهون فاجعاً أراه وإن لم أبله غير هين
وَلَكِنْ عَزَّائِي هَذِهِ الحَرْبُ زلزلتْ قلوب بني حواء في كل مأمن
وَلَكِنْ عَزَّائِي هَذِهِ الفتنة التي أطاشت رءوس الخلق من عاش أو فني
وَلَكِنْ عَزَّائِي هَذِهِ الأَرْضُ علَّمت بنيتها هوان العيش علم التيقن
قضاءً علينا في الحياة فراقنا لأحبابنا حيث التيقينا بموطن
فجيعتنا فيمن نحب بديلها فجيعتهم فينا ومن يبق يغبن
فلا ترضْ للأحباب غبناً يؤدُّهم وليس الرضا في الحاليتين بممكن
ألا هانَ عيشٌ لا يزالُ خيارُهُ لمن يرتجيه شاكياً مُتُّ أو احزَنَ

* * *

أخي هذه الدنيا وهذا عزاؤها قصاراه بعد الجهد تسليم مذعن
وما أحسب الإيمان إلا حقيقة فلا صبر فيها لامرئٍ غير مؤمن

نعيُّ كاذب

لقد كذب النَّاعي وأنعمَ بكذبه فلا صدق الناعون يوماً ولا همُّوا
فزعت لخطب الموتِ والموتِ واحدٌ فكيف احتمالي فيكِ موتين يا أمُّ

صادق بعد حين

ولا يتقي يقظةً أو مناما
 ن ولا اعتصم القلب منه اعتصاما
 له بغتةً أو نذيرًا ترامي
 ت وإن رضتُ منها الخطوب الجساما
 فلم أدكر لك يومًا جماما
 م وخادعت ظني عليها دواما
 ي وفي غيره ما شكوت الفحاما
 أكان المشيب لدمعي فطاما؟
 ز فراقًا فكيف لسبعين عاما؟
 لقد هان يومٌ سكنتِ الرغاما
 على مقلبةٍ لا تطيق السواما
 من الكون بعدك إلا ظلاما
 ت ويا شدًا ما قد عرفت الرجاما
 فأنعم بحيث أقاموا مقاما
 ب فما الخوفُ بعدك إلا سلاما

سرى نبأ لا يهابُ الظلاما
 يقينٌ وما خلته باليقيـ
 فراقك يا أم لم أحتسب
 وما روضتني له الحادثا
 كأنني أدكرتك لي مولدًا
 حسبتُ الأمومةَ أختَ الدوا
 وأفحمني فيك خطب النعـ
 تعجّب قومٌ لشيخ بكى
 وأم لما دون عشرٍ تعـ
 لئن عظم الموتُ يا أمّتا
 وما أرخص النور لما غلا
 خلا الكون منك فماذا أرى
 فيا هولها من قفار تركـ
 تلاقى ذوي ببطن الثرى
 لأجلك كنتُ أخافُ الخطو

آخرُ الخطباء

إنَّ السميعَ اليومَ غيرُ مجيب
 في مصر آخر قاتلٍ موهوب
 أذنت منابرهم بطول مغيب
 من كل ذي لسنٍ وذو أسلوب
 سحرًا لأسماعٍ لنا وقلوب
 إلا لصوتٍ طارقٍ بنعيب
 «قَطَعَتْ جَهِيْرَةُ قَوْلَ كُلِّ حَاطِبٍ»

أسمعتَ جهدك يا نعيٍّ وهيب
 اليوم يصمت من كرامٍ لِدَاتِهِ
 اليوم غاب بقيهٌ من معشرٍ
 تلك المنابرُ ودعت فرسانها
 لا نسمع الفصحى على أعوادها
 كلا ولا يهتزُّ موقعُ شدوها
 خطبٌ ولكن ما له من خطبةٍ

داءٌ بغير طبيب

رجل الفضل والنُّهى والسدادِ
 هـ لقد كان رحمةً للعبادِ
 باجتهادٍ مِنْ طِبِّهِ واقتصادِ
 وهو يثني من غرِبها كُلَّ عادي
 حَقُّ فيه الفِدا على أَلْف فادي
 يا جديرًا مني بحسن افتقادِ
 في اقترابٍ من أهله وابتعادِ
 سرٍ وقد ماتَ فيه حَيُّ الودادِ
 راح يكسو غيًّا بثوبِ رشادِ
 عن صغار الأمال والأحقادِ
 عن منال الأنداد والحسادِ
 نَ زهيدًا في شرعة الزهادِ
 سبَّ علمٌ ينهى عن الإلحادِ
 في الثرى هل حلت منهم بوادي؟
 آخرُ العمرِ أولَ الميلادِ
 كنعيم العيان للشهادِ
 وخطوبُ الزمان بالمرصادِ
 آمنٌ عند حصنك المرتادِ
 وأرى منك أسبق العوَّادِ
 عد لقيا فكان يوم المعادِ
 أم نصحي يومًا ولا إرشادي
 فيجيب النعاة رجع المنادي
 وطبيبي مما يعاني فؤادي
 ونوى طوحت على غير زادِ
 فيك لو يهتدي إلى الصبر هادي
 إن أقرَّ العيونَ طولَ رقادِ؟

جَلَّ في العارفين خطبُ «حسين»
 الطبيب اللبيب يرحمه الله
 ما استبدَّ السقام إلا شَفَاهُ
 كيف يعدو عليه عادي المنايا
 لو يُفدَى من المنية حي
 «كيف أصبحت في محلك بعدي
 يا وفيًا ولا وفاء بعهدِ
 محيي الودِّ للمغيَّب في الدهـ
 عالي الرأس لا تصيخ لغاوي
 عازفًا عن مطامع العيش كبرًا
 «همة» مثلما تسميت تعلقو
 كم رجاءٍ زهدتَ فيه وما كا
 مؤمنًا بالله تعلم أنَّ الطـ
 ليت شعري من كنت تحنو عليهم
 هل تلاقى رُوحُ بروح ووافى
 تلكَ رؤياك كنتَ تنعمُ فيها
 كم صحبنا الزمان حلوا ومرًا
 والتقينا على الجوار كأنِّي
 تسبق النخبة الأجلء طبَّا
 وافترقنا يوم افترقنا على مو
 تستعيدُ السؤالَ عني ولا تسـ
 وأناديك سائلًا بعد نأي
 يا طبيبي مما يكابد جسمي
 إن حزني داءٌ بغير طبيبِ
 أحسن الله يا حسينُ اصطبارًا
 هل يقر العيونَ طولَ سهادِ

متفرقات

الشاعر الأعمى

وأظلم ما نال العمى جفن شاعر
سوى نبع حزن ناضب الماء غائر
فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر
وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟
على الغيد أم بات الحصى كالجواهر؟
إذا راح يلحاه بصيحة حائر
ليهديه في فتكة بالجازر
وتسفكه فوق البطاح الغوامر
فأظهر ما أخفى سواد الدياجر
يضيء سناه مظلمات السرائر؟
بدائعها عينٌ تري كل باهر؟
وما جاد فيها الحظ إلا لناظري
سيحجب عني حسن تلك المناظر؟
أمينًا ولا ريب المنون بزائري
فيا لي من مَيّت شقيّ الخواطر
ويلحظه قلبي بحسرة ساهر
أراه ولم يُعم التراب بصائري؟
لدى الشمس لألاء الوجوه النواضر

شكا الشاعر الباكي عمى قد أصابه
ينوح بعينٍ لم يدع عندها البلى
وتلحظ عين الشمس شزراً جبينه
ويسألهم هل أومض البرق في الدجى
وهل يلمع الدر المنضد والحلى
تكاد تشق الأفق زفرة صدره
تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى
وترميه في بئر عميق قرارها
وتسلبني نوراً أراك بوحيه
وأرجعه معنى على الطرس مشرقاً
لمن تجمّل الأكوان إن كان لا يرى
فما كانت الدنيا سوى حسن منظر
وهل كنت أخشى الموت إلا لأنه
فها أنا لا جهد الحياة بهاجري
جمعت شقاء العيش في ظلمة الردى
أرى الصبح وهاجاً بمقلة نائم
ومن لي إلى هذا الوجود بلمحة
فيا قلب أنفق من ضيائك واحتسب

تنازع الفردوس

يتحاسدون على الهباء فما لهم
نقموا على الكفار أن تركوا لهم
لو كان ما وُعدوا من الجنات في
لا يحسدون البرَّ فيما يؤجرُ
أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
هذي الحياة لسرهم من يكفرُ

المصور

... ..
في طي ريشته وضمن بنانه
بيننا يداسُ على الثرى حتى يُرى
أولى القرائح بالدوام قريحةً
معبودةٌ فيما تحل كأنها
روحٌ بها يحيا الجماد فيخلد
رباً تخر له الجباه وتسجد
تجري على الصخر الأزل فتجمد
ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر

إيه يا دهر هاتِ ما شئتِ وانظر
ما تعسفتِ في بلائكِ إلا
عزماتِ الرجالِ كيفَ تكونُ
هان بالصبر منه ما لا يهونُ

رحلة إلى الخزان

... ..
قلت وهل يفهم عن لساني
فأذهب إلى وردك في أمانٍ
ما بيننا يا ذئب من أضغان
لا يحرم الماء على عطشان

فمَرَّ يَعدو كاشِرَ الأَسنانِ
 حتّى وردنا أولَ البَنِيانِ
 مَوَّارٍ ماءٍ ثائرِ الدخانِ
 مصطفةً في حلبةِ الدهانِ
 فباتَ أدنى الهمسِ كالأذانِ
 وشردَ النومَ عن الجَنانِ
 وتحسبَ الماءَ من النيرانِ
 طرائقًا في الأرضِ ذا ألوانِ
 مندفقًا منحسرًا في آنِ
 ملتئمًا منشعبِ الثغبانِ
 مجذذِ الرغو على الصُمانِ
 شعواءَ تغري القومَ بالطعانِ
 وتجعلُ الراضي كالغضبانِ
 قامتَ عليها أعينُ الشهبانِ
 وكم لهذا الماءِ من معاني
 وفي اختلافِ الشكلِ والجثمانِ
 فصاعدٌ في الجوِّ كالعقبانِ
 وغائضٌ في الأرضِ كالشيطانِ
 وطائرُ البخارِ في الأعنانِ
 وفيه من أمنٍ ومن عدوانِ
 وهُوَ الوبَاءُ الجارفُ الطوفانِ
 وهُوَ هُوَ الموتُ لدى الغرقانِ
 فما صغا الليلُ لصوتِ ثانِ
 إلا إلى هاتيكِ الألحانِ
 ثُمتُ أدلجنا إلى أسوانِ
 فيها لها وما عدوت شاني

وهو ينادينا ولا يداني
 على دوي هائلٍ مرنانِ
 كالنقعِ قد ثار على الفرسانِ
 قد غلب الصوتُ على الأذانِ
 مستويين ليس يُسمعانِ
 فرددت صداه في الرعانِ
 مندلعًا يقذف بالصوانِ
 كالليثِ أحيانًا وكالثعبانِ
 مرتفعًا منحدرًا سيانِ
 يبيضُ كالمحض من الألبانِ
 قد شنها في تَلِكُمُ القيعانِ
 وتحفز الخيلَ إلى الميدانِ
 وتبعث النخوة في الجبانِ
 وأرؤسُ الجبالِ تشهدانِ
 في قوة البطشِ وفي الليانِ
 كأنه يلبس ثوبَ الجانِ
 وساربٌ في مزحفِ الديدانِ
 ولأعبُ الأمواجِ كالحملانِ
 كالنَّفْسِ الخافي عن العيانِ
 فهو قوامِ الزرعِ والأبدانِ
 وهُوَ هُوَ الدنيا لدى الظمانِ
 شارفته والليلِ شطرتانِ
 ولا أَمالِ مسمع الأمانِ
 كأنها تجاوبُ الغيلانِ
 وفي طريقِ الصبحِ غلوتانِ
 من رحلةٍ طيفية الأوانِ

أَتَمَنَى يَوْمًا لَوْ أَنَّ حَيَاتِي تَنقُضِي كُلَّهَا وَلَا أَتَمَنَى
أَتَمَنَى وَقَدْ أَطَلْتُ التَّمَنِي لَوْ تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أَنْ أَتَمَنَى
أَتَمَنَى لَوْ عَلِمْتَنِي اللَّيَالِي بَاطِلَ الْأَمْرِ قَبْلَ أَنْ أَتَمَنَى
مَنِيَّةً لَوْ تَحَقَّقْتَ لِتَسَاوِي مَا تَمَلَّكَتَهُ وَمَا أَتَمَنَى

القمة الباردة

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج، وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتّر عندها الحياة، فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم يَرَ شيئاً ولم يشعر بشيء؛ لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلى كل حركة متشابهة في كل ذرة، فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كُلِّ النظر ولا يعرض عن الظواهر كُلِّ الإعراض؛ لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدرکہا البديهة، فإذا تجاوز ذلك فَقَدِ ارتفع من المعرفة إلى قمته الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.)

إِذَا مَا ارْتَقَيْتَ رَفِيعَ الدُّرَى فإياك والقمة الباردة
هناك لا الشمس دَوَارَةٌ ولا الأرض ناقصة زائدة
ولا الحادثات وأطوارها مجددة الخلق أو بائدة
قوالب يلتذُّ تقليبها أناسٌ وتبصرها جامدة
ويعجب قومٌ بترقيشها وألوانها أبداً واحدة
وتعلو وتهبط جدرانها وأساس جدرانها قاعدة
ويا بؤسٍ فإن يرى ما بدا من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة وحيٌّ له جثة هامة
إلى الغورِ أما تُلُوجُ الدُّرَى فلا خير فيها ولا فائدة

على أطلال بعلبك

أيا «بعل» هذا قادمٌ لك مقدم
دعوتَ وحوليكَ الأسننةُ شُرَّعٌ
أَتَاكَ من الوادي الذي في ضفافه
وأقوى كما أقوتُ ذراكَ على المدى
يحييكَ عن «أمون» في مستقرِّه
فما بعل إلا اسم لأمون تلتقي

وفي لمن يزري به الدهر مكرماً
فلباك لا تثنيه نارٌ ولا دمٌ
تسامى «لأمون» البناء المدعمُ
وأقصر عنه العابدون وأحجموا
وأنت المحيي باسمه والمسلم
له صورٌ شتى ولفظٌ مقسمٌ

* * *

ويا دار بعل وهي لا بعل عندها
ويا جارة الماضين والدهرُ جائزٌ
عزاء إذا أدبرت والعيشُ مقبلٌ
ولم يدفع الأربابَ عنك ولا الألى
وما حيلة الأربابَ فيك وإنها

ويا حصن بعل وهي لا شيء تعصمُ
ويا مشرق الآمال والليلُ مظلم
وروضك مطلول الأزاهير يبسم
أنابوا إليهم بالدعاء ويمموا
لتبني كما تبني الصروح وتهدم؟!

* * *

«جببتيير» جبار الصواعق ساهرٌ
وللزهرة الغراء عندك قبلةٌ
وفيك مُصلَّى للمسيح ومطهرٌ
شفاعات أربابٍ لديك كثيرةٌ
فمن ذا يرجي العفو أو يأمن الحمى

عليك وسلطان العقار مخيم
يطلُّ عليها مسجدٌ متجهم
وفيك منارٌ للنبي ومعلم
وركنك مصدوع العماد محطمٌ!
إذا ما طغى صرفٌ من الدهر مبرم؟

* * *

عزاء إلى اليوم الذي فيه يستوي
وصبراً إذا ما شئت صبراً على البلى
ستحفظك الذكرى ملياً وتنطوي

أخيراً على حكم الردى ومقدمٌ
وإن لا تشائي فالقضاء محتمٌ
فلا ذاكرٌ يوماً ولا مُترسَمٌ

إلى غندي يوم إفطاره

غندي لك النصر المبين على المدى
لم ألقَ قبلكَ من يحرر قومه
بالجوع والحرمان تصلحُ أمة
خذ من قرارة دائهم لدوائهم
ومن العجائبِ أن يُقدَّسَ بينهم
عكسوا الأمور فكان عكس أمورهم
فاشفع لنقص القوم عند كمالهم
ولشانئيك الخسر والخذلانُ
وهو السجين الجائع العريان
أخنى عليها الجوع والحرمان
بعض السقام من السقام ضمان
بَقَرُ السَّوَامِ وَيُلْعَنُ الْإِنْسَانُ
بعض الجزاء ومن أهان يهان
فكذلك تغفر ذنبها الأوطان

الظن

إذا خِفْتَ ظَنَّ النَّاسِ ظَنُّوا وَأَكْثَرُوا
فإن شئتَ هبهم ألف عينٍ وإن تشأْ
وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فدعهم بلا عينٍ تراك ولا أذن

القلم المسروق

زاملني في السجنِ ذاك القلم
ومس من فكري وأسراره
فَرُبُّ معنى ما وعاه سوى
وكم له من حصبةٍ تُرْتَضَى
وكم له من نفحةٍ كالصَّبَا
وكم له من زهرٍ مُجْتَنَى
وَنَالَ ما نالني من قسم
ما رامه الناس وما لم يُرَمْ
ريشتهِ ثم انطوى فانحَسَمَ
فيما جرى من أدبٍ أو حكم
وكم له من لفحةٍ كالضرم
وكم له من ثمرٍ مُلْتَهَمِ
أو نعمةٍ مرَّتْ بأرض الهرم

متفرقات

وَرُبُّ مَسْكِينٍ قَضَى حَقَّهُ
أَعَزَّتْهُ عَنْ حَلِيَّةٍ تُقْتَنَى
وَلِي أَخٌ يَذْكُرُنِي بِالنِّعَمِ
فَلَمْ أَجِدْ أَنْفَسَ مِنْهُ لِمَنْ
قَدْ صَانَ مَا أَكْتَبَ فِي صَدْرِهِ
يُظَلُّ يَسْتَوْحِيهِ فِي كُلِّ مَا
وَعَاشِمٌ أَحْصَى عَلَيْهِ اللَّيْمَ
وَصَنَّتُهُ عَنْ غَالِيَاتِ الْقِيَمِ
فَقَلْتُ أَجْزِي بَعْضَ تِلْكَ النِّعَمِ
مَحْضُنِي قَلْبًا نَفِيسَ الشِّيمِ
فَغَيْرِ بَدْعٍ أَنْ يَصُونَ الْقَلَمِ
أَوْحَى وَيُرْعَاهُ كَرْعِي الذَّمِ

رِعَاهُ فِي أَمْنٍ إِلَى أَنْ قَضَى
فِعَالَهُ مِنْهُ لَصَوْصٌ لَهُمْ
فِي يَوْمٍ حَشِرٍ حَافِلِ الْمَزْدَحَمِ
قَدْ نَامَ لِمَحَّةٍ فِي الضَّحَى
عَلَيْهِ بِالْفَقْدِ قَضَاءَ حَتَمِ
مِنْ كُلِّ عَيْنٍ فَرِصَةً تُغْتَنَمِ
ضَلَّتْ بِهِ الْعَيْنُ مَكَانَ الْقَدَمِ
فَبَاتَ فِي لَيْلَتِهِ لَمْ يَنْمِ

أَمَّا وَقَدْ فَارَقْتَنَا يَا قَلَمَ
فَخَيْرٌ مَا أَرْجُوهُ أَنْ لَا تُرَى
وَلَا تَخْطُ الْجَهْلَ فِي صَفْحَةٍ
وَلَا تَكُنْ يَا قَلَمِي أَلَّةً
فَتَنْظِمَ الْحِكْمَةَ لِي مِنْ هُنَا
بَدَأَتْ فِي الْأَوْجِ فَلَا تَنْحَدِرْ
وَصَالِحَ الْيَأْسِ عَلَيْكَ الْأَلَمِ
فِي كَفِّ خَوَانٍ وَلَا مُتَّهَمِ
«أَبْيَضُ» مَا فِيهَا سَوَادُ الْحَمَمِ
تَشْتَمُنِي بِاللُّغُو فِيمَنْ شَتَمَ
وَمِنْ هُنَا تَنْحِي عَلَيَّ مِنْ نَظْمِ
إِلَى حَضِيضِ الذَّلِّ فِي الْمُخْتَمِ

بين التعب والراحة

قال المعري:

تَعَبٌ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعُ
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي أَرْدِيَادِ

ويقول صاحب الديوان:

راحةٌ كُلُّها الحياةُ فما أَعـ
ما ابتغاءُ المزيـدِ مِنْ يومِ أَمِنِ
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازديادِ
عاطلٍ لا يَزادُ بالتعدادِ
واحدٍ واطِّرادُ حالِ معادِ
فَالزَّمانُ المريحُ تَكَرَّراً شَيءٌ

هذا هو التاريخ

من جانبِ القبرِ لسانُ بدا
هذا هو التاريخ لو أنني
يكذبُ ما شاء ولا يستحي
صورته يوماً على المسرح

رأي الناس

من عودِ الناسِ خيراً طالبوه به
ومن تعقَّبَهم شرّاً فأمهـلهم
كأنه الدَّيْنُ يلوى بالمعاذيرِ
وما لهم قط من حكمٍ وتقديرِ
لا رأي للناسِ في نفعٍ ولا ضررِ

سيان

إن قيل بالحق أو البهتانِ
دعهم يقولون وقل سيانِ
سيانٍ مهما افترق الضدانِ
سيانٍ مهما اختلف الخصمانِ
سيانِ أَلْفٌ هي أو أَلْفانِ
سيانِ بيدٌ هي أو مغاني

سيانٍ نورٍ أو ظلامٍ فاني
سيانٍ من يلهو ومن يعاني
قلها ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان

خداع النفس

يقول وما قضى عجبًا
أخذع نفسه رجلٌ
أجل يا صاح عينان
وهل أخذع للإنسا
فتى يخبط في حدسه
له عينان في رأسه؟
وزد ما شئت من حسه
ن بين الناس من نفسه؟
وقاك الله من دسه
خداع النفس معهودٌ

الأستاذ طاهر

أخي الأستاذ طاهر:

قل لي بحقك كم بلغت سنينا
إني أراك كما عهدتكَ بادئًا
قد كنت بين الناشئين محنًا
واليوم تقتحم الكهولة سابقًا
خمسين أو ستين أو سبعينا؟
شوط الشباب تناهز العشرينا
حسن الأناة مع الخطوب رصينا
خطو الشبيبة لا تطيق سكونا
شيوخًا مع الفتيان مستبقينا
ضع بعدها الثغر العزيز يمينا
ستين صاعدةً إلى التسعينا
تسعين قلنا عشتها عربونا
إن قلت عشرًا صدقوك وإن تقل

* * *

أفتى طنّاح لا برحت مهنتاً
إن السنين وقد صدقت لعلها
وإذا حسبت صفاءها فلعلها
حسبي وقد فرغت يدي من زادها
ورضاي عنها أنّها لم تُرُض في
ومناي منها أن أعيش ولا أرى
ومدائي فيها أن أودّعها وما
ما دام فيها حامدون كطاهرٍ
ومهنّاً بالصالحات قمينا
مرّت بمدرجة الزمان قرونا
ساعات حلم ما اغتمضن جفونا
أنّي أبيت لها الفراغ قرينا
عهدٍ ظلوماً أو تسرّاً خئونا
أبدًا بأوهام المنى مفتونا
ودعتها أسفاً ولا محزوننا
فاللهُ أحمدُ لستُ بعدُ غبينا

الفن الحي

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كل معنى وجسّم
حبذا العيش يبدي الفكرَ جسماً
ويرى الفن كالحياة حياةً
ضلّ من يفضّل الحياتين جهلاً
من معاني النفوس ما كان بكرة
نحتليه ويبديع الجسم فكراً
ويرى للحياة فناً وشعراً
واهتدى من حوى الحياتين طراً

الحانُ والمسجدُ

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى
وألقاك جسماً مستباحاً وطالما
رويدك إني لا أراك مليئة
جمالك سمٌّ في الضلوع وعثرة
وأرتاد فيك اللهو بعد التعبِ
لقيتك جمّ الخوف جمّ التردد
بلذة جثمان ولا طيب مشهد
تردُّ مهاد الصفو غير ممهد
ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي
إذا لم يكن بدّ من الحان والطلّى

أحلاهما مر

لم أسخْ أشهى مذاقك فما
خَلَّ يا دهرُ لغيري مزجها
مزجك الكأس بطعم العلقم؟
إِنَّ أحلاكِ لمرٌّ في فمي

فوق الحب

صاحبي مَنْ سروره وسروري
وصديقي من استجدَّ سرورًا
وحبيبي من قلبه كيفما كا
فالذي يرتضى العذابَ لأرضى
ذاك فوقَ الحبيبِ إن كان فوقَ الحـ
ذاك فيه من صبغة الله سرُّ
في صفاء الزمان يلتقيان
من سروري وإن تناءى مكاني
نَ وقلبي في الشجو يستويان
كيف أدعوه وما اسمه في البيان؟
بَّ شيء يُرجى من الإنسان
جل عن صبغة الوجود الفاني

النور

طهرت بماء سمائها أممٌ
والروح أولي بالطهور لها
فيض يشف فما به كدرٌ
وبه تطهَّر روحها الهند
نورٌ يخفُّ بها ويمتد
ومدى يفيض فما له حد

بكاء السليب

وقالوا خئون قلت مهلاً فإنما
لقد سلبتنيه الخيانة راغمًا
وإني لأبكي كُلَّ مَنْ كان قبلها
بكائي عليه وافياً لعجيب
وإنَّ جديرًا أن ينوح سليب
يفي لي على زعم الهوى ويطيب

حب الدنيا

معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية هي التي تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها؟! أو هي دميمة والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها؟
الجواب في القصيدة التالية: أن لا قدرة — دون قدرة المعجزات والخوارق —
تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس، على ما بها من الآفات والأرجاس.)

قالوا الدنيا الحسناء سها	عنها ربُّ لا يقبلها
بل قالوا يحجبها عنا	أو ينهاها أو يعقلها
ونرى الشيطان يزينها	ونرى الشيطان يدلُّها
يا قوم ألا عينٌ نظرت	هذي الشوهاء تمتلها؟
ما يقدر إلا رب الكو	ن يحببها ويجملها
لولاة قتلنا أنفسنا	أو لم نعذل من يقتلها
أفهدي دنيا نعشقها	لولا رضوانٌ يكفلها؟
من شك فهدي قدرته	فليعرفها من جهلها!

المذكّر المنسي

لم يبقَ من دنياك ما يعنيني إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجهٌ — إذا ما مرَّ — ينسيني لا بل يذكّرني إلى حين
أنِّي — كما قيل — ابنُ سبعين!

خبر الربيع

يأيها الورق المخضرُّ في شجرٍ
 من أين أقبلت بل من أين أقبلت في
 إنا سألناه لو عاد السؤال إلى
 سلنا بحَقِّكَ من أين استجدَّ لنا
 كلاهما طارقُ طاف الربيع به
 سله فإن لم يُجبْ فانعم بمقدمه
 إذا أجاب بأزهارٍ مفتحةٍ
 عهدي وما فيه من ذي خضرةٍ أثر
 عيدانك العوج ذاك العطر والرَّهر
 فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر
 هذا السرور الذي في القلب ينتشر
 على براقٍ من الأنوار ينحدر
 وافرح به وانتظره حين يُنتظرُ
 وبالسرور فحسبي ذلك الخبر

الطريق في الصباح

بدأت دَوْلَةَ الطريق وانتهت دَوْلَةُ البيوت
 ضاق بالكوكب المفيق عالم الليل والسكوت

* * *

حيثُ يَممت مسرع يتلقاه مسرعون
 ما لهم أين أزمعوا ويحهم ممَّ يهربون؟
 كلما غاب مجفل طلع اثنان في هجوم
 ذاك ركبٌ مضلل حائرٌ حيثما يحوم

* * *

حائرٌ حيرة الألى سُجِرُوا ثم أطلقوا
 وضخ الصبحُ وانجلى فهو بالسحر أخلق

* * *

لا أرى فرد ساحرٍ فيك يا صبح بل ألوف
 كم أسيرٍ وأسر والرُّقى بينهم صنوف

* * *

ذلك الطفل ما عناه جدول الضرب في كتاب
ذلك الشيخ ما مناه لقمةً كلها عذاب

* * *

والفتى أين قبله نحوها يرسل العنان؟
غاية الأمر قبله بعدها يمسح الدهان!
خذهم أيها الطريق في غداة من الصباح
لا تضلن بالرفيق إن دنت ساعة الرواح
إن دنت ساعة السبات ويك لا تخطئ الكور
كم وكور مناظرات للبيوت اسمها القبور

ماذا استفدت؟

بَرِئْتُ مِنْ غِشِّ نَفْسِي ولا أقولُ انتبهت
قد كنت ساهر عِينِ مستيقظًا ما غفوت

* * *

بَرِئْتُ مِنْ غِشِّ نَفْسِي وليتني ما بَرِئْتُ
ما العمر محض نهارِ في العمر للغمض وقت

* * *

ها أنت يا عينُ يَقْطِي وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمري وما عساني استفدت؟!

قلت للمريخ

قلتُ للمريخِ أعذله وهو يذكي جمرة الغضب
ويك ما هذا الخراب وما ذلك الإغراق في العطب؟
أممُ تسطو على أمم ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على عيلمٍ للدمع منسكب
وقبور كظَّها تَحَمَّا جثثُ الهلكى من السَّغب

* * *

قال مَهْ يا صاح أين ترى كل ما استهولت وا عجبي
أرضكم ما زلت أبصرها نائياً حيناً وعن كثب
هَيْنُ ما قد تبدَّل من سمتها في هذه الحقب

لا ضيف في الخان

إيه يا دنيا لو اسطعت سماعي قد نزلنا منك في غير اتساع
أكرميننا حيثما تدعيننا أو دعينا من لقاء ووداع
قالت الدنيا ألم أكرمكم كلنا في الحق مدعوً وداع؟
حببًا الخانُ فلا ضيف هنا إنما يُجزى متاعًا بمتاع

تكاليفُ العظمة

كُنْ عظيمًا ولا تلومنَّ إلا همَّةٌ كلفتك همًّا جسيما
كُلُّ راجٍ يلقي عليك مناه فإذا خاب كنت أنت الملوما
تنصفُ الأمةَ الضعيفَ ولا تنصفُ فُ يومًا عظيمها المظلوما

النعيم والشقاء

ما العيش قل لي فأنت مختبرٌ هموم هذي الدنيا ونعماها

* * *

العيش بأساء ليس يجهلها
ونعمة لا يزال يُحرمُهَا
نشأتها إن نأت ونبخسها
كأنها درة مسومة
يمنحها حاسدٌ لآخذها
حتى إذا ردها وأحرزها
هذا سرورُ الدنيا ولذتها
فاحسبه من خيرها ونعمتها
من ذاقها أو أصاب عدواها
من نال منها أو من تعدَّها
إن أقبلت جاهلين معناها
في بعض سكر الحياة نُعطاهَا
آبٍ عليه سرور لقيهاها
أدراه ما قدرها لينعاهَا
دع عنك ما شرُّها وبلواها
إن شئت أو من صميم بؤسها

الصنم الهاوي

حَبَّرُونِي عَنِ الصَّنَمِ
حَبَّرُونِي بِمِصْرِعِ
كَيْفَ بَاعَ الْعِبَادَ وَالْخَلْ
وَالسَّمَوَاتِ كُلَّهَا
أَيْنَ أَلْقَيْتَ بِهِ الحُطْمَ
لِلْهُوَى فِيهِ وَالشِّيمِ
دَ وَالْحَبِّ وَالْعِظْمِ
بِضئِيلٍ مِنَ الْقِسْمِ

* * *

حَبَّرُونِي عَنِ الصَّنَمِ
ذَلِكَ الشَّاهِقِ الَّذِي
ذَلِكَ الْعَابِسِ الَّذِي
كَيْفَ قَيْدَتْ لِرَائِمِ
كَيْفَ زَلَّتْ عَرُوشَهُ
ذَلِكَ الأَرُوغِ الأَشْمِ
قَصْرَتْ دُونَهُ الِهْمِ
فِي حَمَى الصِّمْتِ مَا ابْتَسَمِ
عِزَّةٌ مِنْهُ لَمْ تَرَمِ
مِنْ أَعَالِيهِ فِي الْقَمَمِ

كَيْفَ أَمْسَى ورأسه	في الثرى موضع القدم
ما دهاه فما اتقى	من حذارٍ ولا وجم
فتهاوى بلا ونى	وترامى بلا شمم
وتخطى عن الذرى	علمًا دونه علم
واستوى غيرَ نادم	في حضيضٍ من الرجم
خَبَّرُونِي وأجملوا	رُبَّ عذرٍ لِمُتَّهَمٍ
حكمة تلك في الحكم	أم قضاءً من القِدم؟
أم إله أصابه	حسدٌ منه فانقم
نقمة تلك ما خلا	مثلها قط في الأمم
ضربةٌ تلك من إلا	ه فما عنه معتصم
هل سوى حكمةٍ يضـ	ل صوابًا إذا حكم؟

خَبَّرُونِي واسمعوا	أنا والله في صمم
أنا في غمرة الأسي	ظلمة فوقها ظلم
حيرةٌ تشدهُ العقو	لَ بمسٍّ من اللمم
إنَّ ويلى بسرِّها	فوق ويلى على الصنم

حَدَّثُونِي عَنِ الصَّنَمِ	بدأ الويل أم ختم؟
زعم القلب أنها	لوعةٌ بعدها سأم
بَلِيَّ القيد فانفصم	وهوى ذلك الحرم
لا قرابينَ تُهتدى	في المحاريب أو نمم
لا صلاةٌ ولا صيا	مٌ ولا فتنَةٌ عمم
فليجد منه راحةٌ	عابدٌ طالما التزم
وليئبُ منه راضيًا	خادمٌ طالما خدم
جهل القلب نفسه	كذب القلب ما زعم
ليته عاد في القمم	ظالمًا كيفما ظلم

غانمًا كلَّ ما ارتضى
أخذًا من دمائننا
إنما الحب منعّم
ليتته لم يكن هوى
ليتته في الحضيض لم
يُشفَ من ذلك النهم

ألّمي ما ابتغيت من
دائبًا في المزيد لم
حسبك اليأس والضنى
فرغ المأتم الذي
فدع النار ينطفئ
أيعود الإله أُلـ
ويك هيهات لا معا
بدأ الليل وانتهى

ناضب النفس مصطم
تسهُ عنه ولم تنم
وجوى الليل يا ألم
بتّ تحيي له الضرم
من لظى النار ما احتدم
قى به الذل في العدم
د فطوبى لمن وهم
وصحا حالّم حلم

ولماذا القرد؟

أرى السخف في الإنسان طبعًا مؤصلاً
ولو لم يكن في طبعه ومزاجه
لما خصّ من كل الخلائق سخره
شواهده في كل بادرة تبدو
طوية سخفٍ لا يلازمها حدّ
بأشبههم طرّاً به وهو القرد!

نعمة من نقمة

جلا معرض الحب أصنافه
فحبُّ يلاصق هذا الثرى
وحب يعيش مدى ساعة
نماذج من كل صنف عجابٍ
وحبُّ يخلق فوق السحابِ
وحبُّ من الخلد رحب الجنابِ

متفرقات

* * *

وفوّضتُ أمري على غرّةٍ لكوبيد يختار لي ما يرى
فعلّقني منه ذاك الخبيد ث حبّ تعمّق تحت الثرى
وقال إليك قرين الربيد مع في القاع يزهر ما أزهر

* * *

عجبت أنا الصاعد المرتقي وساءلت ربّي في قسمتي
فقال انتظر ريثما ينقضي هواك أنبئك عن حكمتي
فلما تقضى وزال الخفاء سألت القضاء فلم يصمت

* * *

لقد كنت تجهل هذا الثرى وكنت تطير ولا فضل لك
فها قد عرفتَ وها قد علو ت بوقر الرغام الذي أثقلك
أترضى فقلت نعم قد رضى ستُ لك الحمد ربّي ما أعدلك

* * *

لك الحمد ربّي إنّي افتتح ستُ سمائي بالحبّ شبراً فشبراً
وشتان فاتحها مغمضاً وفاتحها مبصر العين حراً
ملكّت الوهاد ملكّت النجاد كما تملكّان فحمداً وشكراً

مقدمات ما تقدم

فيما يلي مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها:

... ..

... الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات: عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك، ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت، والوقت أيها القارئ أصناف؛ فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السموات، ومنه ما يطرحه للأبقار والحشرات! فإذا قلنا لك: أحبب الشعر فكأننا نقول لك: عش. وإذا قلنا: إن أمة أخذت تطرب للشعر. فكأننا نقول: إنها أخذت تطرب للحياة ...

الجزء الأول

أحسن فيكتور هوجو في كتابه «وليام شكسبير»؛ حيث قال: «ينادي كثير من الناس في أيامنا هذه — لا سيما المضاربون وفقهاء القانون — بأن الشعر قد أدبر زمانه، فما أغرب هذا القول! الشعر أدبر زمانه؟! لكأن هؤلاء القوم يقولون: إن الورد لن ينبت بعد، وإن الربيع قد أصدع آخر أنفاسه، وإن الشمس كفت عن الشروق ...! وإنك تجول في مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة، وإن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليوم، والبلبل لا يغرد،

والأسد لا يزمجر والنسر لا يحوم في الفضاء، وإن قلل الألب والبرانس قد اندكت، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والإيفاع الحسان...!
لكنهم يقولون: إنه لا أحد اليوم يبكي على قبر، ولا أم تحب وليدها، وإن أنوار السماء قد خمدت، وقلب الإنسان قد مات!»

والحق أنه لا فرق بين القولين؛ إذ الشعر لا يفنى إلا إذا فنيت بواعثه، وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوارج النفس وأمانيتها، فإذا حكمتنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمتنا بانقضاء الإنسان، وليس من العجب أن يولد في الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهي مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها، غاصة بمن يمرّون بها غافلين عن محاسنها وآياتها، كأنهم سيمرون بها ألف مرّة، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة ...

الجزء الثاني

... وقرأ بعضهم قصيدة في وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد، وعدها باباً من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون!
ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد في إنكار التقليد؛ لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم؛ مجارةً للأقدمين، واقتياساً على الدواوين، أما الرجل الذي يعيش في الصحراء أو على مقربة منها، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم في هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد، أو جرياً على رأي الآخرين؛ إذ هو التقليد بعينه في التصور واختيار الموضوعات، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأي الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل. فهناك إذن «مقلدون» في كراهة التقليد، لا يدركون لماذا يستحسنون، ولماذا يستهجنون، وربما كان هؤلاء أضرّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم.

إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لکمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود! فالشاعر لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب؛ وهو التعبير الجميل عن الشعور الصادق، وكل ما دخل في هذا الباب — باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق — فهو شعر؛

وإن كان مديحًا، أو هجاءً، أو وصفًا للإبل والأطلال، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر؛ وإن كان قصةً، أو وصفَ طبيعةٍ، أو مخترعًا حديثًا ...

وحي الأربعين

... ..

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلبل وأشباهاها على قلة ما تُسمع في هذه الأجواء!
فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء؛ لأنهم يلقبون المغني بالكروان ولا يلقبونه باللبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون ...

هدية الكروان

... ..

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتنبية القريحة واستجاشة الخيال، وإنما النفس التي لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر، أو كالمعدم الذي يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق!

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبت فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر؛ لأنه حياة وموضوع للحياة.

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور، فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضي عشرين سنة وهي تتصوره عريسًا سعيدًا، لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء في بقائه طوال تلك السنين، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التي نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان.

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد
وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق، ولنتوجه
بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ
المحاسن المشهورة والمناظر الماثورة؛ لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا
تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز، وإن
أجمل وجه ليمر بنا في ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم
العجوز التي نراها صباح مساء.

عابر سبيل

... ..

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق في اللغة العربية أبو
العلاء وابن الرومي والشريف.
ومنهم في اللغات الأوروبية ليوباردي، وهنريك هيني، وتوماس هاردي،
وهذا فريدٌ عندنا في هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين.
رجعت إليه وأنا أفكر في طبع ديواني الجديد واختيار الاسم الذي يناسبه،
فقرأت له الأبيات التي يقول فيها:

أنظرُ إلى المرأة، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض، فأتوجه إلى الله
مبتهلًا إليه: أسألك يا رب إلا ما جعلت لي قلبًا يذبل مثل هذا الذبول.
إنني إذن لأحس برد القلوب من حولي فلم ألم ولا أحزن، وإنني إذن
لأظل في ارتقاب راحتي السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور.
غير أن الزمن الذي يأبى لي إلا الأسى قد شاء أن يختلس، فلا يختلس
كل شيء، ويترك فلا يترك كل شيء، ولا يزال يرجف هذه البنية
الهزيلة في مسائلها بأقوى ما في الظهرية من خلجة واضطراب.

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لي الاسم الذي اخترته لهذا الديوان؛
وهو «أعاصير مغرب»، وإن لم يرد في الأبيات ذكرٌ للأعاصير.

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذي احتواه هذا الديوان ...
بأعاصيره، ومنه ما يشبه الأعاصير التي هزت كيان «الشيخ» هاردي فتمنى
من أجلها ذبولاً في القلب كذبول إهابه.

أعاصير مغرب

.....

نحن في زمن المراجعة والتقويم.

نراجع كل شيء، ونعيد تقويم كل شيء وننقد ونعيد النظر في مقاييس
النقد نفسه، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذي تجري به المعاملات بين الناس
في البيع والشراء والأخذ والعطاء، أو مقاييس النقد الذي يتواضع الناس عليه
في فهم المعاني والأفكار، وتمحيص الأخلاق والأدواق.

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة.

وروجعت، أو ينبغي أن تراجع قيمة النقد الذي يتداوله الناس عند تقويم
المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحف الفنية، فلا
محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته في عالم الأدب والفن، وقبل
الاعتماد عليه في تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان.

وأول ما يُنقَدُ به النقد في كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو
لوجه الفن وحده، فما من نقد قط يخلص من هوى في نفس الناقد، يهواه
باختياره أو على غير اختياره، ولا بدَّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل
أن تنفذ إلى قيمة المعدن في صميمه، فالنقد الذي في الصميم هو القيمة التي
تدل على المنقود وتعطيه حقه في الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزرية.

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هوى
البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التي يجهلها صاحبها في
كثير من الأحيان، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها
من وساوس النفوس.

وليس فيما نوميء إليه من شوائب النقد على هذا النحو شيء جديد، فقديمًا عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر؛ لأنه من جنس المعجبين به، أو من أبناء نحلتهم في الدين، أو شيعتهم في السياسة.

ولكنَّ الجديد في هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة في دعوة مدبرة، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل، ويصدرون عنها في تقريظهم ونقدهم، وفي ثنائهم وتشهيرهم، ويتخذونها سبيلًا إلى ترويح دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية، بمعزل عن الفن والأدب، وعلى علم بالتفريق والعوج في القياس، إذا لزم التفريق أو العوج في خدمة الغرض الأصيل؛ لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير.

وفي عصرنا هذا ينبغي أن نلتفت إلى شوائب النقد التي عرفها الأقدمون، وإلى الشوائب التي لم يعرفوها قط، أو عرفوها في حيز محصور لا يُلتفت إليه. ولقد عرف الأقدمون في الأدب العربي صنوفًا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب؛ تارة لأنه على مذهبه في التشيع، وتارة لأنه على هواه في مؤازرة الدولة القائمة من بني أمية أو من بني العباس، ولوحظ — مثلًا — إهمال كتاب الأغاني للشاعر «ابن الرومي».

أما الجديد الذي لم يعهده الأقدمون كما عهدناه في عصرنا هذا فهو — فيما نعتقد — أمران:

أحدهما — كما أسلفنا: ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأي أساسي في مذهبهم، يقضي باستخدام «النقد الأدبي»؛ لترويج المذهب ومحاربة خصومه.

والآخر: ظهور المقلدين في حركة التجديد، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التي لا تميز بين حقائق الأسباب.

والذين يستخدمون «النقد الأدبي» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قوم لهم سيماهم التي لا يختلطون فيها بغيرهم، فهم جميعًا من «غير الأدباء» ... وهم جميعًا لا ينتجون أدبًا ولا يقرءون أدبًا لأنه أدب، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر؛ لخدمة الأغراض التي تعنيهم باسم النقد

مقدمات ما تقدم

الأدبي، وما هو من النقد الأدبي في شيء، إن هو إلا العداوة التي تصدر عن الكراهية والاتهام، ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية. ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين في الدعوة إلى الجديد؛ فإنهم لا يصلحون لتقديم ولا لجديد في الأدب، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون. بعد الأعاصير